الطبعة الأولى

مَعَ النَّبِيِّ ﷺ

أدهم شرقاوي

" قس بن ساعدة "

مكتبة الرمحي أحمد ٩٢

إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق



مع النَّبيِّ ﷺ

أدهم شرقاوي

« قسّ بن ساعدة »

٢٠١٧



الإهداء

إليكَ . . .

أنتَ الرّاوي والرّواية ، والحاكي والحِكاية

إليكَ . . .

وأنتَ تُهدى إلى الكُتب

لا هي التي تُهدى إليكَ

يا رسول الله :

أنا كُلّي فدى نعليك . . .

صَدقة

روى البخاريُّ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال :
قال رجلٌ لأتصدّقنَّ بصدقةٍ ، فخرج بصدقتِه
فوضعها في يدِ سارق
فأصبحُوا يتحدَّثون ، تُصدِّقَ على سارق!
فقال : اللهم لكَ الحمد ، لأتصدّقنَّ بصدقةٍ
فخرج بصدقته فوضعها في يدي زانيةٍ
فأصبحوا يتحدَّثون : تُصدِّقَ الليلة على زانية!
فقال : اللهم لكَ الحمد ، لأتصدَّقنَّ بصدقةٍ
فخرج بصدقتِه فوضعها في يدي غنِيٍّ
فأصبحوا يتحدَّثون : تُصدِّقَ على غنيٍّ!
فقال : اللهم لك الحمد ، على سارقٍ ، وعلى زانيةٍ ، وعلى غنيٍّ!
فأُتيَ ، فقيل له
أمّا صدقتكَ على سارقٍ فلعله أن يستعفَّ عن سرقته
وأما الزَّانيةُ فلعلها أن تستَعفَّ عن زناها
وأما الغنيُّ فلعله يعتبرُ فينفقُ مما أعطاه الله!

الدَّرسُ الأوَّل:

هذا هو شأنُ النَّاسِ دوماً
إذا ترفعتَ عن ردِّ الإساءة ، قالوا : جبان
وإذا تصدَّقتَ ، قالوا : يُرائي

إذا صاحبتَ عالماً ، قالوا : يتزلّف
وإذا صافحتَ عاصياً ، قالوا : هو مثله
إذا أحسنتَ إلى زوجتك ، قالوا : خروف
إن لم تُجارِهم في المعصية ، قالوا : مُتزمّت
وإن لم تجارِهم في قبول الرّشوة ، قالوا : غشيم
إن تحجبتِ ، قالوا جاهلةٌ بالموضة
وإن غطيتِ وجهكِ ، قالوا : تسترُ قبحها
إن أطعتِ زوجك ، قالوا : ضعيفةُ الشّخصيةِ
فكُنْ أنتَ ولا تسمح لهم أن يُغيّروك
ولا تتنازلْ عن مبادئك لإرضائهم
لو تأملتَ حال الناس ، لوجدتَ أكثرهم ليسوا راضين عن الله
فكيفَ يرضى النّاسُ عن الناس؟!

الدّرس الثّاني:

خُذْ بأيدي النّاسِ إلى الله
وتذكّرْ أنّ الله سبحانه لم يُرسل الرُّسلَ إلا للعُصاة من خلقه!
فلو كانوا أهل طاعةٍ ما احتاجُوا إلى الرُّسل
حتى الشّواذ منهم أرسلَ الله لهم نبياً
والذي قال ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ ، أرسل الله له رسولاً ليقول له ﴿قولاً ليناً﴾
والذين قالوا : أنّ الأصنامَ بنات الله
أرسل لهم صفوة خلقِه عليه الصّلاة والسّلام

فلا تنظرْ في ذنوبِ النَّاسِ كأنكَ ربٌّ
وانظرْ إليهم كأنكَ عبد
وإنَّ زكاة الهداية التي حباكَ الله إياها
أن تأخذ بأيديهم إلى الله
فما كان لك أن تهتدي بقوَّتك
ولكنه سبحانه منَّ عليك
فانظرْ في أهلِ المعصيةِ كما تنظرُ في أهل البلاء
وإنَّ المرضَ أهونَ من الضَّلال
فقد يكون رفعةً في الأجر، أمَّا الضَّلالُ فعاقبته وخيمة!

الدَّرسُ الثَّالث:

صحيح أننا أُمرنا أن نحكم على الأمور بظاهرها
ولكن كُنْ أذكى من أن تخدعكَ المظاهر
هناك عصاةٌ يحبون الله ورسوله
أكثر من كثيرين من تُجّار الدِّين الذين تعرفونهم
ولكن غلبتهم شهواتُهم، وتسلَّطتْ عليهم شياطينُهم
وقد روى البخاري من حديث عمر بن الخطاب ﵁
أن رجلاً على عهد رسول الله ﷺ
كان اسمه عبد الله وكان يُلقب حماراً
وكان خفيف الظل، يُضحك رسول الله ﷺ
وكان يشرب الخمر، فجلده النبيُّ ﷺ مرَّةً وأخرى
وفي الثَّالثة قال رجل من القوم: اللهم العنه، ما أكثر ما يُؤتى به

فقال النبي ﷺ لا تلعنوه، فوالله ما علمتُ إلا أنه يحب الله ورسوله!
إنَّ القلوب أسرار لا يعلمها إلا خالقها
التي لا تتحجبُ ليستْ عاهرة
والذي يسمعُ الموسيقى لا يكره القرآن
وأنا لا أدافعُ عن العصاة ولا أبررُ لهم
إني أقول فقط: خذُوا بأيديهم إلى الله!

الدَّرسُ الرَّابع:

إنْ لم نعامل النَّاس بأخلاقٍ ولين
فنحنُ نُقدّمُ لهم نماذج سيئةً عن المُتديّنين
عندها لن يتركُوا معاصيهم ليكونوا متديّنين قساة
إن لم نكن نماذج يُحتذى بها
فلا نلُمْ الناس لأنهم لا يريدون أن يكونوا مثلنا
فلا تُبغّضوا الله إلى خلقه!
مصافحةٌ ممن يرتادُ المساجد لتاركِ صلاةٍ
قد تحضره إلى المسجد!
وابتسامةٌ وكلمةٌ حلوة من محجبةٍ
قد تقودُ سافرةً إلى الحجاب!
كلمةٌ حُلوةٌ من طائع قد تأتي بعاصٍ إلى الله!
وإن لم يُحدث هذا صَدى في النَّاسِ يكفيكَ أجرُ الدَّعوة
تصدَّقَ صاحبنا على زانيةٍ، وعلى سارقٍ، وعلى غنيٍّ

فلم يقلْ له ربُّه
لو تصدَّقتَ على عفيفةٍ كان أولى
ولو تصدَّقتَ على أمينٍ كان أجدى
ولو تصدَّقتَ على فقيرٍ كان أنفع
ولكنه أرسل له رؤيا صالحة يخبرُه فيها أنه قَبِلَ صدقته
فالزَّانيةُ علَّها تترك زناها!
والسَّارقُ علَّه يترك سرقته!
والغنيُّ علَّه يقتدي بكَ!

جُرِيجُ العَابد

روى البخاريُّ ومسلمُ في صحيحهما أن النبيَّ ﷺ قال
كان جريجُ رجلاً عابداً ، فاتّخذَ صومعةً ، فكان فيها
فأتته أمُّه وهو يصلي ، فقالتْ : يا جُريج
فقال : يا ربِّ! أميّ وصلاتي ، فأقبلَ على صلاته ، فانصرفتْ
فلما كان من الغد أتته وهو يصلي ، فقالتْ : يا جُريج
فقال : أي ربِّ ، أميّ وصلاتي ، فأقبل على صلاته ، فانصرفتْ
فلما كان من الغد أتته وهو يصلي فقالتْ : يا جُريج
فقال : أي ربِّ! أمي وصلاتي ، فأقبل على صلاته
فقالتْ : اللهم لا تُمتْهُ حتى ينظرَ إلى وجوهِ المُومِسَاتِ
فتذاكرَ بنو إسرائيل جريجاً وعبادتَه
وكانتْ امرأةٌ بغيٌّ يُتَمَثَّلُ بحسنها ، فقالت : إن شئتم لأَفْتِنَنَّه
فتعرَّضتْ له ، فلم يلتفتْ إليها
فأتتْ راعياً كان يأوي إلى صومعته فأمكنته من نفسها
فوقعَ عليها فحملتْ
فلما وَلدتْ قالتْ : هو من جُريج
فأتوه فاستنزلوه وهدموا صومعتَه ، وجعلُوا يضربُونَه
فقال ما شأنكم؟
قالوا : زنيتَ بهذه البغيِّ ، فولدتْ منكَ
قال : أين الصبيُّ؟
فجاءوا به ، فقال : دعوني حتى أصلي ، فصلى

فلمَّا انصرفَ أتى الصبيَّ ، فطعنَ في بطنه وقال : يا غلام ، من أبوك؟

قال : فلان الرَّاعي!

فأقبلوا على جُريج يقبِّلُونَه ويتمسَّحُون به

وقالوا : نبني لك صومعتكَ من ذهبٍ

قال لا ، أعيدوها من طينٍ كما كانت . ففعلوا!

الدَّرسُ الأوَّل:

القَدرُ مُوكَلٌ بالمنطقِ!

فلا تدعُوا على أولادِكُم فتوافقَ ساعةَ استجابةٍ

وقد رأى عُمر رضي الله عنه شيخاً كبيراً يده مشلولة

فسأله : ما الذي أصاب يدكَ؟

قال : دعا عليَّ أبي في الجاهليَّةِ أن تُشلَّ فَشُلَتْ

فقال عمر : هذا دعاء الآباء في الجاهليَّةِ فكيف في الإسلام؟!

تعالوا نُعوِّد أنفسنا على الدُّعاء «لـ» بدل الدُّعاء «على»

إذا كسَرتْ بنتٌ صَحناً قلنا كسرَ الله قلبكِ!

ماذا لو وافقتْ هذه الدَّعوةُ ساعةَ استجابةٍ

أيساوي الصَّحنُ قلباً؟!

لماذا لا نقولُ : أصلحكِ الله

إذا تشاجرَ أخ وأخته

قالتْ أم في لحظةِ غضبٍ : انتقمَ الله منكما

ماذا لو وافقتْ ساعةَ استجابةٍ؟ فأيّنا يطيقُ انتقام الله؟!

ماذا لو قلنا : أصلحَ الله قلبيكما؟!
تعالوا نستبدل : «عمى يعميك» ، بشرح الله صدرك
و«يغضب الله عليك» بيهديك الله
تعالوا نُصلح ألسنتنا قبل أن نُفسد بها أولادنا!

الدَّرسُ الثَّاني:

ودَّ الزَّاني لو أنَّ كلَّ النَّاس زنُوا
وودَّت المسترجلةُ لو أنَّ كلَّ النِّساءِ استرجلنَ
وودَّ السَّارقُ لو أنَّ كلَّ النَّاس سرقُوا
هكذا هم أهلُ الباطلِ دوماً يزعجُهم صلاحُ أهلِ الحقِّ
فالأمينُ صفعةٌ عَمليةٌ على وجه اللصِّ
والعفيفُ ضربةٌ قاسمةٌ على ظهرِ الزَّاني
والموظَّفُ الشَّريفُ ضربةٌ موجعةٌ في ضميرِ الموظَّفِ المُرتشي
أهلُ الحقِّ يُذكِّرون أهلَ الباطلِ بنقصِهم
لهذا يريدُون منهم أن يكونوا مثلهم!
عُصاة بني إسرائيل أزعجهم صلاحُ جُريج العابد
فأرسلوا له بغياً كي يصيرَ مثلهم
ومُشركو العالم يومذاك أزعجهم توحيدُ إبراهيم عليه السّلام
فرموه في النَّار لأنه رفض أن يكون مثلهم
الشَّواذُ من قوم لوطٍ عليه السّلام أزعجهم أنه سَويّ
فقالوا : ﴿أخرجوا آلَ لوطٍ من قريتكم إنَّهم أناسٌ يتطهَّرون﴾!

الدَّرسُ الثَّالث:

المؤمنُ إذا نزلتْ به نازلةٌ فزِعَ إلى الصلاة!
لأنه يعرف أنَّ كلَّ مشاكلِ الأرضِ حلّها في السَّماء
هذا جُريج وقد اجتمعتْ عليه المصائب
تهمة الزِّنا ، وولدٌ من غير صلبه يريدون نسبته إليه
فقال : دعوني أصلي
بركعتين أبطلتْ السماءُ مؤامرةَ الأرض
وشهِدَ الرضيعُ ببراءة النَّقيّ التَّقيّ
خبيبُ بن عدي ﷺ أسرته قريش
ولما أرادوا قتله قال لهم : دعوني أصلي
كان يعرفُ أن أجمل ما يختمُ المرءُ به حياته صلاة
وهذا سيّدُ النَّاسِ ﷺ كان إذا حضرت الصَّلاة
قال لبلال : أَرِحْنَا بها يا بلال
وشتَّان بين من يتعامل مع الصلاة بمنطق أَرِحْنَا بها
وبين من يتعاملُ معها بمنطق أَرِحْنَا منها!

الدَّرسُ الرَّابع:

لا تُصدّقْ تهمةً بلا دليل!
فشأن النَّاس دوماً أن يفتريَ بعضُهم على بعض
فلا تخُضْ في ذمة رجلٍ لم تشهدْ خيانتَه
ولا تخُضْ في عرضِ امرأةٍ لأنَّ فلاناً قال
كفى بالمرءِ إثماً أن يُحَدث بكل ما سمع!

الإنسانُ سُمعة ، وهدرُ سُمعة إنسانٍ كهدرِ دمِه
وحتى لو ثبتتْ عندك تهمة
تذكَّرْ أنَّ الله ستيرٌ ويحبُّ السَّتر
فلا تذكرْ عيوبَ إنسانٍ ليس لذكرها حاجة تُرتجى
بالمقابل لو سُئلت من باب النصيحة
فمن الغش أن لا تبوحَ بما تعرف
السَّترُ شيء وأن تكون سبباً في ابتلاء عفيفةٍ بفاجر
أو عفيفٍ بفاجرةٍ شيء آخرا

الدَّرسُ الخامس:

كُنْ مع الله يكنْ معكَ
خرج النبيُّ ﷺ من مكة خلسةً تحت جنح الظَّلام
ثم عادَ ودخلها في وضحِ النَّهارِ من أبوابها الأربعة!
وأُدخلَ يوسفُ عليه السَّلام السِّجنَ مظلوماً
وخرجَ منه عزيزَ مِصر
وفتيةُ الكهفِ فرُّوا بدينهم إلى الجبلِ
فأنامهم الله مُطارَدين ثم بعثَهُم وعلى دينهم أهل مدينتهم!
النَّاسُ أعجزُ من أن يُلحقوا ضرراً لم يأذنْ به الله
وأن يَجُرُّوا نفعاً لم يأذنْ به الله
فالذي لا يرزقُ نفسَه أعجزُ من أن يرزقَ غيره
والذي لا يملكُ موتَه أعجزُ من أن تُطلب منه الحياة
فعلِّقْ قلبكَ بالله!

آسيا بنت مُزاحم

روى أبو يَعلى في مُسنده عن أبي هريرة أن النبيَّ ﷺ قال :
إنَّ فرعون أوتدَ لامرأتِه أربعةَ أوتادٍ في يديها ورجليها
فكان إذا تفرَّقوا عنها ظللتها الملائكة
فقالت : ﴿ربِّ ابنِ لي عندكَ بيتاً في الجنَّة ونجِّني من فرعون وعمله ونجِّني من القوم الظالمين﴾
فكشفَ لها عن بيتِها في الجنَّة!

الدَّرسُ الأوّل:

يحاربُ اللهُ الطغاةَ من بيوتهم
من قصر الذي قال : ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ ، خرج نبيٌّ!
ومن غرفة نومه خرجتْ إحدى أعظم النِّساءِ في التَّاريخ
يريدُ الله أن يخبره كم هو عاجز!
ذبحَ آلاف الأطفال في طلب موسى عليه السّلام
ثم لمّا عثرَ عليه رغماً عنه ربّاه في قصره
جعلَ ألوفَ النساء تسجدنَ له
ولكنه عجز عند امرأته ، لأنَّ القلوب بيد الله ، وإنْ ملكَ النَّاسُ الأجساد

الدَّرسُ الثَّاني:

مساكين أولئك الذين يعتقدون أنّ الدِّينَ أفيون الشعوب
وأنه ليس إلا مخدر يتعاطاه الفقراء ليُصبِّروا أنفسهم
فيعيشون على أمل الجنة ، كما يعيش السَّائرُ في الصحراء وراء السَّرابِ يحسبه ماءً!
هذه سيدة مصر الأولى ، زوجة الملكِ الذي يحكم
وزوجة الإلهِ الذي يُعبد من دون الله
يكفيها أن تأمر لتطاع . . .
وأن تنادي لتُجاب . . .
ولكنَّها علمتْ أن ما عند الله خيرٌ وأبقى
لم تؤمنْ بأنهارِ الجنَّةِ من عطشٍ
ولم تؤمنْ بثمارها من جوع
ولم تسألْ بيتاً في الجنة لضَيق بيتها في الدنيا
كانتْ سيِّدة القصر ، وسيِّدة البلد ، وسيِّدة النَّاس
ولكنها رأتْ أن الغِنى الحقيقيّ هو غِنى القلب
وأنَّ الثَّراءَ الحقيقيّ هو ثراءُ الإنسان بربِّه
وأنَّ كلَّ البيوت مقارنة بالجنَّةِ ضيِّقة
فكأنها قالتْ لفرعون : خُذْ كلَ ملكك واتركني لربي!

الدَّرسُ الثَّالث:

قيل لبلال رضي الله عنه بعد أن سطعَ نجمُ الإسلامِ في سماء العالم :
كيف كنتَ تصبرُ على تعذيب أمية بن خَلَف لكَ؟
فقال كنتُ أخلطُ حلاوة الإيمان بمرارة العذابِ فأصبرا
الإيمان مركّبٌ عجيب إذا تملّكَ من القلبِ قَلبَ حال الناس
وإنْ صبر بلالٌ فليس في الأمر عجباً كثيراً
بلال رجل ، والرجال أكثر صلابة في البنية الجسديّة من النِّساء
وهو قبل هذا كان عبداً وقد اعتاد العمل والمشقّة
ولكن العجب أن تصبر امرأةٌ مُنعمة اعتادتْ على العزِّ والدَّلال
على كلِّ هذا العذاب
وضعها فرعونُ على لوح من خشب
ودقّ الأوتاد في يديها ورجليها
فكانتْ كالجبل لا يئنُّ عندما تقطع الفؤوسُ الصَّخرَ من خاصرته!
وكالأشّجار العملاقة لا تبكي عندما تنخرُها المناشير
جسدٌ رقيقٌ يُعذب في الأرض
وروحُ صلبة تُحلّقُ في السَّماء
وقبل أن تُسلم الرُّوح تبتسمُ ، كما يقول ابن كثير في تفسيره
فيُجنُّ فرعون ويقول : أما زالتْ تبتسمُ؟
لم يكن يعلمُ أنَّ الله أراها البيتَ الذي سألته إياه في الجنة!

الدَّرسُ الرَّابع:

كا
فال ليخلِّصُوها
ولَ
وآ
فأر
إيا يمان
كم ين الله؟!
إنَّ نه
وأم
ولَ
كي ؟
وك ل؟
ثم
هذ سين سنةً من
المـ
وط
وط
وط
إنَّ

الدَّرسُ الخامس:

من خانَ اللهَ لا تتوقعْ منه الوفاءَ مع النَّاس!
لا تستغربْ أن فرعون صلبَ امرأته دون أن يراعي العشرة والصُّحبة
فهو لم يراعِ إحسان الله إليه من قبل!
وعندما يُعَذب أميّة بن خلفٍ بلالاً دون أن يراعي سنوات طويلة من الخدمة
فهو عقّ اللهَ قبل أن يعقّ مولاه
وأحسن ما قالته العجائز: خَفْ ممن لا يخاف الله!
لا تنتظر الأدب من قليل الأدبِ مع الله
من لم يقمْ بحقّ الله فهو عن حق الناس أعجز!
لهذا قال النبيُّ ﷺ : إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوّجوه
لأنَّ الذي همّه رضا الله فسيرضيه في خلقه
ولا تُزوج ابنتكَ إلا لتقيٍّ
إذا أحبها أكرمها وإذا لم يحبها لم يُهنها!

دَيْنٌ وسَدَاد

روى البخاريُّ في صحيحه من حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ

أنَّه ذَكرَ رجلاً من بني إسرائيل
سألَ بعض بني إسرائيلَ أن يُسلِّفه ألفَ دينار
فقال : ائتِني بالشُّهداء أُشهدهم
فقال : كفى بالله شهيدًا
قال : فأتِني بالكفيل
قال : كفى بالله كفيلاً
قال : صدقتَ
فدفعها إليه على أجلٍ مُسمًّى
فخرجَ في البحرِ فقضى حاجته ثم التمسَ مركبًا يركبها
يَقْدمُ عليها للأجلِ الذي أجلّه فلم يجدْ مركبًا
فأخذ خشبةً ، فنقرها ، فأدخلَ فيها ألف دينار ، وصحيفةً إلى صاحبِه
ثم زجَّجَ موضعها ، ثم أتى بها إلى البحرِ فقال :
اللهم إنك تعلمُ أني كنتُ تسلَّفتُ فلاناً ألفَ دينار
فسألني كفيلًا ، فقلتُ : كفى بالله كفيلًا ، فرضي بكَ
وسألني شهيدًا ، فقلتُ : كفى بالله شهيدًا ، فرضي بكَ
وأني جهدتُ أن أجدَ مركبًا أبعثُ إليه الذي له
فلم أقدرْ ، وإني أستوْدِعْكَها!

فرمى بها في البحر حتى ولجتْ فيه ، ثم انصرف!
فخرجَ الرَّجلُ الذي كان أسلفه ينظرُ لعلَّ مركبًا قد جاءَ بماله
فإذا بالخشبةِ التي فيها المال ، فأخذها لأهله حطبًا
فلما نشرها ، فوجدَ المالَ والصَّحيفة!
ثم قَدِمَ الذي كان أسلفه فأتى بالألف دينار فقال :
والله ما زلتُ جاهداً في طلب مركب لآتيكَ بمالكَ
فما وجدتُ مركبًا قبل الذي أتيتُ فيه
قال هل كنت بعثتَ إليَّ بشيءٍ؟
قال : أخبرتُكَ أني لم أجدْ مركبًا قبل الذي جئتُ فيه
قال : فإنَّ الله قد أدَّى عنكَ الذي بعثتَ في الخشبة
فانصَرِفْ بالألف دينارٍ راشدًا!

الدَّرْسُ الأوَّل:

النَّاسُ للنَّاسِ!
وقد سمعَ عمر بن الخطاب رجلاً يدعو :
اللهم لا تجعلْ لي حاجةً عند أحدٍ من خلقكَ
فقال له : ما أراكَ إلا تدعو على نفسكَ بالموت
فالنَّاسُ لا يستغني بعضهم عن بعض!
مَنْ قصدكَ فإنما توسَّمَ فيك الخير
وكفى بالمرء نُبلاً أن يكون عند حسن ظنِّ النَّاسِ به
وإنَّ العطاءَ ليس مالاً فقط وإن كان أكثر ما يحتاجُ إليه النَّاسُ!
وإنَّ على كلِّ شيءٍ زكاة

فزكاة الغِنَى أن ترحمَ فقيراً
وزكاة العلم أن لا تكتمه عمَّن طلبه ، وعمّن لم يطلبه
وزكاة العقل أن تُسدي لمحتار نصيحة
وزكاة الجسد أن تجرَّ كسيحاً ، أو تعبرَ بأعمى الطريق!

الدَّرْسُ الثَّاني:

مَنْ أخذَ مال النَّاسِ يريدُ سداده سدَّدَ الله عنه
ومَنْ أخذَ مال النَّاسِ يريدُ إتلافه أتلفه الله
وليس هناك أحقر ممن ينكرُ المعروف
إلا من يردُّ المعروفَ بالإساءة
فلا تكن سبباً في انقطاع الخير من الدنيا
كثيرٌ من النَّاسِ توقفوا عن تسليف المحتاج
لأنَّ كثيراً ممن طلبوا السّلفَ نصبُوا وهربُوا
وكثيرٌ من النَّاسِ توقَّفُوا عن تزويج بناتهم بلا مهر
لأنهم رأوا أن كثيراً ممن تزوجوا بلا مهر ظنُّوا أنَّ البِنتَ رخيصة
وكثيرٌ من النَّاسِ لم يعودوا يُقلّون مقطوعاً في الطريق
لأنَّ مقطوعين كُثر كانوا غدّارين
وأجمل ما قالته الجدات :
مَنْ أمَّنكَ لا تخُنْه ولو كنتَ خوّاناً!

الدَّرْسُ الثَّالث:

إنك لا تعرف في هذه القصة ممن تعجب
من الرَّجلِ الذي قَبِلَ أن يكون اللهُ شهيدًا وكفيلاً
أَمْ من الرَّجلِ الذي خاطر بماله كي لا يُخلف وعداً قطعه
ما أجمل النُّبلاء حين يتعاملون فيما بينهم
نبيلٌ يُقرضُ ماله بلا شهيدٍ ولا كفيلٍ
ونبيلٌ يردُّ دينه في خشبة!

الدَّرْسُ الرَّابع:

انوِ الخير يفتحُ الله لكَ طريقاً له!
عندما نوى المُستدين أن يردَّ مال الدَّائن
صارت الخشبةُ رسالةً والبحرُ ساعي بريد!
انوِ أن تكون زوجاً صالحاً وستأتيك الزوجة
انوِ أن تتعلمَ وستجد من يُعلِّمك
وانوِ أن تكون أميناً وستجد من يأتمنك
ما عَلِمَ اللهُ خيراً في قلب إنسان إلا بسطَ له الخير!

الدَّرْسُ الخامس:

إن استجاركَ أحدٌ بالله أجِرْهُ
وإن سألكَ باللهِ أعطِه
إنَّ النَّاسَ اعتادتْ أنَ لا تردَّ شفاعة شريفٍ يشفع
فكيف بمن جاءك باللهِ شفيعاً
وطلبُ الشُّهود وكتابة العقود ليس فيه شيء
بالعكس هذا هو الأصل لأنَّ الدُّنيا فيها حياة وموت وغدر وخيانة
فلا تزهدْ في تدوين حقك
ولا تنزعجْ ممن طلبَ أن يكتب حقه عندك ليضمنه
وإنَّ أطول آية في القرآن الكريم هي آية التَّداين
وقد حضَّ الله فيها على الكتابة والإشهاد
ولكن الله توَّجَ ذلك بدعوة أوثق من العقود وهو الأخلاق ، فقال :
﴿فإن أَمِنَ بعضُكم بعضًا فليؤدِ الذي أُتمن أمانته﴾!

السَّحابة

روى مسلمٌ في صحيحه أنَّ النبيَّ ﷺ قال :
بينما رجلٌ بفَلاةٍ من الأرض ، فسمع صوتاً في سحابةٍ
اسقِ حديقة فلان!
فتنحَّى ذلك السحاب ، فأفرغَ ماءه في حَرَّةٍ / جهةٍ
فإذا شَرجةٌ / قطعة أرضٍ من تلك الشِّراج قد استوعبتْ ذلك الماءَ كلَّه
فتتبَّعَ الماءَ فإذا رجلٌ قائمٌ في حديقته يحولُ الماء بمسحاته
فقال له يا عبد الله ، ما اسمك؟
قال : فلان ، -الاسم الذي سَمع في السَّحابة-
فقال له يا عبد الله ،لمَ تسألني عن اسمي؟
فقال : إني سمعتُ صوتاً في السَّحاب الذي هذا ماؤه ، يقول :
اسقِ حديقة فلان -لاسمك- ، فما تصنعُ فيها؟
قال أما إذ قلتَ هذا ، فإني أنظرُ إلى ما يخرجُ منها
فأتصدَّقُ بثلثه ، وآكلُ أنا وعيالي ثلثاً ، وأردُّ فيها ثلثه!

الدَّرسُ الأوَّل:

من أقامَ أمرَ اللهِ أقامَ اللهُ أمرَه
ومن سخَّرَ ما بين يديه لله سخَّرَ اللهُ له ما بين يديه
وكلُّ هذا الكون بيد الله
فكُنْ لله كما يُحبّ يكنْ لكَ كما تُحبّ

وثِقْ أنَّ قوانين الدُّنيا تحكمُ النَّاس ولا تحكمُ الله
فلأجلِ عبدٍ صالحٍ يخرقُ سبحانه هذا القانون الذي وضعه ليحكم العالم
وإنّ الله قد يعطي الصالح بصلاحه ما يعطي النبيّ بنبوّته!
ألم ترَ أنَّ ناراً ملتهبة صارتْ لإبراهيم عليه السّلام برداً وسلاماً
وحوتاً مفترساً صار ليونس عليه السّلام حضناً ووعاءً
وسكّيناً حاداً صار في رقبة إسماعيل عليه السّلام عاجزاً
وهذه غمامة يسوقها مَلَكٌ لأجل رجلٍ واحد
أراد الله يومذاك أن لا يسقيَ القوم
ولكنه علمَ أن له عبداً ليس أهلاً لأن يُحرم معهم
فغيّرَ قانون العالم لأجله
شأن السَّحاب أن يسقيَ الكلّ
ولكنها سحابةٌ مخصوصة لعبدٍ مخصوص
أصلحَ دينه ، فأصلح الله له دنياه!

الدَّرْسُ الثَّاني:

الشُّهرة الحقيقية ليستْ أن تكون معروفاً في الأرض
وإنما أن تكون معروفاً في السماء!
هذا فلّاح مجهولٌ في الأرض
ولكنه معروفٌ في الملأ الأعلى
يصْدرُ الأمرُ من المَلِكِ إلى المَلَك أن سُق الغمام لأرض فلان
لو نادانا فنّانٌ باسمنا لطرنا فرحاً

ولو نادانا وزيرٌ باسمنا لما وسعتنا الأرض
ولو نادانا رئيس باسمنا لما رأينا في ذلك اليوم أحداً من فرط السعادة
هذا الحال وعبد ينادي عبداً!
فكيف هي الحال وملك الملوك يصدر قراراً سماوياً :
اسقوا أرض عبدي فلان!

الدَّرْسُ الثَّالث:

قالوا قديماً العمل عبادة!
هذا صحيح ، ولكن العمل الذي يُسقط حقَّ الله هو عبادة للشيطان
هناك من يضبطُ مُنبِّهه على صلاةِ الفجر
وهناك من يضبطُ مُنبِّهه على ساعة الدوام
وشتان بين من يعرفُ أنه خُلق للعبادة
وبين من يعتقدُ أنه خُلق للحراثة!
للعبادة وقت ، وللعمل وقت
ومن أجّلَ العبادة حتى يفوتَ وقتُها لأجْلِ العمل فقد أساءَ الأدب
مع الله
إذ اعتقدَ أنه يرزقُ نفسه
إنَّ الرِّزقَ الذي نطلبه بالعمل هو أساساً عند الله
فكيف نطلبُ من الله ما نحبُّ بما يكره!
﴿الشَّيطانُ يعِدُكم الفقرَ والله يعِدُكم مغفرةً منه وفضلاً﴾
يكون العملُ عبادة عندما نقومُ بحقِّ الله قبل حقِّ ربِّ العمل
والمتواكلُ من كَسْبِ غيره بحجة العبادة

ليس أفضل حالاً من تارك الصلاة لأجل العمل!
فقد قال سيدنا : «ما أكلَ امرؤٌ طعاماً خير من كسب يده ، وإن نبيَّ الله داود كان يأكل من كسب يده»
«ولأَنْ يحمل أحدُكم حبلاً فيحتطبَ خير له من أن يسأل الناس ، أعطوه أو منعوه»
وقال عن الماكث في المسجد وأخوه ينفق عليه   أخوه خير منه!
سِرُّ الحياة الموازنة
والأمر لم يكن يوماً أعْبُدُ أم أعمل
كان المسيح عليه السلام نجاراً في أرض الجليل وهو من أولي العزم من الرسل
وكان لشعيبٍ عليه السّلام غنم ترعاه ابنتاه لأنه بلغ من العمر عتياً
وعندما زوّج موسى عليه السّلام إحدى ابنتيه كان المهر العمل
هذا حال الأنبياء فما بال الذين دونهم؟!

الدَّرْسُ الرَّابع:

الجَّزاءُ من جِنس العمل!
الذي سخّرَ أرضه لرضا الله حفظها له
حين أراد سبحانه أن يُعاقب الناس
لهذا كُنْ على ثقة
ما سخّرت مالاً للهِ إلا نمَّاه لكَ ، وما نقص مالٌ من صدقة
وما سخّرت دقائق لقيام الليل
إلا وضع الله فيك نشاطاً يفوق ما وضعه بالذين ناموا الليل بطوله

هناك شيء اسمه البركة لا نلتفتُ إليه
والأشياء لم تكن يوماً بالكمّ بل بالكيف
كلنا نعرف شخصاً يجمعُ المال من حرام
ومع هذا يشكو قلته
ونعرف شخصاً يتحرّى الحلال فنستغرب كيف يكفيه هذا القليل
وقد قال عمر ﵁ : إني لا أسأل الله الرزق فقد فرغ من قسمته
ولكني أسأله البركة فيه!

مُغيث وبَرِيرة

روى البخاريُّ في صحيحه أنَّ النبيَّ ﷺ قال لعمّه
«يا عباس ، ألا تعجبُ من حُبِّ مُغيثٍ بَريرة ، ومن بُغض بَريرةٍ مُغيثاً»!

وبَريرة كانت عبدةً مملوكةً لأُناسٍ من الأنصار
وكان لها زوجٌ اسمه مُغيث
تاقتْ نفسُ بريرة إلى الحرِّية فكاتبتْ أسيادها لأجل العتق
وقصدتْ الصِّديقةَ بنت الصِّديقِ عائشة رضي الله عنها كي تساعدها في مبلغ عتقها
وعندما تنشقتْ بريرة أنفاس الحرية الأولى فكّرتْ في أمر زواجها
فالشَّرعُ يعطي الأَمَة إن تحررتْ خيار أن تبقى مع زوجها أو تفارقه
فقررتْ بريرة أن تترك مغيثاً!
فكان مغيث يلحق بريرة في طرقات المدينة باكياً يرجوها أن ترجع إليه
ولكنها لا ترأفُ لحاله ولا ترحمُ حزنه
لما يئس مغيثٌ أن ترجع بريرة إليه
قصد الرحمة المهداة طالباً منه أن يشفع له عندها
فقال لها النبي ﷺ يا بريرة ، لو راجعته فإنه زوجك وأبو ولدك
فقالت له : يا رسول الله ، أفتأمرني؟
فقال : إنما أنا شافع
فقالت : لا حاجة لي فيه!

الدَّرْسُ الأوَّل:

الحبُّ من طرفٍ واحدٍ مذلّة!
صحيح أن الله خلق فينا قلوباً تسقطُ أحياناً بالضَّربةِ القاضية أمام حبيب
ولكنه بالمقابل خلق فينا إرادةً كي لا نتنازل عن كرامتنا
اعرضْ قلبك على من أحببتَ ولكن لا تتسول الحُبَّ!
جرّبْ مرَّةً، وتودَّدْ مرَّةً، ولكن عليك أن تعرف متى تتوقف
وقد قالوا قديماً:
أحياناً لا يكفي أن تقلب الصفحة، ولكن يجب عليك أن تُغيّر الكتاب!

الدَّرْسُ الثَّاني:

النِّساءُ لَسْنَ سلعاً للبيع لمن يدفع مهراً أعلى
ظُلمٌ للمرأة أن تُجبر على رجل وقلبها عند آخر
قتلُ القلوب أشدُّ إثماً وألماً من قتل الأجساد
فدعْ عنكَ تناحة الأعراب الأوائل
الذين رفضوا أن يزوجوا بناتهم لمن أحبَبْنَ لأنهنَّ أحبَبْنَ
واقتدِ بالذي هو خير من قومه جميعاً إذ يقول:
«لم يُرَ للمتحابين غير النكاح»!

الدَّرْسُ الثَّالث:

كُنْ رجلاً
لا تغدر قلباً رقيقاً أحبكَ لأجل أنك تعبد العادات والتقاليد!
كل الناس لهم قلوب
وإنك إن لم تتزوج حبيبتك
ففي الغالب ستتزوج حبيبة رجل آخر!
كثير من عاداتنا هي أصنام يجب تكسيرها لا تقديم القلوب قرابيناً لها!

الدَّرْسُ الرَّابع:

اشفعْ!
جَبْرُ القلوب مُقدَّم على جبر العظام لأن كسرها أشدّ ألماً
إن استطعتَ أن تجمع بين قلبين فلا تتردد
وإن استطعتَ أن تضع حداً لنزاع عائلي فلا تتباطأ
قيمة البشر الحقيقية ليست بما يملكون بل بما يُقدِّمون
قيمة الشجرة ليست في خشبها بل في ثمارها
قيمة الكتاب ليست في أوراقه بل في كلماته
وهكذا الناس إنما يرتفع بعضهم فوق بعض بأعمالهم
وانظر للذين خلَّدهم التاريخ تجدهم جميعاً قدموا للعالم شيئاً
أحدُهم اخترعَ دواء
وآخرُ خطَّ كتاباً

هذا أطفأ حرباً
وذاك شقّ طريقاً
الناس يندثرون ولا يبقى لهم إلا جميل ما كتبوا
فلا ترحل دون أن تترك أثراً!

الدَّرْسُ الخامس:

لا يمنعك من الشفاعة أنه قد لا يُستجاب لك
يكفيكَ شرفُ المحاولة
ويكفيك أننا نُؤجر على ما نفعل لا على ما نُحقق!
وفي الحديث أن يوم القيامة يأتي بعض الأنبياء وليس معه أحد!
وإن رُدت شفاعتك فلا تعتبر هذا إهانة
مهما بلغتَ من المكانة لن تبلغ مكانته ﷺ
وانظرْ إليه يشفع عند امرأةٍ كانت أَمة
ثم إنها لا تجيبه في شفاعته
فهل اعتبر هذا إهانة؟
وهل صار خصماً بعد أن كان شافعاً
لا تُفسد أجر الشفاعة بالكِبر!

الدَّرْسُ السَّادس:

لا تحقرنّ من المعروف شيئاً

فقد كان النبي ﷺ أعبد الناس

يصوم الأيام الطوال كأنه لا يُفطر

ويقوم الليالي المظلمات كأنه لا يرقد

ولكنه لم يزهدْ في شفاعة!

ولا تتعذر بانشغال وضيق وقت

من كان في حاجة الناس كان الله في حاجته

ثم أأنت أكثر انشغالاً من رسول الله ﷺ؟

وهو بالمفهوم الديني نبيّ الأمة ، وبالمفهوم السياسي رئيس الدولة

ومع هذا كان يجد وقتاً للبسطاء

يشفعُ لزوج عند زوجته

ولأَمةٍ صغيرة عند مواليها

إننا حين ننزلُ إلى البسطاء نرتفع!

جرَّة ذَهب!

روى البخاريُّ في صحيحه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال :
اشترى رجلٌ من رجلٍ عقاراً له
فوجدَ الرجلُ الذي اشترى العقار في عقاره جرّةً فيها ذهب
فقال له الذي اشترى العقار :
خذ ذهبك مني ، إنما اشتريتُ منك الأرض ولم أبتعْ منك الذّهب
وقال الذي له الأرض : إنما بعتكَ الأرض وما فيها
فتحاكما إلى رجل ، فقال : ألكما ولد؟
قال أحدهما : لي غلام
وقال الآخر : لي جارية
قال أنكِحُوا الغلام الجارية ، وأنفقوا على أنفسهما منه ، وتصدّقا!

الدَّرْسُ الأوّل:

الورعُ في هذه القصة مُذهل
سواء من البائع أو من المشتري
وقد قال الأوائل الورع ترك تسعة أعشار الحلال مخافة الوقوع في الحرام!
وهذا برأيي -بعيداً عن جمال العبارة وحسن تنميقها- شاق وفيه مبالغة
وأجمل ما قيل فيه قول ابن تيمية رحمه الله
الزُّهدُ تركُ ما لا ينفع في الآخرة

والورعُ تركُ ما تخاف ضرره في الآخرة!
إذاً تركُ أغلب الحلال لا يلزم ليكون الإنسان ورعاً
وما دام الله قد أحلَّ شيئاً فهو حتماً لا يضر بالآخرة
ولكن أحياناً لا تكون الأمور واضحة جليّة ، هنا يأتي دور الورع
فالذي اشترى الأرض إنما تورَّعَ أن يأخذ جرّة الذهب
لأنه اعتبر أنه سيأخذ ما ليس له
لأن صك البيع شمل التراب ولم يشمل ما فيه
والبائع إنما تورَّعَ عن أخذها
لأنه اعتبر أنه باع الأرض بما فيها
وما أجمل أن يتعامل الناس فيما بينهم بالورع قبل أن يتعاملوا بالعقود
وأن يتعاملوا فيما بينهم بالأخلاق قبل أن يتعاملوا بالقوانين
وعلينا أن نعرف أن القوانين والمحاكم إذا أعطتنا ما ليس لنا
فهذا لا يجعله حلالاً!
وقد قال سيدنا ﷺ : «إنما أنا بشر
وإنكم تختصمون إليّ ، ولعلَّ بعضَكم أن يكون ألحن بحجته من بعض
فأقضيَ له على نحوِ ما أسمع
فمن قطعتُ له من حقِ أخيه شيئاً
فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من نار»!

الدَّرْسُ الثَّانِي:

القصَّة تثبتُ أن الملكية الفردية قديمة قدم الإنسان
وقد دأب الشيوعيون على إخبارنا أن الملكية الفردية كانت معدومة قديماً
وأن أول نظام عرفته البشرية هو الشيوعية الأولى
حيث لم يكن أحد يملك شيئاً!
فكانت هناك شيوعية في كل شيء
في الأراضي حيث لم يكن يملكها أحد وإنما هي للجماعة
وفي النساء حيث كانت أي امرأة من حق أي رجل!
وهذا افتراض عقيم بلا حجة ولا دليل
على العكس تماماً فإن الإسلام يُكذب هذا الادعاء بالأدلة والبراهين
وأول البشر على ظهر الأرض آدم وأولاده من صلبة مباشرة
وقد قتل قابيل أخاه هابيل بسبب شجار على أحقية كل منهما بالزواج من امرأة
فأين هي الشيوعية الجنسية التي يتحدث عنها هذا الفكر العقيم
وقبل حادثة القتل كانت هناك محاكمة
بأن قدّم قابيل وهابيل مما يملكان قرباناً
فكان قابيل مزارعاً وهابيل صاحب غنم
إذاً لم يكن الزرع مشاعاً للجميع وإنما لصاحبه
ولم تكن الأغنام مشاعاً للجميع وإنما لصاحبها
وليس البغاء أول مهنة في التاريخ كما يزعم هؤلاء

وإنما كان الناس يحصدون ويزرعون ويتبادلون السلع بما يشبه البيع اليوم
والملكية الفردية ليست سبباً في نزاع الناس فيما بينهم
وإنما جشع الناس ونظر بعضهم لما في أيدي بعض
وعلاج الجشع لا يُحلُّ بجعل الملكيات مشاعاً
وإنما بتربية النفوس وتهذيبها
وهذا منطق عقيم كمن يقول لك علاج الاغتصاب
أن تكون كل النساء مشاعاً!

الدَّرْسُ الثَّالث:

إنَّ الله وزّعَ الأرزاق بالعدل ولم يوزعها بالتساوي
لأنَّ العدل مبدأ أسمى من المساواة!
وقد أعطى أحدنا عقلاً دون مال كما كان لقمان
وقد يعطي مالاً دون صحة
وقد يعطي زوجةً دون ولد
وقد يعطي زوجاً دون أخلاق
وقلما يجمع الله الدنيا كلها لأحد!
فكما يقصد المحتاج غنياً إذا نزلتْ به الحاجة
على الناس أن يقصدوا صاحب العقل في النزاع
فالبائع والمشتري في الحكاية تخاصما في جرة الذهب ورعاً
وإلا فإن كل واحد منهما قد يتنازلُ عنها لصاحبه
ولكنهما احتكما إلى من وجدا أنه يملكُ عقلاً ورأياً

فكان الحلُّ العبقريُّ الذي أنهى الخصومة ولم يصب الورع بأذى
فاعرفْ على من تعرض مشكلتك
البعضُ يجعلون من المشاكل الصغيرة مشاكل أكبر
فينطبقُ عليهم المثل العاميُّ : جاء ليكحلها فعماها!

الدَّرْسُ الرَّابع:

ما أجمل الخصومة بين النبلاء
الجشعون يريدون حقهم وحق غيرهم
أما النبلاءُ فلهم شأنٌ آخر
إنهم حتى لا يحتاجون إلى حكم بينهمم
تماماً كما قال ابن ذاك الأعرابي لأبيه
كان الأبُ يحكم ويقضي بين الناس
ولما بلغ من العمر عتياً أحزنه أن هذا البيت
لن يعود مقصوداً كما في حياته
فقال له ابنه الوحيد : أنا أقضي بين الناس عنك
فقال الأب لابنه إذا تخاصم إليك بخيل وكريم ماذا تفعل؟
فقال : آخذُ من الكريم للبخيل
فقال له : وإن تخاصم إليك بخيلان؟
فقال أُعطي مني وأصلح بينهما
فقال له وإن تخاصم إليك كريمان؟
فقال له كريمان لا يحتاجان إلى حكم!
فطابتْ نفسُ الأب بعقل ابنه

ماشطة ابنة فرعون

روى أحمدُ في مسنده أنَّ رسول الله ﷺ قال :
لما كانتْ الليلة التي أُسري بي فيها أَتتْ عليَّ رائحةٌ طيبة
فقلت : يا جبريل ما هذه الرائحة؟
فقال هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها
قلت : وما شأنها؟
قال : بينما هي تمشط ابنة فرعون ذات يوم إذ سقط المشط من يديها
فقالت : بسم الله
فقالت لها ابنة فرعون : أبي؟!
قالت : لا ولكن ربي وربُّ أبيك الله
قالت : أخبره بذلك؟
قالت : نعم
فأخبرته ، فدعاها ، فقال : يا فلانة وإن لك ربًّا غيري؟
قالت : نعم ، ربي وربك الله!
فأمر بقِدْرٍ من نُحاس فأحميت ثم أمر أن تلقى هي وأولادها فيها
قالت له : إن لي إليك حاجة
قال : وما حاجتك؟
قالت : أحبُّ أن تجمع عظامي وعظام ولدي في ثوب واحد وتدفننا
قال : ذلك لك علينا من الحقّ!
قال : فأمر بأولادها فألقوا بين يديها واحدًا واحدًا
إلى أن انتهى ذلك إلى صبيّ لها مُرضَع وكأنها تقاعست من أجله
قال : يا أُمّاه ، اقتحمي فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة!

الدَّرْسُ الأوَّل:

عدد الذين تكلموا في المهد فيه أكثر من رواية
فرواية مسلم تقطع أنهم ثلاثة عيسى عليه السلام ، وابن الراعي في قصة جريج العابد
والطفل الذي رد على دعاء أمه وسيأتي بيان القصة لاحقاً
وتضيف رواية أحمد واحداً رابعاً هذا خبره
ولا يفوتنا ذكر الطفل الذي شهد ليوسف عليه السلام بالبراءة
وإنها إن كانت من الإسرائيليّات فليس في شرعنا ما يردّها
وقد قال سيّدنا : حدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج
وطفل الأخدود الذي ورد في رواية مسلم
وبهذا يصبح العدد ستة!

الدَّرْسُ الثَّاني:

كتْمُ المعتقد إذا كان سيؤدّي إلى الهلاك لا شيء فيه
فها هو القرآن يمدحُ مؤمن آل فرعون الذي كان يكتم إيمانه بقوله :
﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتمُ إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله﴾!
ولقد كان كتمان الإيمان في حالته أنفع له من وجوه
فهو أولاً حافظ على حياته ، ففرعون الذي قتل زوجته لإيمانها لم يكن ليرحم أحداً من قرابته إذا آمن بموسى عليه السلام
ثانياً كان قريباً من القصر يعرف ما يدور فيه

وما يخطط له فرعون وما يكيد له
وعين في قصر العدو خير من سيف في مواجهته!
ثالثاً : لم يكن الجهر بالإيمان سيجرُّ منفعة إلا منفعة شخصية
إذ بقتله سيرتقي في الشهداء كآسيا والماشطة
ونجاة الدعوة وفوزها مقدمة على نجاة الأفراد وفوزهم
كذلك لا يمكننا أن نقول أن آسيا يوم جهرت بإيمانها كانت متهورة
ولا أن الماشطة لم تحسب العواقب جيداً
فسيد الشهداء حمزة ، ورجل قام إلى حاكم ظالم فأمره ونهاه فقتله
ويُحسب للماشطة ثباتها وشجاعتها وقوة إيمانها
فهي بعرف هذا الزمن ليست إلا خادمة
بينما فرعون بعرف أهل مصر فهو الملك الحاكم والإله المعبود
وأن تتحدى خادمة السُّلطة السِّياسية والدِّينية المتمثلة بشخص فرعون
لعَمري هذه الجرأة التي ما بعدها جرأة!

الدَّرْسُ الثَّالث:

الإيمان عندما يتمكن من القلب
يُحوّلُ صاحبه من مجرد إنسان من لحم ودم إلى جبل لا يركع ولا يلين.
وهذا شأن المؤمنين في كل العصور
آسيا المرأة الرقيقة تصبر على الصلب
والماشطة المرأة الضعيفة لا تهتز ولا تلين

بلال لا تُركعه رمال مكة الملتهبة
ولا الصخرة الضخمة التي وضعها أمية بن خلف على صدره
هو صوت واحد لا ينقطع في مواجهة العذاب : أحد . . أحد!
والسّحرة الذين جاؤوا لنزال موسى عليه السّلام
قُطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف وصلبوا
وقولهم يومئذ لفرعون : «إنما تقضي هذه الحياة الدنيا»!
وفي صحيح البخاريّ :
«قد كان مَنْ قبلكم يُؤخذ الرّجلُ ويُحفر له في الأرض فيُجعل فيها
ثم يُؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيُجعل نصفين
ويُمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه
ما يصده ذلك عن دين الله»!
عندما يجعل الله طريقك إلى الجنة معبدة
فهذا من فضله وكرمه سبحانه
فلعله علم أنك لا تصبر على البلاء
فرفعه عنك!
وعندما يمتحنك إياك أن تلين
تأس بمن كانوا قبلك
وليكن شعارك في وجه كل طاغية قول السحرة لفرعون :
«إنما تقضي هذه الحياة الدنيا»!

الدَّرْسُ الرَّابع:

الذي يتصدَّقُ ليس كارهاً للمال
والتي تتحجبُ لا تكره الأزياء والموضة
والذي يُقدم على ساحات الموت طلباً للشهادة لا يكره الحياة
والماشطة التي قُتل أولادها أمام عينيها
لم تكن ناقصة الأمومة
هؤلاء يعلمون أن ما عند الله خير وأبقى
وانظرْ إليها وهي على بعد لحظة من الموت
كلُّ ما تفكر به أولادها!
وتطلب من فرعون أن يجمع عظامها وعظام أولادها ويدفنهم معاً
ولولا قلب الأم ما طلبت من طاغية طلباً
ولكنَّ الدُّنيا أم!
الدَّرْسُ الخامس :
الطغاة هم الطغاة على مرّ العصور
تتبدل الأسماء والأساليب ، والعقليات واحدة!
فرعون يقتل ويصلب
قوم إبراهيم عليه السلام يلقونه في النار
أمية وأبو جهل يُعذّبان
هذا يأخذ مال مؤمن . . . وذاك يسجنه
ثالث يعتدي على عرضه
رابع يهدم بيته
خامس يقتل أولاده . . .

من غبائهم يسيرون في خطى بعض
ويلقون ذات المصير في كل عصر
ولا ينقرض الطغاة!

الأبرصُ والأقرعُ والأعمى

روى البخاريُّ ومسلمٌ في صحيحهما أنَّ رسول الله ﷺ قال

إنَّ ثلاثة في بني إسرائيل : أبرصُ ، وأقرعُ ، وأعمى

بدا لله عز وجل أن يبتليهم ، فبعث إليهم مَلَكًا

فأتى الأبرصَ فقال : أيُّ شيءٍ أحبُّ إليك؟

قال : لونٌ حَسن ، وجلد حَسن ، قد قذرني النَّاسُ

فمسحه فذهب عنه ، فأُعطيَ لونًا حسنًا وجلدًا حسنًا

فقال أيُّ المالِ أحبُّ إليكَ؟

قال : الإبل

فأعطاه ناقة عشراء ، وقال له يُبارَكُ لكَ فيها

وأتى الأقرع فقال : أيُّ شيء أحبُّ إليكَ؟

قال : شَعرٌ حسن ، ويذهب عني هذا ، قد قذرني النَّاسُ

فمسحه ، فذهبَ ، وأُعطيَ شَعرًا حسنًا

فقال : أيُّ المال أحبُّ إليكَ؟

قال : البقر

فأعطاه بقرةً حاملًا ، وقال له يُبارَكُ لكَ فيها

وأتى الأعمى ، فقال : أيُّ شيءٍ أحبُّ إليكَ؟

قال يرُدُّ الله إليَّ بصري ، فأبصر به النّاس

فمسحه فرَدَّ اللهُ إليه بصره

فقال : أيُّ المالِ أحبُّ إليك؟

قال : الغنم

فأعطاه شاة والدًا

فكان لهذا وادٍ من إبل ، ولهذا وادٍ من بقر ، ولهذا وادٍ من غنم
ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته
فقال رجل مسكين تقطّعتْ بي الحبال في سفري
فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك
أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن ، والجلد الحسن ، والمال ، بعيرًا أتبلغ عليه في سفري
فقال له : إنّ الحقوق كثيرة
فقال له كأني أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس؟ فقيرًا فأعطاك الله؟
فقال : لقد ورثتُ لكابرٍ عن كابر
فقال إن كنتَ كاذبًا فصيَّركَ اللهُ إلى ما كنتَ!
وأتى الأقرع في صورته وهيئته ، فقال له مثل ما قال لهذا
فردَّ عليه مثل ما رد عليه هذا
فقال : إن كنتَ كاذبًا فصيَّركَ اللهُ إلى ما كنتَ!
وأتى الأعمى في صورته فقال : رجل مسكين وابن سبيل وتقطعت بي الحبال في سفري
فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك
أسألك بالذي ردَّ عليكَ بصرك شاةً أتبلّغُ بها في سفري
فقال : قد كنتُ أعمى فردَّ الله بصري ، وفقيرًا فأغناني ، فخُذْ ما شئتَ
فوالله لا أجهدُكَ اليوم بشيءٍ أخذته لله!
فقال : أمسِكْ مالكَ ، فإنما ابتليتم ، فقد رضيَ الله عنك وسخطَ على صاحبيك .

الدَّرْسُ الأوَّل:

الابتلاء ليس بالشر فقط وإنما بالخير أيضاً!
والنَّجاح في امتحان الابتلاء بالشرِّ، الصَّبر
والنجاح في امتحان الابتلاء بالخير، الشُّكر
وهذا سليمان عليه السّلام لمّا علم بقدوم بلقيس إليه يجمعُ وزراءه من الإنس والجن
ويطلبُ منهم إحضار عرشَ بلقيسٍ من اليمن
وما عجز عنه جنيّ خارقُ القوى
نجح فيه مؤمنٌ خارقُ الإيمان
كان يعرفُ اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب
وبطرفة عينٍ كان العرشُ بين يديه
فعرفَ أنه امتحان فلم يتكبرْ ولم يتغطرسْ ولم يزدْ على أن قال :
«هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكرُ أمْ أكفر»!
النَّجاحُ في امتحان الغِنى أن تنفق على نفسك وتُوسعَ على الناس
والرُّسوبُ أن تبخل فتعيش عيشَ الفقير وتُحاسبُ حساب الغنيِّ
والنَّجاحُ في امتحان القوّة أن تقيم العدلَ وتساعد الضعفاء
والرُّسوبُ فيه أن تعتدي وتظلم وتفتري
فإذا غرّتكَ قوتك على النّاس فتذكّرْ قوة الله عليك!
إذا تأخر الزَّواجُ فهذا ابتلاء
يريدُ الله أن يرى ماذا تصنع
أتصبر حتى يمنّ عليك أم تنساق إلى الفاحشة والرذيلة
وإذا تأخّرَ الإنجابُ فهذا ابتلاء

يريدُ الله أن ينظر ماذا تصنع
تصبر وتتعالج وتستغفر
أم تتسخط وتذهب إلى الدجالين والمشعوذين والعاجزين من دون الله
وتذكرْ أنه لما تأخَّرَ الإنجاب على زكريا عليه السلام
جاءته البُشرى وهو في المحراب
نحن أمة تسأل في السجود وتُبشَّرُ في المحاريب!

الدَّرْسُ الثَّاني:

شُكر النعمة باللسان والجوارح
ولا يسدُّ أحدُهما مكان الآخر
يريدُ الله أن يسمعَ الحمدَ في لسانك ولا أحد أحب إليه المدح من الله!
ويريدُ أن يرى ماذا أنت صانع بنعمته عليكَ
وإنَّ البخل ليس في المال فقط وإن كان هذا رأسُ البخل
رأي تحبسُه وأنت تعلمُ أنه ينفعُ بخل
وشهادةٌ تكتمها وأنت تعلمُ أنها تُرجعُ حقاً لصاحبه بُخل
خلافٌ بين زوجةٍ وزوجها وأنت قادر على أن تسويه ولا تفعل بخل
كيسٌ ثقيل لا تحمله عن عجوز بخل
وابن سبيل منقطعٌ في الطريق لا تقلّه بسيارتك بخل
نبيُّك ﷺ يُذكر عندك ولا تصلي عليه بخل
الكرم جميلٌ في كلِّ شيءٍ في الرأي والأخلاق والمساعدة

وأجمل الكرم في المال وإن كان لا يُقلل من قيمة ما عداه
وانظرْ لعاقبة البُخل في القصة
فهذا الأبرصُ كان عنده وادٍ من الإبل
ولكنه بَخِلَ بواحدةٍ على من قالَ له ليس لي بعدَ الله غيرك
فأخذَ اللهُ كل إبله
وانظرْ إلى الأقرع كيف كانت عاقبتُه
بخل ببقرةٍ وكان عنده وادٍ من البقر
فأخذَ الله كل بقَرِه
أما الذي أعطى وتذكَّرَ سيرته الأولى
فقيل له باركَ الله لكَ في مالك
موقفٌ واحدٌ يرفعكَ أبدَ الدَّهرِ
وموقفٌ واحدٌ ينزلكَ أبدَ الدَّهر
وما الحياةُ إلا مواقف فإيَّاكَ أن ترسب

الدَّرْسُ الثَّالث:

المالُ ليس دليلاً لحُبِّ اللهِ للعبد
ومن أجمل ما قيل في هذا :
أعطى اللهُ الدُّنيا كلها لسليمان عليه السّلام والنَّمرود
ولو كانتْ معياراً لتمايزِ النَّاسِ ما ساوى فيها بين نبيٍّ وطاغيةٍ!
كانتْ ملوكُ الرُّوم تنامُ على الحرير وتأكلُ بملاعق الذهب
ومحمد ﷺ تمرُّ الأيامُ ولا يوقدُ في بيته نار لطعام
ويوم الخندق ربطَ حجراً على بطنه

وكان يرعى الغنم في صغره لأثرياء قريش
عاش فقيراً ومات فقيراً درعه مرهونة عند يهودي
وهو أكرمُ خلق الله على الله
فإذا أُعطيت فاشكرْ
وإذا مُنعتَ فاصبرْ
فاللهُ إن أعطاكَ فقد أعطاكَ ما ليسَ لكَ
وإن منعكَ فقد منعكَ ما ليس لكَ
ولا تنظرْ إلى ما في أيدي النَّاس
فإنك لا تعلمُ هذا الذي أُعطي ممَّ حُرِمَ!
وعلى مرِّ التَّاريخِ كان المال والغِنى في الكفار
أكثر منه في المؤمنين
والغنى ليس مذمةً بحدِّ ذاته
فنعم المالُ الحلال في يد العبد المُؤمن
ولكن إياكَ أن تعتقدَ أنَّ ضيق الرِّزق يعني أن الله يكرهك
وأنَّ المرض يعني أن الله يُعذِّبك
ولكنه تعالى يُعطي لحكمةٍ ، ويمنعُ لحكمة
ولن نبلغَ مرتبة الإيمان الكامل حتى نعلم : أنَّ منعَ الله عطاء!

الدَّرْسُ الرَّابع:

الطبيبُ الحقيقيُّ في السَّماء!
العجوزُ العقيمُ أصلحها الله في لحظة لتنجبَ نبيّاً!
والذي مسَّه الضرُّ أعواماً قال له ربه

«اركضْ برجلكْ هذا مغتسلٌ بارد وشراب»!
فعادَ أبهى مما كان!
يُناديه زكريا عليه السلام : «ربِّ لا تذرني فرداً»
فيبشره بيحيى!
الأبرصُ الذي يعجزُ عن شفائه أطبّاءُ الدُّنيا ولو اجتمعوا عنده
قال له الله : كُنْ صحيحاً فكان
والأقرعُ أعادَ له شعره
والأعمى ردّ عليه بصره
تعالجوا عند أطبّاءِ الأرض فنحن أمّةٌ أُمرتْ بالتّداوي
وطلبُ العلاج عند الأطباء لا يتنافى مع التّوكلِ على الله
لأنه واقعٌ في قدر الله
فإن شاء شفى على يد إنسان
وإن لم يشأ لم يغنِ أطباء الدنيا عنكَ شيئاً
ولكن ونحن نأخذ بالأسباب
تعالوا نتذكّر الطبيبٌ الحقيقيّ
هذا الآمرُ النّاهي في الكون وعلى كلّ ما فيه!
اشربْ دواءكَ لأنه سبب في الشفاء
وقبله قُلْ كما علمنا نبينا ﷺ
اللهم لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاءً لا يغادر سقماً

الخَمر

روى النَّسَائيُّ أنَّ النبيَّ ﷺ قال
اجتنبُوا الخمر فإنَّها أمُّ الخبائث
إنَّه كان رجلٌ ممن خلا قبلكم تعبَّدَ
فعلقته / عشقته امرأةٌ غويَّة فأرسلت إليه جاريتها
فقالتْ له إنَّا ندعوكَ للشهادة
فانطلقَ مع جاريتها فطفقتْ كلَّما دخلَ باباً أغلقته دونه
حتى أفضَى إلى امرأةٍ وضيئةٍ عندها غلام وباطية خمر
فقالتْ : إني والله ما دعوتك للشهادة ، ولكن دعوتك لتقع عليَّ
أو تشرب كأساً من هذه الخمرة ، أو تقتل هذا الغلام!
قال : فاسقِني من هذا الخمر كأسًا
فسقته كأسا
قال : زيديني!
فلم يلبث أن وقعَ عليها ، وقتلَ الغلام!
فاجتنبوا الخمر ، فإنَّها والله لا يجتمعُ الإيمانُ وإدمان الخمر
إلا ليوشك أن يُخرج أحدُهما صاحبه

الدَّرْسُ الأوّل:

لو كانت الحياةُ تضعنا دوماً في خيارٍ بين الخيرِ والشّر
لتفضّلتْ علينا كثيراً!
فخَيارٌ كهذا رفاهيةٌ ليستْ متاحة على الدوام!

ولكنها في كثيرٍ من مواقفها تضعنا بين أمرين ، أحلاهما مُرًّا!
وقد قال عمر رضي الله عنه : ليس الفَطِنُ من عرفَ الخير من الشَّر
وإنما الفطنُ من عرفَ خيرَ الشَّرين
واختيارُ أخفّ الأضرار قاعدة أصوليَّة من قواعدِ الشَّريعة السَّمحاء
ولكن أخفّ الأضرار لا يُقدر بالهوى أو بالمزاج
وإنما يُقدَّرُ بما سيؤولُ إليه من نتائج ، وما ينجمُ عنه من تبعات!
وإنْ كان بالإمكان أن لا تفعلَ أيَّ شرٍّ من بين شرَّين مُتاحين فهذا الأصل
لأنَّ ما تراه شراً أصغر من غيره
فقد يكون في الحقيقة باباً لشرٍّ كبير وشرارة لنارٍ مستعرة
وانظرْ لصاحبنا وقد اعتقدَ أنَّ الخمرَ أهون شراً منَ القتل والزِّنا
فإذا به بعد الخمر يقتلُ ويزني ويقعُ فيما هرب منه بدايةً!

الدَّرْسُ الثّاني:

الذين يُخيِّرونك بين خياراتٍ متاحة إنما يُؤطِّرونَ تفكيرك
يسجنون عقلكَ بين هذا وذاك
ويوهمونك أنَّ المتاح فقط هو ما عرضوه لك
وهذا يحدث معنا دوماً في الحياة وكمثالٍ بسيطٍ على هذا
لو زرت صديقاً وسألكَ : أتشربُ الشّاي أم القهوة
إنما وضعكَ بين خيارين لا ثالث لهما وليس لك إلا أن تختار
ولكن هذا وذاك لا يكونُ دوماً بهذه البساطة بحيثُ أيُّ خيارٍ يفي بالغرضِ

أحياناً يكون الطريقان المعروضان عليكَ طريقين خاطئين
يريدونكَ أن تمشي في أحدهما معتقداً أنه خيرٌ من الأوَّل أو أقلٌ ضرراً
دوماً هناك طريقٌ ثالث أنتَ لا تراه في هذه اللحظة
غاب عن تفكيرك لأنه لم يكن بين الخياراتِ المتاحة
كُنْ فطناً، وعندما تأتي المِحَنُ خذ الخَيارَ الثَّالثَ غير المدرج على القائمة!

الدَّرْسُ الثَّالث:

جعل الله تعالى في النباتِ حياةً دون روح وعقل
وجعل الحيوانات بحياةٍ وروح دون عقل
وجعل الإنسان بحياةٍ وروحٍ وعقل
فالإنسانُ دون عقلٍ حيوانٌ من جهة أنه لا يشغله إلا إشباعُ غريزته
وما سُمي العقلُ عقلاً إلا لأنه يعقلُ صاحبه
أي يربطه أن يفعل ما لا يليق بالناس
لهذا رُفع القلمُ عن المجنون
فالعقلُ مناط التكليف، ومن غاب عقله فلا حساب عليه
هذا في حال كان ذهابُ العقل قدراً من اللهِ وقضاءً
ولكن من أذهبَ عقله بيده فهو محاسبٌ عمَّا يفعلُ أثناء غياب عقله
فمن شرب الخمرَ وسَكرَ وقتلَ، يُقتل بمن قتله
ولا أعرفُ لماذا يريدُ البعضُ أن يجعلوا من أنفسهم حيوانات

وقد أكرمهم الله فجعلهم بالعقل بشراً
وإنه لما وصل عبد الرحمن الداخل صقر قريش إلى الأندلس
جاؤوه بزقٍ فيه خمر
فقال لهم: إني بحاجة إلى ما يزيد في عقلي لا ما ينقصه!
وصحيحٌ أنَّ شرب الخمر كبيرة ليستْ مُخرجة من المِلَّة
إلا أن الحديث الشريف يُصور لنا قلب الإنسان كبيتٍ
لا يجتمعُ فيه الإيمان وشرب الخمر معاً تحت سقفه
وإن أحدهما ما يلبثُ أن يُخرج الآخر.

الدَّرْسُ الرَّابِع:

هذه الدُّنيا مليئة بالمِحن والفتن لأنها دار ابتلاء
وإنَّ البلاء يقع للإنسان بما يهوى بفطرته وبما يكره!
ويوسفُ عليه السلام وقع عليه الأمران
فقد ابتلي بالبُغضِ الشَّديدِ، وبالحبِّ الشَّديد
والبُغضُ الشَّديدُ هو الذي ألقاه في الجُبِّ
والحُبُّ الشَّديدُ هو الذي ألقاه في السِّجن
هذا كان حالُ النَّاسِ مع يوسف فكيف كان حال يوسف مع النَّاسِ؟!
إنه لما أُبتليَ بمن يكرهه صَبر
ولما أُبتليَ بمن يعشقه بجنونٍ صَبر
فلا شدَّة البُغض جعلته ينزل لمستوى إخوته
ولا شدَّة الحُبِّ له جعلته يطاوع امرأة العزيز
وبرأيي إن البلاء بالبُغض أيسر من البلاء في الحُبِّ!

لأننا إذا أُبتلينا بمن يبغضنا
فهو في الغالب لن يُخيِّرنا فيما نُحب
ولكننا إذا أُبتلينا بمن يُحبنا
فهو في الغالب سيعرض علينا حراماً نميلُ إليه بالفطرة
فيوسف عليه السلام كان شاباً وسيماً قوياً يشتهي ما يشتهي الرِّجالُ
فطرة الله التي فطرَ عليها الناس
ولكنه صبر واعتصم بالله
وإن صبره على امرأة العزيز أشدّ من صبره على إخوته!

للحصول على نسخة كاملة

من الكتاب

اكتب في خيار البحث على فيسبوك

مكتبة الرمحي أحمد

وتابع الصفحة

سنطرح رابط كامل قريبا

نوفر لك رابط تحميل مباشر

كتب جديدة

الحياة

نرجوا دعم الصفحة

لنستمر معكم وفي خدمتكم

وفي الحديث : أيما امرأة استعطرتْ وخرجت ليشمَّ الناسُ ريحها فهي زانية
وهذا من باب التشنيعِ والتَّرهيبِ وليس من باب الزنا الموجب للحدِّ!

ففي الإسلام بابٌ عظيم اسمه بابُ سدِّ الذَّرائع
فهذا الإسلام الحكيم لا ينتظرُ أن تشبَّ النارُ
ليعمدَ بعد ذلك إلى إطفائها
إنه يحولُ دون اندلاعِ النَّارِ بدايةً
وكل ما أدَّى إلى وقوعِ المُنكر فهو منكر

الدَّرْسُ الثَّاني:

تهتمُّ المرأةُ بالمظهر كثيراً لسببين :
الأول : أن عندها غريزة أن تُشتهى
والثاني : أنَّها تميلُ إلى الرَّجلِ أكثر من ميله إليها!
وهذا ليس مذمةً ولكنها فطرةَ الله التي فطرَ عليها النَّاس
وكلُّ مخلوقٍ خُلق من شيء يبقى فيه شيءٌ من أثر تلك الخلقة
فآدم -أي الرَّجل- مخلوقٌ من تراب لهذا هو أقلُّ عاطفة وأكثر سعياً للانتاج
بينما حواء -أي المرأة- مخلوقةٌ من آدم لهذا هي أكثرُ ميلاً إليه
يميلُ الرَّجلُ إلى المرأة مَيْلَ الكلِّ إلى الجزء
بينما تميلُ المرأة إلى الرجل ميل الجزء إلى كلِّها!
لهذا لا تجدُ المرأةُ حرجاً أن تعيشَ في كنف الرَّجل

ليهتمَّ بها ويرعاها ويعطفَ عليها ويعولها
فهي لا تشعرُ بنقص هنا لأنها لم تُخلق للعمل والجناية والكدح
بينما يجدُ الرَّجلُ بفطرته حرجاً أن تعوله المرأةُ وتنفق عليه
وأنَّه إذ يقبل أن يتشاركا الانفاق على البيت معاً فعلى مضضٍ من فطرته
إلا أنه من العسيرِ أن يتكيَّفَ مع فكرة أن يكون عالةً عليها
فطرة الله التي فطر عليها النَّاس!
هذا لا يعني أن الرَّجلَ لا يشتهي المرأةَ
وهي ليستْ مُنية عينه وقلبه
إنما المقصودُ أنَّ الرجل يستحيل أن يجعل من امرأةٍ حياته كلَّها
بينما من الممكن جداً أن يكون رجلٌ هو دنيا امرأةٍ كلّها!

الدَّرْسُ الثَّالث:

على المرأة أن لا تجعلَ فطرتها تغلبُ على دينها
وإن كان لا سبيلَ إلى تنحيةِ الفطرة
وإنَّ الدِّينَ ما جاء ليكبتَ الغرائزَ وإنما ليُهذِّبها
فما دامتْ قد خُلقت بحَنينٍ شغوف إلى الرَّجلِ كما سبق
فهذا لا يعني أن تجعلَ من نفسها محطَّ شهوة كلِّ الرِّجال
وعندما أباح الإسلامُ للرَّجلِ التعدد
فهذا يلزم بالضرورة أنَّ الله حباه جسداً وعاطفة تساعداه على القيام به
وهذا شيء لن يستطيعَ الرِّجالُ شرحه للنساء مهما حاولوا
ولن تستطيعَ النساءُ فهمه الرِّجال في مهما حاولنَ!

هذا لأنهنَّ مفطورات على الاكتفاء بالواحد!
وتُؤجرُ المرأة إذا تفننتْ في غوايةِ رجلٍ واحدٍ هو حلالها
وتأثم إن كرّستْ فطرتها لتكونَ محطَّ شهوة كلِّ الرِّجال
والمرأة الحقّة هي امرأة مع رجل واحد هو زوجها
ورجلٌ مع ما تبقى من رجال هذا الكوكب!

الدَّرْسُ الرَّابِع:

كما يحبُّ الرَّجلُ أن لا يرى من المرأة إلا جميلاً ولا يشمَّ منها إلا طيباً
وهي مأجورة إذا قامتْ بهذا وكانت سبب إشباعه وتحقيق عفّته
فهي بالمقابل تحبُّ منه ما يحبُّ منها
وقد قال ابن عباس : إني لأتزينُ لها كما تتزينُ لي!
وهو أيضاً مأجورٌ حين يُلبِّي فطرتها وغريزتها وحاجاتها
وتقصيرُ الرَّجلِ ليس مبرراً لالتفات المرأة لغيره
كما أن تقصير المرأة ليس مبرراً للرجل للالتفات لغيرها في حرام
إلا أننا مطالبون بسدِّ أبواب الذّرائع
لماذا على الرِّجال أن يكونوا أكثر اهتماماً بمظهرهم ورائحتهم منك؟
تراهم زوجتك وتسأل : لماذا هو ليسَ كذلك؟
ولماذا على النِّساءِ أن يكنّ أكثر اهتماماً بأنوثتهن منكِ؟
يراهن زوجكِ ويتحسر : لماذا هي ليستْ مثلهنّ؟
إنَّ الزواج الذي ينالُ فيه الزوج والزوجة رضاهما الجنسيَّ والعاطفيَّ التام

تهونُ أمامه كل المشاكل الأخرى
والزواج الذي لا يتحققُ فيه هذا الإشباع
ينتجُ عنه مشكلات هي في الحقيقة نتيجة لهذا الخواء الجنسي والعاطفي
خذوها قاعدة جريئة مني : أكبرُ مشاكل البيوت تبدأ في السرير!

الدَّرْسُ الخامس:

الكعبُ العالي القديم هو إلى حد كبير رجلين من خشب!
وخاتمُ العطر القديم هو نفسه العطر الذي يعبثُ بالقلوب اليَّوم!
النَّاسُ هم النَّاس في كل عصر
الذي يختلفُ فقط هي وسائلهم التي تصبحُ مع الزمن أنجعَ وأفتك
وقد صدقَ ﷺ حين قال :
«لتتبعنَّ سَنَن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى إذا دخلوا جحر ضب دخلتموه»!
وإنَّ أول فتنة بني إسرائيل كانتْ في النساء!
لتتقِ اللهَ النساءُ في الرِّجالِ فإنهن موضع شهوة
وليتقِ اللهَ الرجالُ في النساء فإن لهن حقوقاً
وليستْ أدوات التجميل ولا العطر ولا الكحل حراماً
إنما هذه وسائل حُرمتها وحِلّها تكون بوجوه استخدامها
كلُّ عطرٍ في محلّه عليه أجر
وكلُّ قلم كحلٍ ليس في محله عليه وزر
وحتى في العلاقة الزوجية أجر

ألم يقل سيدنا ﷺ «وفي بُضع أحدكم صدقة»
قالوا يا رسول الله : أيأتي أحدنا شهوته وله فيها أجر؟
قال : أرأيتم إن وضعها في غير محلها إلا يكون عليه وزر؟
قالوا بلى
قال وكذلك إن وضعها في محلها فله أجر!

سَارة والفرعون

روى البخاريُّ في صحيحه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال :
لم يكذبْ إبراهيمُ النبي عليه السلام إلا ثلاث كذباتٍ
ثنتين في ذات الله!
قوله : ﴿إني سقيم﴾ وقوله : ﴿بل فعله كبيرهم﴾
وقال : بينما هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبار من الجبابرة
فقيل له : إن ها هنا رجلاً مع امرأة من أحسن النَّاس
فأرسلَ إليه فسأله عنها ، فقال : من هذه؟
قال : أختي!
فأتى سارة فقال : يا سارة ليس على وجه الأرضِ مؤمن غيري وغيركِ
وإن هذا سألني فأخبرته عنكِ أنكِ أختي ، فلا تكذّبيني
فأرسل إليهما ، فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده ، فأُخذ
فقال لها : ادعي الله أن يطلق يدي ، ولا أضركِ ، فدعتْ فأُطلقَ
ثم يتناولها الثانية ، فأُخذ مثلها أو أشدّ
فقال : ادعي الله لي ، ولا أضركِ! فدعتْ فأُطلق
فدعا بعض حجبته ، فقال : إنكم لم تأتوني بإنسانٍ ، إنما أتيتموني بشيطان!
فأتتْ إبراهيمَ وهو يصلي ، وقالتْ :
كفَّ اللهُ يد الفَاجر ، وأخدم هاجرا

الدَّرْسُ الأوّل:

يقودنا هذا الحديثُ الشَّريف إلى الحديث عن عصمة الأنبياء

وللعلماءِ فيه قولان شهيران معتبران

الأول . عصمةُ الأنبياء المطلقة في الدين والدُّنيا فلا يصدر منهم الخطأ

الثاني : العصمة في الدين والإبلاغ عن الله ، واحتمال وقوع الخطأ في شأن الدُّنيا

وأنا إن كنتُ أميل إلى الرأي الثَّاني

فلا أرى فيما أفهمُ من هذا الدِّين إمكانية كذب الأنبياءِ ولو في الدُّنيا

لأننا لو قلنا به لكانَ هذا فتح بابٍ في مناقشة الكذب في الدعوة

والأنبياءُ أكرمُ من هذا وأرفعُ شأناً

والله أحكم وأحزم أن يعصم في الدِّين ولا يعصم في الكذب ولو كان في الدُّنيا

فأما كذبتيْ إبراهيم في ذات الله

فالواضح منهما أنهما من باب إقامة الحُجّة على قومه لا أكثر!

وأما الكذبة مع الفرعون فهي تدخلُ كما أرى في باب التورية!

فالمسلمُ أخو المسلم وسارة أختُ إبراهيمَ ديانةً لا نسباً

وفي المعاريضِ مندوحة عن الكذب كما قال سيِّدنا ﷺ

وقد استخدمَ -بأبي هو وأمي- التورية

فيوم هجرته مع أبي بكر ، سأله أعرابي : من أيِّ القبائل أنتم؟

فقال له ﷺ : نحن من ماء!

فقال الأعرابيُّ : قبائلُ العربِ كثيرة

وقد أراد النبي ﷺ بهذا أنه من الماء الذي خُلق منه الناس!

الدَّرسُ الثَّاني:

وبما أنّ الحَديث عن الكذب فمن نافلة القول أن نُعرِّج على مواضع إباحته!

يبيحُ الإسلام الكذب في ثلاث حالات :

الأول : الكذبُ على الأعداء

فليس من المعقولِ أن يأخذوا أسيراً مسلماً ثم يسألوه فيصدُقهم!

والحكمة من إباحته هنا ، رفعُ الضرر عن جماعة المسلمين

أما الثّانية فالكذب لإصلاح ذات البَينِ

حيثُ يباحُ لمن أراد أن يُصلح بين متخاصمين أن يذكرَ كلاماً طيباً لم يقله أحد المتخاصمين في الآخر!

والحكمة منه رأبُ الصّدع بين النّاسِ لصلاح دنياهم

وأما الثّالثة : فهي كذبُ الرجل على زوجته ، والزّوجةُ على زوجها

وهو كذبٌ من بابِ تطييب الخواطر والمُجاملة وحسن العشرة

لا يدخلُ فيه الكذبُ الذي فيه ضرر وخداع وغش

كثناء الرّجل على طعام زوجته والإشادة به وهو غير ذلك

أو مدحها والغزلُ بها وإخبارها أنها أجمل امرأةٍ في الدُّنيا وهي ليستْ كذلك

وما يُقال في الرجل يُقالُ في المرأة

فقد سألَ رجلٌ زوجته إن كانتْ تحبُّه وناشدها الله أن تصدقه

فقالتْ له : أما إنك قد ناشدتني الله ، فلا أحبك!

فشكاها إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه

فأرسلَ عمر في طلبها .. وأنّبها

فقالت له يا أمير المؤمنين ، أتريدني أن أكذبه!
فقال لها : نعم اكذبيه ، أكُلُّ البيوتِ بُنيتْ على الحُبِّ
ألا إنَّ الناس يتعاملون بالمروءة والذِّمة!

الدَّرْسُ الثّالث:

خرجتُ إلى الطبيعةِ صبيحةَ ليلةٍ كان فيها عاصفة هوجاء
فوجدتُ كثيراً من الشَجر قد انكسّر وصار ركاماً
أما الأعشاب فكانت على حالها سليمة معافاة
فتعلمتُ درساً بليغاً هو : أحياناً على المرء أن ينحني!
العاقل يُقدِّر المواقف ولا يخوضُ صراعاً خاسراً
علينا أحياناً أن نُقدر قوَّة الخصم جيداً
لأن أي خطأ في الحسابات يعني نهايتنا!
وأحياناً تغدو الطريقة الوحيدة للفوزِ ببعضِ الخلافاتِ هي عدم خوضها أساساً
وقد كان إبراهيمُ عليه السلام حكيماً
كان يعرفُ أنه إذا وقف في وجه الفرعون وماتَ سيموت شهيداً
ولم يكنْ عليه السلام جباناً ولا زاهداً في الشّهادة
ولكنه كان يعلمُ أنه أُرسل لأمر أعظم من أن يُفرط فيه في مواجهة
فأخذَ بالأسبابِ ما استطاع وأوكلَ الأمرَ إلى ربِّه
ولأنَّ الجزاءَ من جنسِ العملِ عادتْ الزوجة التي أرادها الطاغية لنفسه
سليمةً معافاة في شرفها ، ومعها امرأة صارت فيما بعد زوجةً أخرى!

الدَّرْسُ الرَّابِع:

بنتُ الأصل لا تمنُّ على زوجها!
كانتْ سارة من أجمل نساءِ الأرض
وقد قال بعضُ المُفسرين أن جمال يوسفُ عليه السَّلام هو عرق من جدته سارة!
ورغم هذا الجمال كلّه ، كانت أديبةً حبيبة
تعينُ زوجَها على الحقّ ولا تتكبر عليه بجمال حباها اللهُ إيّاه
وكذلك كانتْ أمنا خديجة رضي اللهُ عنها بنتَ أصلٍ
فاحشة الثّراء وزوجها ﷺ من أفقر النَّاس
وقد تركتْ مالها كلّه بين يديه
ولم تجعلْ هذا الفارق الماديّ حَجرَ عثرةٍ في طريقِ زواجهما
وهذا ما جعلها كبيرةً عنده حتى بعد موتها
وما كان يرضى أن تُمسّ بكلمةٍ وهي تحتَ التراب
وقد كانتْ عائشة رضي الله عنها تغارُ منها لكثرةِ ذِكره لها
وقالت له يوماً : أما زلتَ تذكرها وما كانت إلا عجوزاً في غابرِ الأزمان
وقد أبدلكَ الله خيراً منها
فقال : واللهِ ما أبدلني اللهُ خيراً من خديجة ، تلكَ امرأةٌ رُزقتُ حبَّها
أعطتني إذ حرمني النّاس ، وآوتني إذ طردَني الناس ، وآمنتْ بي إذ كذّبني الناس!

الدَّرْسُ الخامس:

المسلمُ غالٍ، والحفاظُ عليه مطلبٌ شرعيّ!
صحيحٌ أنه ليس جباناً، وأنَّه مَرْحبًا بالموت إن كُتب
ولكن الناس ليسوا قرابين تُزهقُ وبالإمكان حقنُ دمائِها
وقد كان عمرُ ﵁ معجبًا بفتوحاتِ عمرو بن العاص رضي لله عنه
لأنَّ عمرو كان داهيةً كما هو معلوم، يعقدُ الأحلافَ ويتجنّب الخصوم
ولا يخوضُ معركةً بإمكانه أن يتركَ للعدوِّ بابًا للهربِ منها
وقد كان عمر يقولُ: لعمري هذا هو النَّصر!
كان يُعجبه في القائد أن يحقنَ دماء جنده وأعدائه إن استطاع!
أن يصل إلى غايته دون دمٍ
هذه حقيقة يجب أن لا تغيب عن القادة حتى وهم في ساحات الوغى
ليعتبروا بحفاظ إبراهيم عليه السّلام على نفسه
وبدهاء عمرو وثناء عمر!

حوار بين آدم وموسى عليهما السلام

روى البخاريُّ ومسلم في صحيحهما أن رسول الله ﷺ قال :

احتجَّ آدم وموسى عند ربهما ، فحجَّ آدمُ موسى!

قال موسى : أنتَ الذي خلقكَ الله بيده

ونفخ فيكَ من روحه

وأسجدَ لك ملائكته . . .

وأسكنكَ جنَّته

ثم أهبطتَ النَّاسَ إلى الأرضِ بخطيئتكَ؟!

فقال آدمُ : أنتَ موسى الذي اصطفاكَ الله برسالته وبكلامه

وأعطاكَ الألواحَ فيها تبيان كلِّ شيء ، وقرَّبكَ نجيّاً

فبكمْ وجدتَ الله كتب التوراة قبل أن أُخلق؟

قال موسى : بأربعين عامًا

قال آدمُ : فهل وجدتَ فيها : ﴿وعصى آدمُ ربّه فغوى﴾؟

قال : نعم

قال : أفتلومني على أن عملتُ عملاً كتبَ اللهُ عليّ أن أعمله

قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟

قال رسول الله ﷺ : فحجَّ آدمُ موسى!

الدَّرْسُ الأوّل:

النُبلاءُ يُنزلونَ الناس منازلهم
ولا يحفظُ فضل الفضيل إلا الفضيل!
فكُن نبيلاً ولا تمحُ تاريخ صاحب فضلٍ بموقفٍ واحد
الكريمُ إذا منعَ مرةً لا يُنسى كرمه السابقَ
والحليمُ إذا غضبَ مرّةً لا يُنكر حلمه السابق
والمثابرُ إذا وهن مرةً لا يجحدُ ما كان منه من مثابرة
وانظر لحوارِ النُّبلاء بين آدم وموسى عليهما السّلام
إنهما يختصمان في أهم قضيّةٍ في الوجود «قضية الجنَّة»
فلا لومُ موسى لآدمَ أنساه فضلَ آدم
ولا دفاعُ آدم عن نفسه أنساه فضلَ موسى
فاحفظْ للنَّاسِ مكانتهم ولو اختلفتَ معهم!

الدَّرْسُ الثَّاني:

نحن أمة الغيب!
وما نُؤمنُ به ولم نشهده أكثر مما نؤمنُ به وقد شهدناه!
نؤمنُ بالنَّارِ والجنّة والبعثِ والحسابِ والصراطِ والملائكةِ وكلها غيب
وأولُّ صفةٍ من صفات المتقين في القرآن إيمانهم بالغيب!
وقد قال ربنا في فاتحة البقرة:
﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ، الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾

فالإيمانُ بالغيبِ جاء قبل الصَّلاة والزَّكاة والصَّدقة
ذلك أن العبادة دون إيمانٍ ليستْ إلا مشقة منزوعة الأجر!
وهذا حوار جرى في عالم الغيبِ أخبر به الصَّادقُ الأمين
نؤمنُ به كما نؤمن بسائرِ الغيبياتِ دون : متى ولماذا وكيف!

الدَّرْسُ الثَّالث:

رأيكَ يحتملُ الخطأ فلا تمشِ في الأرض معتبراً نفسك معصوماً!
ومآخذكَ على النَّاسِ ليست إلا رأياً
ربما لو عرفتَ ظروفَهم وسمعتَ منهم لا عنهم
لعلمتَ أنكَ بنيتَ موقفاً خاطئاً منهم
فهذا موسى عليه السَّلام جاءَ آدمَ عليه السلام مقتنعاً أنه أخطأ
فما انتهى الحوار إلا وحجَّ آدم موسى!
فلا تحللْ موقفاً وتستخلص منه رأياً وتجعله بعد ذلك ديناً!
إنَّ المسمارَ بمنظارِ الخشبة : مجرمٌ يثقبها
لو علمت الخشبةُ الضربَ الذي نزلَ على رأس المسمار لعذَرتْه!

الدَّرْسُ الرَّابع:

الرأي يُضرب بالرأي ، والحُجة تُقرع بالحُجَّة!
السيفُ لا يلغي رأياً صائبًا ولو أثخنه!
والقوة لا تُلغي حقاً ولو انتصرتْ عليه جولة!
فلا تُفكر بيديك!

إنَّ الذي يستخدمُ سيفَه حيث بإمكانه أن يستخدم عصاه أحمق
والذي يستخدمُ عصاه حيث بإمكانه أن يستخدم لسانه أهوج
والذي يستخدمُ لسانه حيث تكفي نظرة متسرّع
كُنْ قوياً ولا تكُنْ أهوجاً
وتذكرْ دوماً أن كسبَ الأشخاصِ مُقدَّمٌ على كسب المواقف
والذي يسعى للانتصار في كلِّ موقفٍ لن يبقى معه أحدا!

الدَّرْسُ الخامس:

تكرّمَ اللهُ على هذه الأُمَّة أن حفظَ لها قرآنها
وأنّه سبحانه إذ لم يحفظ الكتب السَّابقة فليس عن عجزٍ منه
ولكنه يريدُ أن يقضيَ أمراً كان مفعولًا!
وابحثْ في التوراة عن ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾ فإنكَ لن تجد!
وفي الحديث خبرُ نبيٍّ لنبيٍّ أنها موجودة
ولكن أحبار بني إسرائيل حرفوا التوراة
كما حرَّفَ رهبان النصارى الإنجيل
وإنها لنعمة أن نتلو كتابًا هو كتاب الله حقًا!
وأن نقرأ كتابًا هو كلامُ الله الذي نزل من فوق سبع سماوات
وإن هذا القرآن كتاب حياة أُنزل : لينذرَ به من كان حيّاً!
لا ليُقرأ على الأموات وتُقام به الأجور
ولستُ أناقش مسألة انتفاع الميت من القرآن من عدمه
هذا بحثٌ يطول ، ليس المقام مقامه ولا الموضع سرده
ولكن من لم ينتفع به حيًا ما كان لينتفع به ميتًا!

الدَّرْسُ السَّادس:

نُثبتُ ما أثبتَ اللهُ لنفسه
من غير تحريفٍ ولا تعطيلٍ ولا تمثيلٍ ولا تكييفٍ
نثبتُ اليدَ لله على مراد اللّه الذي ليس كمثله شيء
وإن كانتْ اليدُ هنا بمعنى القدرة كما أولها مسلمون نعتقدُ صحة إسلامهم
فمن الحشو ذكرها أساساً فكلنا قد خلقنا الله بقدرته!
وعندما قال الله لإبليس : ما منعكَ أن تسجدَ لما خلقتُ بيديّ
فلو كانت تعني القدرة
لقال إبليسُ : وأنا خلقتني بقدرتك!
ولكننا ونحن نؤمن بهذا نلتمسُ العذرَ لإخواننا المسلمين الذين تأوّلوا
ولا نُشكك بإسلامهم وإيمانهم فما أرادوا إلا تنزيه الله
عما اعتقدوا أنه يُنقصُ من حقه
ومن كفّر مسلمًا أثبتَ لله ما جاءَ بظاهر النص ولم يتأوّل
فقد أساء الأدب مع الله!
وأيُّ قلّة أدب أكبر من أن يعتقد مسلم أن الله أنزل كتاباً ظاهره الكفر!
وحسابُ الناس جميعاً على الله!

الدَّرْسُ السَّابع:

كتبَ اللهُ كلَ شيءٍ في اللوحِ المحفوظ
وكلُّ ما كتبه الله في اللوحِ المحفوظِ كائنٌ لا محالة
وأما أفعالُ النَّاسِ التي كتبَها الله بعلمه المطلق
لا يُسقط كتابتها مسؤوليتهم عنها فلا نُنزل هذه الحادثة على كل فعل
وإلا لانتفى مفهومُ الثوابِ والعقاب
ولاتهمنا الله سبحانَه بالظلمِ دون أن ندري
فكيف يُحاسبُ الله النَّاسَ على أفعالٍ قد كتبها عليهم
والجوابُ على هذا أن علم الله مطلق لا يساوره خطأ
ولتقريبِ الفكرة نأخذُ هذا المثل
رزقكَ الله ولداً وربيتَه تحت ناظريك لسنين طويلة
عرفتَ أخلاقَه ومعتقداته ونفسيته
ثم لما عرفتَ كل هذا تنبأتَ أنَّ ابنك هذا سيسرقُ
قد تصدقُ نبوءتُكَ وقد تخيبُ
فإن صدقتْ فهل تكون قد أجبرتَه على السرقة؟
أم أنَّ كلّ ما في الأمر أنكَ قدّرتَ الأمور فأصبتَ
وهذا كذاك، مع فارقٍ مهم يجب ألا يغيبَ عن بالنا:
أنَّ علمنا محدود وعلمَّ اللهِ مُطلق
وأنَّ علمنا حدسٌ وعلمُ الله يقين
والنَّاسُ ليس لهم أن يحتجوا بقدر الله على أفعالهم
طالما أنهم أحرار أن يفعلوا أو لا يفعلوا

ثم إننا لا نعرفُ قدرَ اللهِ إلا حين يقعُ
وكون الإنسان قد قتلَ أو سرقَ فقد فعل قدر اللهِ غير مُجبرٍ عليه
وإلا ما بقي دِينٌ ، ولا كان هناكَ غاية من إرسال الرُّسلِ
يعلمُ الله أهلَ الجنَّةِ وأهلَ النَّارِ قبل خلقهم
ولكنَّه يرسلُ إليهم الرُّسلَ ليمشوا في دروب أقدارهم مختارين!

الذي قتلَ مئةَ نفسٍ

روى مسلم في صحيحه أن النبيَّ ﷺ قال :
كان فيمن كان قبلكم رجلٌ قتلَ تسعةً وتسعين نفسًا
فسألَ عن أعلمِ أهلِ الأرضِ ، فدُلَّ على راهبٍ
فأتاه فقال : إنه قتلَ تسعةً وتسعين نفسًا فهل لَه من توبة؟
فقال : لا
فقتله ، فكمَّلَ به مئةً!
ثم سألَ عن أعلمِ أهلِ الأرض ، فدُلَّ على رجلٍ عالمٍ
فقال : إنَّه قتلَ مئةَ نفسٍ فهل له من توبةٍ؟
فقال : نعم ، ومن يحولُ بينَه وبينَ التوبة
انطلقْ إلى أرضٍ كذا وكذا
فإن بها أناسًا يعبدون اللهَ فاعبد اللهَ معهم
ولا ترجعْ إلى أرضكَ فإنها أرض سوء
فانطلقَ حتى إذا نصفَ الطريق أتاه الموت
فاختصمتْ فيه ملائكةُ الرَّحمةِ وملائكةُ العذابِ
فقالتْ ملائكةُ الرَّحمةِ : جاءَ تائبًا مقبلًا بقلبِه إلى الله
وقالتْ ملائكةُ العذابِ : إنه لم يعملْ خيراً قط
فأتاهم مَلَكٌ في صورةِ آدميٍّ ، فجعلوه بينَه
فقال : قيسُوا ما بين الأرضين ، فإلى أيتهما كان أدنى فهو له
فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرضِ التي أراد
فقبضتْه ملائكةُ الرَّحمة

الدَّرْسُ الأَوَّل:

للحصول على نسخة كاملة

من الكتاب

اكتب في خيار البحث على فيسبوك

مكتبة الرمحي أحمد

وتابع الصفحة

سنطرح رابط كامل قريبا

نوفر لك رابط تحميل مباشر

كتب جديدة

نرجوا دعم الصفحة

لنستمر معكم وفي خدمتكم

ب الله

واقعدْ فإنك أنتَ الطاعمُ الكاسِي
قال له عمر على ضلوعه في الشعر ما أرى فيه هجاءً
فقال له الزبرقان : أيكون حسبي من المكارم أن أُطعم وأُكسى؟
فأراد عمر رضي الله عنه أن يتثبت
فلم يرسلْ في طلب أُبيّ وهو أقرأُ الصحابةِ لكتاب الله
ولا إلى ابن عباس وهو ترجمانُ القرآن
ولا إلى معاذٍ وهو أعلمُ الناس بالحلال والحرام
ولا إلى أبي هريرة وهو أكثرُ الصحابة رواية للحديث النبوي
وإنما أرسلَ في طلبِ حسَّان بن ثابت
لأنَّ القضية شِعر وأهلُ الفتوى فيها هم الشُّعراء
فقال حسان : لم يهجه فقط ، بل ذرقَ / بال عليه
كناية عن شدّة الهجاء
فحبس عمر رضي الله عنه الحُطيئة!

الدَّرْسُ الثَّاني:

من قال الله أعلم ، فقد أفتى!
فلا تتحرجْ أن تقول الله أعلم إذا لم تعرفْ حُكم مسألةٍ
فلا تحملْ وزرَ النَّاسِ لأنكِ خجلتَ أن تقولَ اللهُ أعلم
وها هو الشعبيُّ المُحدِّثُ العالمُ والفقيه والقاضي
يُسألُ عن مسألةٍ ، فيقول : الله أعلم
فقالوا له : أما تستحي أن تقولَ الله أعلم وأنت فقيه العراق؟!
فقال إن الملائكة لم تستحِ يوم قالت :

﴿سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا﴾!
وها هو مالك بن أنس إمام دار الهجرة
الذي كان يقال فيه ، لا يُفتى ومالك في المدينة
جاءَه رجلٌ من العراق بأسئلة
فأجابَ عن بعضها ، وسكتَ عن بعضها الآخر
فقال له الرَّجلُ : ماذا أقولُ لأهل العراق يا مالك؟
فقال له : قلْ لهم إنَّ مالكاً لا يعلم!

الدَّرْسُ الثَّالث:

إياكَ أن تعتقد أن ذنبكَ مهما عظُم فهو أعظمُ من رحمةِ الله
إنَّ الشَّيطانَ لا يريد منكَ إلا هذه!
يريدُ أن يُكبِّر الذنبَ في عينيكَ ويصغِّرَ رحمة الله
ورحمة الله أوسعُ من ذنبك ، كُنْ على ثقة بهذا
هذا رجلٌ قتل تسعةً وتسعين إنساناً ثم قرر أن يتوب
فانتكسَ مُجدداً وأكملَ ضحاياه على المئة
ثم لمَّا علم اللهُ في قلبه خيراً هيَّأ له سبب التوبة
وقد صَدقَ الله ، فصدقه الله
حملَ زاده ومتاعه وارتحل ، فجاءه الموتُ في الطريق
وفي روايةِ البخاريِّ أن الملائكة لما قاسوا المسافة
كان الرَّجلُ في وسطِ الطريق تماماً
فأوحى اللهُ إلى الأرضِ أن تقاربي حتى كان أقرب لبلد الصالحين!
هذا التائبُ في حقيقة الأمر لم يكن إلا سفَّاحاً

يقتلُ عند أهون سببٍ ، وقد قتلَ رجلاً لم تعجبه فتواه
وليس بعد الشِّركِ ذنبٌ أعظم من القتل ، وقد تاب الله عليه
فلا علاقاتك المحرمة أكبر من رحمة الله
ولا قبولك الرِّشوة أكبر من رحمة الله
ولا شربكَ الخمر أكبر من رحمة الله
وانظرْ إلى الصَّحابة الذين عاصروا البعثة الشريفة كيف كانوا قبلها
هذا عمر خرج ليقتلَ رسول الله صلى الله عليه وسلّم
وهذا عكرمة أهدر النبي ﷺ دمه يوم الفتح
وهذا خالد قلبَ نصر المسلمين هزيمة يوم أُحد
ثم انظرْ إلى رحمةِ الله
عمر يملأ الأرض عدلاً ورحمة
وعكرمة شهيدُ اليرموكِ وقائد الميمنة
وخالد سيف الله المسلول الذي أدّب به أبو بكر الروم وفارس
والناسُ معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا
وما زلنا نرى ونسمع في عصرنا عن أشخاص
كانوا من أشرس أعداء الإسلام فصاروا بالتوبة أشرس المدافعين عنه
فإن عُرفتَ في المعصية
فما زال الباب مفتوحاً لتُعرفَ بالطاعة

الدَّرْسُ الرَّابِع:

لا تقفْ بين النَّاسِ وبينَ الله!

النَّاسُ يحتاجون لمن يأخذُ بأيديهم إلى الله

فلماذا تدفعهم عنه!

حدِّث العصاةَ عن رحمةِ اللهِ قبلَ عذابه

وعن عدلِه وعفوِه قبل انتقامِه

في الجنَّة متسعٌ للجميع فلا تقلقْ على مكانك!

عامل العصاة بالرحمة وَاشفقْ عليهم

يرى النبيُّ ﷺ راهباً يقومُ الليلَ على دين باطل فيبكي

ويُسألُ : ما يُبكيكَ يا رسول الله؟

فيقول عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية!

لم يسرُّه أن يدخلَ رجلٌ النَّارَ وهو على دينٍ آخر

فهل يسره أن يدخلها رجلٌ من أهلِ الإسلام

ويدخل على يهوديٌّ في سكراتِ الموت فيدعوه فيُسلم

فيقول : الحمدُ لله الذي أنقذه بي من النار!

إنَّ أحبَّ عباد اللهِ إليه أشدّهم تحبيباً لعباده إليه!

ألا يكفي الناس ذنوبهم التي أحاطت بهم ، وشياطينهم التي تسلطت عليهم

حتى نكون نحن أيضاً عليهم

يقومُ النبيُّ ﷺ الليل كله في آية

﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾

فيخبره ربه أننا سنرضيكَ في أمتك
هذه الرحمة يجب أن نضعها نُصبَ أعيننا
وأن نكره الذَّنبَ لا المُذنب!
وفي الحديث : أن نبياً ضربه قومه فأدموه
فأخذ يمسح الدم عن وجهه ويقول : اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون!

الدرسُ الخامس:

الموتُ يأتي بغتة
فصاحبُنا ماتَ في الطَّريقِ وما ظنّ وهو يمشي أن يموت
ولكن ما أحلاها من موتةٍ وما أحلاها من طريق
مات في الطريق إلى الله!
اجعلْ حياتكَ سَفراً إلى الله ، ثم ما ضرك متى تموت!
وانظر حولكَ كم زرعٍ ما عاش صاحبُه ليحصده
وكم بيتٍ بُني ما عاشَ صاحبُه ليسكنه
وكم مقعدٍ دراسيٍّ مات صاحبه وما تخرّجَ منه!
كم طفلٍ دفنتَ ، وكم صغيرٍ شيعتَ
كم فتاةٍ كالبدرِ حُسناً ، حُملت إلى القبر لا إلى عريسها
لا تقلْ غداً أتوب
فإنَّ غداً قد لا يأتي عليك
وكل الذين ماتوا منذ ساعة ، اعتقدوا مثلنا أنهم لن يموتوا!

الدَّرْسُ السَّادس:

النوايا مناطُ قبول الأعمال
النِّيةُ وحدها ترفعنا عالياً وإن لم نعملْ!
أصابتْ مجاعةٌ بني إسرائيل زمنَ موسى عليه السلام
فنظر فقير إلى الجبال وقال :
اللهم إنكَ تعلمُ أنَّه لو كان لي مثل هذه الجبالِ ذهباً لأنفقتُها على عبادك
فأوحى الله إلى موسى أن قُلْ لعبدي أنّا قبلنا منه صدقته!
والنِّيةُ وحدها تحطنا وإن عملنا
فهذا ابن سلول يصلي الفجرَ جماعةً خلفَ رسول الله ﷺ
وهو في الدَّركِ الأسفلِ من النار!
أصلحْ نيتك تصلُح أعمالك
وإياك أن تكون كمن يزرعُ قمحاً في البحر فلا يناله إلا الجهد
وما له في كل هذا من أجرا

للحصول على نسخة كاملة

من الكتاب

اكتب في خيار البحث على فيسبوك

مكتبة الرمحي أحمد

وتابع الصفحة

سنطرح رابط كامل قريبا

نوفر لك رابط تحميل مباشر

كتب جديدة

نرجوا دعم الصفحة

لنستمر معكم وفي خدمتكم

للحصول على نسخة كاملة

من الكتاب

اكتب في خيار البحث على فيسبوك

مكتبة الرمحي أحمد

وتابع الصفحة

سنطرح رابط كامل قريبا

نوفر لك رابط تحميل مباشر

كتب جديدة

نرجوا دعم الصفحة

لنستمر معكم وفي خدمتكم

فحين يُحدِّثنا القرآنُ عن ابني آدمَ عليه السّلام لا يذكر اسميهما
وإنما عرفنا هذا من أخبارِ الأمم السابقة
ذلك أنه إن كانا «هابيل وقابيل» أو «أحمد وخالد» فلا إضافة
ما يعنينا هو موقف كل شخصية من هاتين الشخصيتين
الحَسُود الطمّاع ، رافض حكم الله ، قاتلُ أخيه
والمؤمنُ التقي ، القوي الورع
الذي ما كان له أن يمد يده إلى أخيه ليقتله ولو بادرَ أخوه
وحين يُحدّثنا القرآنُ عن مؤمنِ آلِ فرعون يخفي اسمه أيضاً
ذاك أن العبرة في الموقف
وحين يُحدّثنا عن شاهد يوسف عليه السلام
فلا يذكره إلا «شاهد من أهلها»
وهويته إنّما عرفناها من الأحاديثِ والآثار
لأنّها تفصيل صغير والمهمُّ منها الموقف لهذه الشّخصية
والذي جاء من أقصى المدينة يسعى لنصرة المُرسلين في سورة «يس»
ورد ذكره «رجل» هكذا بالتّنكير
ذلك أن المواقف أهمّ من الناس!
وحين يُحدّثنا القرآنُ عن النّمرود لا يذكر اسمه
ذلك أن المهمّ من القصّة موقف الطّغيان لا هوية الطّاغي
وحين يُحدّثنا عن الذّبيح إسماعيل عليه السلام لا يسميه لنا
ذلك أنّ المُهمّ هو موقف البرِّ المذهل
وحتى الذين ذُكرت أسماؤهم سواءً في القَصص القرآنيِّ أو النّبويّ
فإنما ذُكرتْ للموقفِ الذي قامَ به هذا الشخص
فحين يحدّثنا اللهُ عن محاولةِ إحراق إبراهيم عليه السلام

فليخبرنا عن المجتمعات المريضة، وثبات المؤمن
لا ليسردَ لنا سيرة ذاتية لإبراهيم ولا تأريخاً للأمم السَّابقةِ
وإن كان هذا يتحققُ ضِمنًا في سياق القصّة
وحين يُحدِّثنا عن طوفان نوح عليه السلام
فليخبرنا كيف يُصبحُ النَّاسُ بالضلال أحطّ من الحيوانات
بنداءٍ واحدٍ تركبُ الحيوانات السفينة
وبتسعمئةٍ وخمسين سنةً من الدّعوة لا يركبُ معه إلا قليل
وليخبرنا أنّ الدُّعاة لا يملّون لأنّه لا تعنيهم النتائج
المهم أن يبقوا سائرين على الطريق!
وحين يُحدِّثنا عن موسى عليه السلام مع فرعون
فليخبرنا أن قدرَ اللهِ نافذ لا محالة رغم أنف الطغاة
قتلَ فرعونُ آلاف الأطفال في طلب موسى
ولمَّا جاء موسى ربَّاه في قصره!
وليخبرنا أنّ الأسبابَ إنما تجري على النَّاسِ ولا تجري على الله
فالعصا لا تشقُّ بحراً بالعادة ولكنّها تفعلُ إن أراد الله هذا
لهذا في كل حدثٍ، وفي كل موقفٍ، وفي كل قصّةٍ
تأمل الفعلَ لا الفاعل، والحدث لا القائم به
ولو تأملتَ في الحياةِ جيداً لوجدتَ أنّ الصراع بين الحق والباطل
هو ذاته في كل عصر وإنما يتغيّر المحاربون
كلُّ طاغيةٍ في أيّ عصرٍ هو فرعون والنّمرود
وكلُّ داعيةٍ في أيّ عصرٍ هو إبراهيم وموسى
كل جيش للباطل هو جيشُ أبرهةَ وجيشُ قريش يوم بدر
وكلُّ طائفةٍ مجاهدة هي جيشُ يوشع بن نون وجيشُ الصحابة

الدرسُ الثّاني:

إذا ذُكّرتَ باللهِ ارتدعْ ولا تأخذكَ العزة بالإثمِ
أحياناً تُصبح المكابرة بعد اقتراف الذنب أكبرَ من الذّنبِ نفسه!
وانظرْ إلى آدم وإبليس كلاهما قد عصى ربّه
عصى إبليسُ ربّه لحظة رفض السُّجود لآدم
وعصى آدم ربه لحظة أكله من الشجرة المحرمة
واحدة بواحدة وليست العاقبة سواء
فلما عُوتِبَ إبليس استكبر، ولمّا عُوتِبَ آدم استغفر
وشتان بين متكبرٍ ومستغفرٍ!
إياكَ أن تُذكّرَ باللهِ فتطغى...
فإنّ ذنبَ الغافلِ أيسر من ذنب المُصرّ
إذا قُلت كلمة أغضبتْ قريباً وجاء من يُذكرك بخطئك
فلا تجمع عليك خطأين: خطأ الكلام السيّء وخطأ الاستكبار
إذا قطعت رحمًا وجاء من يذكرك فضل صلة الأرحام
فلا تجمع ذنب قطع الرحم وذنب الاستكبار
إذا ارتكبت إثماً بحقّ اللهِ فتركت صيامًا أو صلاةً وذُكّرت
فلا تتجبر فإنما وصف اللهُ الوليدَ بن المُغيرة بأنّه أدبرَ واستكبرَ
وإنّ ذنبًا ترتكبه وتشعر بالانكسار بعده
قد يكون لك عند الله خير من طاعة تملأك بالعُجب!
هذا بعد اقتراف الذُّنوب، أما قبلها فلا عُذر
لأن فيها جرأة على الله ما بعدها جرأة
إن صار إليكَ أمرُ مالٍ تحفظه وأردتُ أن تُضيعه فذُكّرتَ فارتدع

فإنّ شرَّ ذنب يُرتكبُ بعد تذكير لأنَّ فيه تحدٍ وإصراراً
وتذكرْ أنَّ الكبير هو الصغيرُ أمام الحقّ!
وهذا عمر بن الخطاب يحكمُ بلادًا شاسعة ورعية بالملايين
يصعدُ المنبر ويريدُ أن يحدد المهور بعدما رأى مغالاة الناس فيه
فتقومُ إليه الشّفاءُ بنتُ عبد الله وتقول له : ليس لكَ هذا
إن الله يقول : ﴿وإن آتيتم إحداهن قنطاراً﴾ فبأيِّ حقٍّ تحدده؟
فيقول ﷺ : أصابتْ امرأةٌ وأخطأ عمر!
فلم يجد حرجاً أن ينزل على الحقّ أمام الناس وهو الخليفة
فما بال أحدنا يرفض الحقّ بينه وبين من ينصحه
وهذا بطل قصتنا يشتهي ابنة عمّه كأشدّ ما يشتهي الرِّجالُ النساء
وينفقُ وقته عملاً وكداً يجمع مالاً للحصول عليها
ولمّا صارت بين يديه ذكرته بالله قائلة : اتقِ الله ولا تفضّ الخاتمَ إلا بحقه
فقام عنها وهي أحبُّ نساءِ الأرضِ إليه!

الدّرْسُ الثّالث:

إيّاك وحقوقُ النّاسِ فالله يغفرُ ما كان له ولا يتساهل بما للناس
وهذا الشهيد يُغفر كل ذنبِه مع أوّل قطرة من دمه إلا الدّين!
هذا لأن الدّين من حقوق النّاس!
وأيما لحم نبتَ من حرام فالنّارُ أولى به
وقد جاءً في الحديث : "إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون إليَّ
ولعلّ أحدكم أن يكونَ ألحنُ بحجته من أخيه فأقضي له على نحو
ما أسمع

فمن قطعتُ له من حقِّ أخيه شيئاً فلا يأخذه فإنما أقطعُ له قطعةً من نار»!

إنَّ حقوق الآخرين لا يُحلّها أن يُقضى بها النبي ﷺ
فما بالك إذا قضتْ بها المحاكم التي أقامها أهل الأرض
ما ليسَ لك حرام عليك وإن قضت به محاكم الدنيا كلّها
وتذكر أن في الآخرة محكمة تُرد فيها الحقوق حيث لا درهم ولا دينار
إنما الحسابُ بالحسنات والأعمال، وقت أننا أحوج ما نكون إلى حسنة
إياك أن تستقوي بالقانون على الضعفاء
وإياك أن تُصدِّق مقولة الأغبياء القانون لا يحمي المغفلين والبسطاء والضعفاء
كون النَّاس بسطاء لا يحل سرقتهم
فالسرقة حرام بغض النظر عن هوية المسروق بسيطًا كان أم ذكيًّا!
ومما ابتلي به الناس في هذا العصر، المظاهر الفارغة
يدفع أحدهم بقشيشاً بالآلاف في مطعم فاخر
ويسرق أجر عامل بسيط لا يساوي ثمن فنجان قهوة في مطعم فاخر
إن الكرم الحقيقي أن تؤدِّي للناس ما لهم عليك
لا أن تُهدي مسؤولاً سيارة وتسرق خادمتك!
والأناقة الحقيقية هي أناقة دفع الحقوق
لا أناقة ربطات العنق والعطور الباهظة
للأسف هذا عصر لا يعرف الناس فيه الأناقة إلا في الثياب
ولو تأملتَ أرواحهم وقلوبهم لوجدتها رثة

وانظرْ لصاحبنا تركَ العاملُ أجره ومضى قبل أن يأخذه
فأخذه ونَّماه وشغله ولَّما عادَ أعطاه كل شيء
لا نريدُ أن نُشغلَ رواتب البسطاء والمساكين وإن كان هذا شيء جميل
نريدُ أن نعطيهم حقوقهم
هذه المبالغ الزهيدة سرقتها لن تغنيك ، وتأديتها لم تُفقرك
فلا تكن عبداً للمال ، لا يدفع حقًا إلا بالقوة
الأحرار يدفعون ما عليهم ، ولو كانوا على قدر من القوة أن لا يسألهم أحد!

الدَّرسُ الرَّابع:

الدُّعاء سلاح المؤمن فلا تستهن به!
وفي الحديث : لا يردُّ القدر إلا الدُّعاء
فما بالنا آخر باب يُطرق هو باب الله
منذ متى كان الرزقُ والشِّفاءُ والأولاد والأزواج والنَّصرُ بيد النَّاس؟
هذه أمور كلُّها بيد الله وما الناس إلا أسباب
فما بالنا نتعلَّقُ بالأسباب ونترك مُسببها
والأخذُ بالأسباب شيءٌ مشروع بل واجب
ولكن إياك أن تجعل يقينك على الأسباب
الدواءُ سببٌ في الشِّفاء ولكن الشافي هو الله
والعملُ سبب في الرزق ولكن الرازق هو الله
والزَّواجُ سبب في الأولاد ولكن المعطي هو الله

كم من إنسان تداوى ولم يَشفَ
وكم من إنسان عمل ولم يغتنِ
وكم من إنسان تزوّج ولم يُنجبْ
إن الله يُحبُّ أن يُسأل ، والإنسانُ يُحبُّ أن يُعطى
فقدّمْ لله ما يُحبّ ليعطيك ما تُحب
إن الله إذا نظرَ إلى قلبك ورآك زاهداً عنه بالأسباب
تركك إلى ما زهدتَ به عنه
وإذا نظرَ في قلبك ورأى أنه ليس فيه أكبر منه سبحانه
هيأ لكَ الأسباب وسخّر لك الناس
هذا آدم عليه السلام وزوجته يذنبان فيدعوان :
«ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين»
فكانت المغفرة
وهذا نوح عليه السلام لما ضاق ذرعاً بقومه يدعو :
﴿ربِّ لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً»
فكان الطوفان!
وهذا إبراهيم عليه السلام يُسلم أهله لربه فيدعو :
﴿فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم﴾
فكانت مكة حنين القلوب على مدار العصورا
وهذا لوط عليه السّلام تضيقُ عليه الأرض فيدعو :
﴿ربِّ انصرني على القوم المفسدين﴾
فيحمل جبريل القُرى بجناحه ، حتى إن الملائكة لتسمع نباح الكلابِ فيها
لشدة اقترابه بها من السماء ، ثم يقلبها رأساً على عقب!

وهذا يوسف عليه السلام تُسد أبوابُ الأرض في وجهه فيدعو

﴿وإلا تصرف عني كيدهن أصبُ إليهن وأكن من الجاهلين﴾

فيصبح عزيز مصر!

وهذا موسى عليه السلام يهوله المسؤولية التي أُلقيت على عاتقه فيدعو

﴿ربِّ اشرح لي صدري ، ويسّر لي أمري ، واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي ، واجعل لي وزيراً من أهلي ، هارون أخي﴾

وعلى الفور يخبره ربه : ﴿قد أوتيت سؤلك يا موسى﴾!

وهذا سُليمان عليه السلام علم أنه نعم الحاكم العادل فدعا :

﴿وهب لي ملكًا لا ينبغي لأحدٍ من بعدي﴾

فملّكه الله رقاب الجن!

وهذا يونس عليه السلام في ظلمة الليل والبحر وبطن الحوت فيدعو

﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنتُ من الظالمين﴾

فيصبح بطنُ الحوت المفترس ، له وعاءً وحضنًا!

وهذا زكريا عليه السلام يشتاقُ أن يكون أبًا فيدعو

﴿ربِّ هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء﴾

فتناديه الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب تبشره بيحيى عليه السلام

الدنيا معركة مستعرة ، والدعاء سلاح المؤمن

والمحاربُ الذكيّ لا ينزلُ إلى ساحة المعركة دون سلاحه!

الدرسُ الخامس:

إنَّ من رحمة الله أنَّ العبدَ إذا همّ بحسنةٍ ولم يفعلها
كُتبت له حسنة كاملة
وإن فعلها كُتبت له عشر حسنات
وإذا همّ بالسيئة ولم يعملها كُتبت له حسنة كاملة
وهذا صاحبنا أراد الزِّنا وسعى له سعيه
ولما همّ به وذُكّر بالله ارتدعَ فصارتْ له منقبة
أزاح اللهُ له بها صخرةً كبيرةً عن بابِ الغار
إذا هممتَ بسيِّئةٍ وتذكرت أنها سيئة
فاعلم أن الله ذكَّركَ لأنه يحبك
الذين يبغضهم الله يبتليهم بالغفلة فلا يرون إلا ما تملي عليهم شهواتهم
فلا ترد الحُبّ بالبغضاء!
كلُّ خطوةٍ أردتَ أن تمشيها في حرامٍ وارتدعتَ
ستُكتبُ لكَ خطوة مشيتها في حلاَلٍ
وكلُّ درهم كنت ستنفقه في حرامٍ ثم ارتدعتَ
سيُكتبُ لكَ درهماً كأنما أنفقته فيّ صَدقة
كلُّ كلمةٍ في باطل كنتَ ستقولها ثم ارتدعتَ
ستُكتب لكَ كأنها كلمة قلتها في حق
يا لرحمة الله حتى الطريق إلى النّارِ تُصبحُ طريقاً إلى الجنَّةِ
حين قررتَ أن لا تمشي فيها!

الدَّرْسُ السَّادس:

اخترْ دوماً رفقة صَالحة
هذا كلبٌ خلّد الله سبحانه ذِكرَه في كتابه العزيز
فقط لأنه اختارَ رفقةً صالحة
فلا يكن كلب أفقه منا في اختيار الصُّحبة!
وانظرْ إلى الثلاثة أصحاب الغار
ماذا لو أنَّ أحدُهم لم يكن له عند الله خبيئة وعملًا صالحًا
لكانوا بقوا في الغار وهلكوا
ولكن اجتمعَ صلاحهم معًا فنجوا جميعًا
ومن أمثال الجدَّاتِ : الصَّاحبُ ساحب!
وشتان بين صاحبٍ يأخذُ بيدك إلى الجنة
وبين صاحبٍ يأخذكَ من يدك إلى النار!

قضاء سليمان عليه السلام

روى البخاريُّ ومسلم في صحيحهما أنَّ رسول الله ﷺ قال :
كانت امرأتان معهما ابناهما فجاء الذئب فذهبَ بابن إحداهما
فقالت لصاحبتها : إنما ذهب بابنك
وقالت الأخرى : إنما ذهب بابنك
فتحاكمتا إلى داود عليه السّلام فقضى به للكبرى
فخرجتا على سليمان بن داود عليهما السلام فأخبرتاه
فقال ائتوني بالسِّكين أشقه بينكما
فقالت الصغرى : لا تفعلْ يرحمك الله هو ابنها
فقضى به للصغرى!

الدَّرْسُ الأوّل:

فضّلَ الله الأنبياء عليهم السّلام بعضهم على بعض
فأولوا العزم من الرسل أفضل الأنبياء على العموم
أما على الخصوص فقد يُعطي الله نبيًا أمرًا لم يعطه لغيره
وهذا لا يقتضي فضل المُعطى على الذي لم يُعط
فهارون عليه السلام أفصح من أخيه موسى عليه السّلام
بشهادة مُوسى نفسه ، ونصّ القرآن الكريم
ولا خلاف أن موسى أفضلَ من هارون عليهما السلام وكلاهما فاضل!
وسليمان عليه السلام أوتي ملكًا لم يعطه أحد قبله ولا بعده

وكان عيسى عليه السلام فقيراً وهو أفضل من سليمان وكلاهما فاضل!
وألانَ الله لداود الحديد ولم يلنه لمحمد ﷺ
وهو أفضل خلق الله على الإطلاق
وما يُقال عن الأنبياء عليهم السلام يُقال فيمن دونهم من النّاس
فخالد بن الوليد أوتي حنكة في الحرب ليستْ لأبي بكر رضي الله عنهما
وأبو بكر لا يعدله أحدٌ من الصحابة
وكان أُبيٌّ بن كعب أقرأ لكتاب الله من عمر رضي الله عنهما
ولا خلاف أن عمر أفضل من أُبيّ
وكان معاذ بن جبل أعلم بالحلال والحرام من عثمان رضي الله عنهما
وعثمان أفضل من معاذ!
فالأفضلية إذاً إنما تكون بالمجموع والعموم وليس بواحدة فقط
هذا أمر يجب أن لا يغيبَ عن أذهاننا ونحن نقرأ هذه القصة
كما لا يجب أن ننظر لحكم داود عليه السّلام بالخطأ المحض
فلا شكّ أنه اجتهدَ في الحكم وقضى بما رآه من أدلة
وقد تكون الكبرى أفصحُ لسانًا من الصغرى
ولمّا لم يكن من بينة لهذه أو تلك كان منه ما كان

الدَّرْسُ الثَّاني:

كان سليمان عليه السلام داهية في القضاء
والقصة التي بين أيدينا ليست إلا واحدة وهناك غيرها
وقد ذكر الله دهاءه في القرآن إذ حكم وأبوه في الحرث
﴿وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشتْ فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين﴾
والقصَّة أنَّ أغنام رجلٍ دخلتْ في الليل على زرع رجل آخر
فأكلتْ من الزَّرع ما أكلَتْ، وأتلفت منه ما أتلفتْ
ثم إن الرجلين اختصما إلى داود عليه السلام
فقضى أن يعطي صاحب الأغنام أغنامه لصاحب الزَّرع نظيرَ ما أفسد
فلما خرجا من عنده التقيا بسليمان عليه السلام
فسمع من هذا ومن ذاك
ثم قال: ليس الحكم هذا!
وإنما يأخذُ صاحب الأرض أغنام صاحبه فينتفع بلبنها
ويقوم صاحب الأغنام على أرض صاحبه فيصلح ما أفسدتْ ماشيته
فإذا عادت سيرتها الأولى، أخذ هذا أرضه واستردَّ هذا غنمه!
وأثنى الله على حكم سليمان عليه السلام قائلاً: ﴿ففهمناها سليمان﴾!
ولم ينسَ فضل داود فقال: ﴿وكلًّا آتينا حكماً وعلماً﴾!
ومن دهاء سليمان عليه السَّلام في القضاء
أن رجلًا جاءه وقال له: يا نبيَّ الله إن لي جيرانًا يسرقون إوزي

فنادى سليمان عليه السلام : الصلاة جامعة!
ثم صعد على المنبر وخطب في النّاس قائلًا :
ما بال أحدكم يسرق إوزّ جاره ثم يدخل المسجد والريشُ على رأسه!
فمسح رجلٌ رأسه
فقال سليمان عليه السلام : خذوه فإنّه صاحبكم!
لا بدّ لمن يقضي أن يكون عالمًا بالمسألة التي يحكم فيها
فبعضُ المسائلِ تحتاج إلى علم أكثر من اجتهاد ورأي
لأن الشرع قد قال كلمته فيها ، كالمواريث مثلاً
ولكن لا يستغني القاضي عن الدهاء والحيلة
وقد عرضنا في حكم سليمان قصصًا ثلاث
لم يكن فيها نصوص وإنما هو بإعمال العقل والفطنة
ولا يسعنا ونحن نتحدث عن القضاء والدهاء فيه
أن نقفز عن داهيتين من دهاته هما : إياس بن معاوية وشريح القاضي
فكلاهما كان قاضيًا داهية ، سجّل أحكامًا باهرة
وإياس بن معاوية وليَ القضاء لعمر بن عبد العزيز ﵀
ويروي ابن الجوزي عنه في أخبار الأذكياء
أنَّ رجلًا خبّأ مالاً في حضرة صاحبه عند شجرة
فما كان من صاحبه إلا أن عادَ وأخذ المال ومضى
فجاء صاحبُ المال إلى إياس شاكيًا
ولكن الصاحب أنكر معرفته بالحادثة والمال
فقال إياس لصاحب المال : اذهبْ إلى الشجرة لعلك تتذكر

أما أنتَ فاجلسْ معي ريثما يرجع صاحبك
وبينما إياس يقضي بين الناس إذ قال للرجل :
أترى صاحبك بلغ موضع الشجرة؟
قال : لا ، إن المكان بعيد
فقال له : يا عدو الله ، أما أنكرتَ معرفتك بالمال والشجرة من قبل؟
وهكذا أوْقعَ به
ومن ذكائه أنَّه كان في مكان ، فدخلت ثلاثُ نسوةٍ
فحدثَ ما يدعو إلى الخوف
فقال : أما هذه فحامل ، وهذه مرضع ، وهذه عذراء
فقلن صدقتَ
فقيل له كيف عرفتَ؟
قال : أما الأولى فوضعتْ يدها على بطنِها
وأما الثَّانية فوضعتْ يدها على صَدرها
وأما الثَّالثة فوضعتْ يدها على فرجِها
وإنَّ الإنسان إذا هاله أمر حمى أعز ما يملك!
وجاءَه رجلٌ ليقيمَ عليه الحُجّة في الخمر
فقال له : إذا أكلتُ عنباً ، أتجلدني؟
فقال له لا
فقال : إذا شربتُ ماءً ، أتجلدني؟
فقال له لا
فقال : ما بالك إذاً إذا وضعتُ العنبَ في الماء وصار خمراً ، جلدتني؟
فقال له إياس إذا رميتك بالرمل ، أتتألم؟

فقال : لا

فقال : إن رميتك بالماء ، أتتألم؟

فقال : لا

فقال : إن ضربتك بهذه الآنية المصنوعة من تراب وماء ، أتتألم؟

فقال : نعم ، فليس هذا هو ذاك

فقال له : وأنت أيضاً ليس هذا هو ذاك!

وقيل له إنّا لنأخذ عليك ثلاثاً

فقال : ما هي؟

قالوا إنك دميم ، وإنك تُعجب بقولك ، وإنك سريع في الحكم!

فقال : أما دمامة خِلقتي فليستْ بيدي

وأما إعجابي بقولي ، أفلا تعجبون أنتم به؟

قالوا : بلى

فقال : فإعجابي به أولى

فكم إصبعاً في يد أحدكم؟

قالوا : خمسة

فقال : لـمَ استعجلتم في الجواب؟

قالوا : لا تريّث بما عندنا علمه

فقال : وأنا مثلكم

وكان وقافاً على الحق رغم كل هذا

وكان يقول : ما غلبني في القضاء إلا رجل

ذلك أني كنتُ في مجلس القضاء بالبصرة

فدخلَ عليّ رجل شهد عندي أن البستان الفلانيّ ، وذكر حدوده ، هو ملك فلان

فقلتُ له : كم عدد شجره؟

فسكت ثم قال : منذ كم يحكم سيدنا القاضي في هذا المجلس؟

فقلتُ : منذ كذا

فقال كم عدد خشب سقفه؟ فلم أعرف

فقلتُ له : الحق معكَ ، وأجزتُ شهادته

أما شُريح القاضي فكان هو الآخر داهية عصره

وعاصر عمر بن الخطاب رضي الله عنه

يروي الشعبيّ أن امرأة جاءته تُخاصم زوجها فأرسلت عينيها وبكتْ

فقلتُ : يا أبا أمية ما أظنُّ هذه الباكية إلا مظلومة

فقال لي : يا شعبيّ ؛ إن إخوة يوسف جاؤوا أباهم عشاءً يبكون!

وأتى عدي بن أرطأة شريحاً وهو في مجلس القضاء

فقال لشريح أين أنت؟

قال : بينك وبين الحائط

فقال : اسمع مني

قال : لهذا جلستُ مجلسي هذا

قال إني رجلٌ من أهلِ الشّام

قال الحبيبُ القريب

قال وتزوجتُ امرأةً من قومي

قال : بارك الله لك بالرفاءِ والبنين

قال : وشرطتُ لأهلها أن لا أخرجها

قال : الشّرطُ أملك

قال وأريدُ الخروج

قال في حفظ الله

قال : اقضِ بيننا
قال : قد فعلتُ!
وحدث موقف بينه وبين عمر بن الخطاب ﷺ
حيث اشترى عمرُ فرسًا من أعرابيٍّ وأعطاه ثمنه
فركبه عمر وبعد مسيره لاحظ فيه عيباً ، وقال للرجل :
خذ فرسك فإنه معطوب!
فقال الرجل : لا أخذه وقد بعته لكَ سليمًا
فقال عمر : اجعل بيني وبينكَ حكمًا
فقال الرجل يحكمُ بيننا شُريح بن الحارث الكندي
فقال عمر : رضيتُ به
ولما سمع شريح من الأعرابي ومن عمر وحان وقت الحكم ، قال
هل أخذتَ منه الفرس سليمًا يا أمير المؤمنين؟
فقال عمر : نعم
فقال شريح : احتفظْ بما اشتريتَ أو رُدَّ كما أخذتَ
فنظر عمر إلى شريح معجبًا وقال :
وهل القضاء إلا هذا ، قول فصل وحكم عدل
سِر إلى الكوفة فقد وليتكَ قضاءها!

الدَّرْسُ الرَّابِع:

تختلفُ أحكام الرِّجال لأن عقولهم بالأساس تختلف
ومن هنا جاءت المذاهب الفقهية!
فكل فقيه يُعمل عقله في النَّصِ ويستنبط منه ما لا يستنبطه غيره

وكل يُصيب ويخطئ ولا عصمة إلا للأنبياء
وحتى الأنبياء إذا ما حكموا بالاجتهاد أصابوا وأخطأوا
ولكنهم إذا ما حكموا بالوحي أصابوا لا شكّ
وهذا مبحث طويل وقد سبق الكلام فيه
فهذان نبيان كريمان يُعملان عقليهما في مسألتين
فيقضي داود عليه السلام بالولد للكبرى
ويقضي به سليمان عليه السلام للصغرى
ويقضي داود أمراً في الحرث ويرى سليمان غيره
هذا وهم أنبياء
لهذا لا تتعصبوا للمذاهب وأقوال الرجال واجتهاداتهم إن اختلاف الفقهاء رحمة
ولو أراد الله أن يحمل الناس على عمل واحدٍ لقضى في الأمر وفعل
فللذكر مثل حظ الأنثيين في الميراث بلا مجال للاجتهاد
والسارقُ تُقطع يده والاجتهاد في الحيثيات لا في أصل الحكم
وهناك أشياء سكت الله عنها رحمة غير نسيان
علينا أن نكون أرحب صدراً في التعامل مع المذاهب الفقهية الأخرى
ولو نظرنا إلى أدب العلماء مع بعضهم لأرحنا واسترحنا
فهذا أحمد بن حنبل تلميذ الشافعي يُجلّه ويقدّره
ولكنه يخالفه في مسائل
وهذا الشافعي يرى غير ما يرى أحمد ويوقره
فلا تتعصبوا!

للحصول على نسخة كاملة

من الكتاب

اكتب في خيار البحث على فيسبوك

مكتبة الرمحي أحمد

وتابع الصفحة

سنطرح رابط كامل قريبا

نوفر لك رابط تحميل مباشر

كتب جديدة

نرجوا دعم الصفحة

لنستمر معكم وفي خدمتكم

ولا يحبطنَّ أحد من نسب مهما كان وضيعًا
فكلُّ إنسان يموت وحده ، ويُدفنُ وحده ، ويُحاسب وحده
فما انتفعَ ابن نوح عليه السّلام من نسبه وهو ابن نبيٍّ
وما تضررَ إبراهيمُ عليه السّلام من نسبه وهو ابن مشرك
وفي الحديث : «يا فاطمة بنت محمد اعملي فإني لا أغني عنكِ من الله شيئًا
ويا عباس عم محمد اعمل فإني لا أغني عنكَ من الله شيئًا
لا يأتيني الناس يوم القيامة بأعمالهم وتأتوني بقرابتكم!»

الدَّرْسُ الثَّاني:

من حقِّ الإنسان أن يفخر بآبائه
ولكن هناك فرق شاسع بين الفخر والكِبر
فإن كان نسبك رفيعًا
فلا تقترف عملًا يُسيء إلى نسبك
وإن كان نسبُكَ وضيعًا
فلا يجتمع عليكَ وضاعة النَّسبِ ووضاعة العمل
لا تُدخلْ عملًا حقيرًا على نسبٍ شريف
ولا يجتمع عليك وضيعين : وضاعةُ النَّسبِ ووضاعة العمل
فهذا سليمان بن داود عليهما السلام نبيّ من صلب نبي
يسأل ربه ﴿أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمتَ عليَّ﴾
يبتسمُ لنملة ، ويسألُ عن هدهد غاب وقد ملك الأرض من شرقها إلى مغربها

فما غره نسب وما أفسده ملك
ولقد كان في قصصهم عبرة لا تسلية وترويحًا عن النفس فقط
وهذا يوسف عليه السلام أرفع البشر نسبًا
يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم
نبيٌّ ابن نبيٍّ ابن نبيٍّ ابن نبيٍّ
ينبري للمجاعة ويطعم المساكين ويُسأل : لمَ تصوم وأنتَ على خزائن الأرض
فيقول : كي لا أنسى الجياع!

الدَّرْسُ الثَّالث:

الله أعدلُ من أن يُدخل أبًا النار بسوءِ صنيع ابنٍ له
أو أن يُدخل ابنًا النَّار بسوء صنيع أبيه
ولكن ما ورد في الحديث خبر منه سبحانه وتعالى
فقد علم في أصلاب أي الجبابرة تنقل صاحبنا
علينا أن نتأدب مع الله ونحن نقرأ الآيات والقصص
إنَّه اللهُ العادل الذي يجب أن لا يساورنا شكٌّ في عدله
والرَّحيم الذي يجب أن لا يساورنا شك برحمته ولو انتقم!
وإن كنا قد أُمرنا أن نحسنَ الظنَّ بالنَّاس
فما بالنا بالظن بالله؟!
إياكَ أن تقيس أفعال الناس على الله ، أو أفعال الله على الناس
إنَّه الربُّ الذي لا يظلم قيد أنملة
وليس البشري الذي تحركه سورة الغضب فيأخذ الصالح بالطالح

وإنه سبحانه ليعفو عن المسيء تكرمًا
فيدخل بغيًا النارَ بسقيا كلبٍ عطش
ويتجاوز عمن لم يفعل خيرًا قط إلا أنه كان يتجاوز عن الناس
وإنه سبحانه ليكرم الولد بصلاح أبيه
وما أرسل نبياً وعبداً صالحًا ليقيما جدار يتيمين
إلا لأن أباهما كان صالحًا
ولكنه أجلّ من أن يأخذ المصلح بالمسيء لأن بينهما نسب وقرابة

الدَّرْسُ الرَّابع:

تواضعوا!
إنَّ الجنة منزل كل هيّنٍ ليّنٍ سهلٍ قريب
والنَّارُ منزل كل عُتلٍ مُتكبر
وقد بلغَ من تواضعه ﷺ
أنه نهى الصحابة أن يقفوا له إجلالاً إذا دخل عليهم
وقد دخل عليهم مرةً فوقفوا ، فغضب
وكان إذا غضبَ عُرف ذلك في وجهه
فلم يكن يسب ولا يشتم ولا يفحش
فلما رأى حسان ذلك عليه أراد أن يُلطف الموقف فقال :
وقوفي للعزيز عليّ فرضٌ
وتركُ الفرضِ ما هو مستقيمُ
عجبتُ لمن له عقلٌ وفهم
يرى هذا الجَمال ولا يقومُ

فابتسم ﷺ وقد كان بطيء الغضبِ سريع الرضا!
وكان يحضره الأعرابي فيرتعد منه
فيُهدئ من روعه ويقول له هوّن عليكَ إنما أنا ابن امرأة في مكة كانت تأكل القديد!
ويجلس في مجلسه فتأتي الجارية بنت سبع سنين
تأخذه من يده فيمشي معها ولا يدري إلى أين
ثم تسأله أن يشفع لها عند أسيادها
لأنهم أرسلوها في بعض حاجتهم فتأخرت عليهم ، فيمضي ويشفع!
وكان لأنس ﷺ أخ اسمه عبد الله
وكان ﷺ يلاعبه وكناه أبا عميرًا
وكان لأبي عمير عصفور صغير اسمه النغير يلاعبه
فيسأله النبي ﷺ بعد فترة : يا أبا عمير ما فعل النُغير؟
فيبكي أبو عمير لأن النغير مات
فيعتنقه بأبي هو و أمي
وهذا كان دأب صحابته فقد رباهم على التواضع ولين الجانب
أبو بكر ينظف بيت عجوز وهو الخليفة
ويمشي في الطريق فيشده الصبية من ثوبه قائلين : يا أبتاه يا أبتاه
حتى قوي البأس والشكيمة عمر كان في الحق هكذا
ولكنه في الرَّعية له قلب أم رؤوم
يصحبُ زوجته لتولِّد امرأة أعرابيٍّ ليس له إلا الله
ويحملُ الدَّقيق على ظهره ويطبخُ لأيتام المرأة بيديه
يأتيه رسول كسرى ويسأل عن قصره ، فلا يجد قصرًا ولا حاشية

هازم الإمبراطوريات مستلقٍ تحت شجرة ينامُ ملء جفونه عن شواردها

وحفيده عمر ابن عبد العزيز يمشي في المسجد وهو مظلم

فيطأ قدم رجل لم ينتبه له

فيقول الرجل بغضب أأعمى أنت؟!

فيقول عمر لا

ويغضب للخليفة من معه

فيقول لهم : دعوه ، رجل سألنا فأجبناه!

وينطفئ السراج يومًا فيقوم ليضع له زيتًا

فيقولون له يا أمير المؤمنين لو فعلها أحد غيرك؟

فيقول : قمتُ وأنا عمر ابن عبد العزيز وعدتُ وأنا عمر ابن عبد العزيز

ولقد كان في قصصهم عبرة!

الرَّضيع

روى البخاريُّ في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال :
كانت امرأةٌ ترضع ابنًا لها من بني إسرائيل
فمرَّ بها رجل راكب ذو شارة
فقالت : اللهم اجعل ابني مثله!
فترك ثديها وأقبل على الراكب وقال : اللهم لا تجعلني مثله!
ثم أقبل على ثديها يمصه
قال أبو هريرة : كأني أنظر إلى النبي ﷺ يمص إصبعه!
ثم مُرَّ بأَمَةٍ فقالتْ : اللهم لا تجعل ابني مثلها
فترك ثديها ، فقال : اللهم اجعلني مثلها
فقالت : ولمَ ذاك؟
فقال : الرّاكب جبّار من الجبابرة
وهذه الأمة يقولون سرقتِ زنيتِ ولم تفعل!

الدَّرْسُ الأوّل:

هذا درسٌ تأخر موضعه في الكتاب
ولكن كما قال الأوائل : أن تأتي متأخراً خير من أن لا تأتي أبدًا
ثم إن بعض الأشياء نافع متى أتى
والمطرُ أنفع للأرض إن تأخر عنها من هطوله تباعًا لأيام
القصة أسلوب محبب إلى النفوس سواءً كان وعظاً أم تسلية
فهو قريب إلى القلوب ، آخّاذ بالمسامع ، شيّق وماتع

وما قصّ علينا القرآن فقد وقع لا محالة ، وإن كان بخلاف العادة

فإن إبراهيم عليه السلام أُلقي في النار ولم يحترق يقينًا

وموسى عليه السلام شقّ البحر بعصاه حقًا

ويونس عليه السلام مكث في بطن الحوت صدقًا

وسليمان عليه السلام كلّم الطير وحكم الجن واقعًا

ونوح عليه السلام صنع السفينة وسارت به في موج كالجبال لا شك عندنا

وإسماعيل عليه السلام فُدي من الذبح بكبش لا جدال معنا

وما صحّ من قصص النبي ﷺ له صِدق قصص القرآن

وما جاء من قصص القرآن والسنة من غريب فما قُصّ علينا إلا لغرابته

وإنّا نُصدق هذه القصة يقينًا

لأننا نؤمن يقينًا كذلك بصدق راويها وصدق من رووا عنه

ونؤمن بغريبها لأننا نؤمن من قبل أن كلّ شيء بيد الله سبحانه

فعلينا أن نتأدب مع الله ورسوله ونحن نسمع ما يخبرانا به

فالقصص القرآني والنبوي ليست ألف ليلةٍ وليلة تُروى للمتعة فقط

وليست قصة أبي زيد الهلالي تُستحضر فيها الشجاعة والفروسية

وليست قصة جلجامش يطوف الأرض بحثًا عن نبتة الخلود في خرافة ممتعة

وليست الشاهنامة ولا الإلياذة ولا كتاب الموتى عند الفراعنة

إنها على متعتها للعظة والاعتبار أولاً «فاقصص القصص لعلهم يتفكرون»!

النماذج البشرية التي عرضها القصص القرآني والقصص النبوي

انما هي نماذج مكررة تتغير أسماؤها في كل عصر ليس الا

حتى

من

لأشاح بنظره عنه!
ولو رأى أبا بكر رضي الله عنه يسير في طرقات المدينة
والأولاد يشدونه من ثوبه يقولون له : يا أبتاه يا أبتاه
لاستخف به
ولو رأى المرأة التي كانت تقمُّ المسجد في عهد رسول الله ﷺ
ما كلّف نفسه أن ينظر إليها
ولو رأى البراء بن مالك رضي الله عنه
أشعث أغبر ذي طمرين مدفوع بالأبواب لا يُأبه له
لما أبه له أيضًا
المظاهر خدّاعة والناس بقلوبهم لا بثيابهم
ولستُ ضد الأناقة في اللباس والهيئة
على العكس تمامًا ، إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده
ولكن المظاهر ليست كل شيء
هذا فارس صنديد يُشار إليه بالبنان
تتمنى المرأة أن يكون ابنها مثله
خُدعت بالمظاهر شأننا جميعًا ، إذا رأينا القوة والمال في يد الناس
ولكن الله أنطق الصبيّ ليرفض دعاء أمه
فما فائدة المال والجمال إذا كان أحدنا جبارًا
وهذه أمة سوداء تُتهم زورًا بالسرقة والزنا
فتدعو الأم أن لا يكون ابنها مثلها
فينطقه ربه اللهم اجعلني مثلها
ذلك أنه خير لك أن تكون مظلومًا ولا تكون ظالمًا
وإنه لا يضرك إن كنت مجهولاً في الأرض معروفًا في السماء

الدَّرْسُ الثَّالث:

البيوت أسرار والناس صناديق مغلقة!
صور أعياد الميلاد في مواقع التواصل
لا تعني بالضرورة أن الزواج سعيد
وصور الطعام الشهي في الانستغرام
لا تعني بالضرورة أن الناس يملكون كل ما يشتهون
أحيانًا من قلة السعادة يريد الناس إخبارنا أنهم سعداء!
اصطحب رجل زوجته إلى حديقة الحيوانات
فمرَّ بالقرب من قفص القرود
فشاهدا قرداً يلاعب أنثاه
فقالت الزوجة يا لها من قصة حب رائعة
وعندما مرا بجوار قفص الأسود
رأيا الأسد يجلس صامتًا بينما تلهو اللبؤة بعيدًا عنه
فقالت الزوجة : يا لها من قصة حب مأساوية
ألقى الزوج عصا صغيرة تجاه اللبؤة
فهاج الأسد وزأر وأقبل مسرعًا يحمي أنثاه
وعندما عاد إلى قفص القرود ألقى عصا صغيرة على الأنثى
فظلّ القرد يلهو ويلعب كأن شيئاً لم يحدث
فإياك أن لا ترى إلا ما ترى!

الدَّرْسُ الرَّابع:

أحيانًا يطلب الناس ما فيه مضرتهم
ولا يعلمون أن منع الله عطاء!
إن من النَّاسِ من لا يصلحه إلا الفقر
ومن النَّاسِ من لا يصلحه إلا الغنى
هناك مرضى لو كانوا أصحاء لتجبروا
وهناك فقراء لو كانوا أغنياء لتكبروا
وإن غنياً شاكراً لو كان فقيراً لكفرَ
وصحيحاً عابداً لو كان مريضاً لفجرَ
وتذكر دوماً قول عمر رضي الله عنه
لو كُشفت لنا حُجب الغيب ما اختار أحدنا لنفسه إلا ما اختاره الله له
حضر أحد الفقراء إلى أحد الحكماء يشكو إليه
وكان كل يوم يُذكره أنه لا يعرف ظروف الناس
ولما ضاق به ذرعاً أراد أن يعطيه درسًا عمليًا
جمع رجال القرية وطلب من كل واحد أن يكتب مشكلته
فكتب الجميع مشاكلهم دون ذكر أسمائهم
ووضع الحكيم الأوراق في صندوق
وقال لصاحبنا : هذه حياة الناس بين يديك فاختر واحدة لك
وبدأ الرجل يفتح ورقة ويلقيها لأنها لم تعجبه
ثم فتح الثانية والثالثة والرابعة إلى أن أتى على الأوراق كلها
عندها قال للحكيم : لا أريد إلا حياتي!
إن الغنى في الرضا
والله ، إنَّ مال الدنيا كله دون رضا فقر
وفقر الدنيا كله مع الرضا غنى!

رؤيا

روى البخاري من حديث سَمُرة بن جندب ﷺ قال :
كان رسول الله ﷺ يُكثر أن يقول لأصحابه
هل رأى أحدٌ منكم من رُؤيا؟
فمن رأى رؤيا يَقصُّها على النبي ﷺ
وإنه قال ذات غداة :
أتاني الليلةَ آتيان ، وإنهما ابتعثاني
وإنهما قالا لي انطلق ، وإني انطلقتُ معهما
فأتينا على رجلٍ مضطجع ، وإذا آخرُ قائم عليه بصخرة
وإذا هو يهوي بالصخرةِ لرأسه فيَثْلغ بها رأسَهُ
فيتدَهدَ الحجرُ ها هنا ، فيتبعُ الحجرَ فيأخُذُه ، فلا يَرجعُ إليه
حتى يصحَّ رأسُه كما كان ، ثم يعودُ عليه
فيفعل به مثلَ ما فَعَلَ به المرّةَ الأولى
فقلتُ لهما : سبحان الله ما هذانِ؟!
فقالا لي انطلق انطلق
فانطلقنا ، فأتينا على رجل مستَلْقٍ لقَفاهُ
وإذا آخرُ قائمٌ عليه بكَلُّوبٍ من حديد
وإذا هو يأتي أحدَ شِقّي وجهه
فيُشرشِر شِدْقه إلى قَفاه ومِنْخَره إلى قفاه ، وعينه إلى قفاه
ثم يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول
فما يَفرُغ من ذلك الجانب حتى يصحَّ ذلك الجانب كما كان
ثم يعودُ عليه فيفعل مثلَ ما فعل المرّة الأولى

فقلت : سبحانَ الله ما هذان؟
فقالا لي : انطلق انطلق
فانطلقنا ، فأتينا على مثل التنُّور فإذا فيه رجالٌ ونساءٌ عراة
وإذا هم يأتيهم لَهَبٌ من أسفلَ منهم
فإذا أتاهم ذلك اللهب ضَوْضَوْا / أحدثوا ضوضاء وصرخوا
قلتُ لهما ما هؤلاء؟
فقالا لي : انطلق انطلق
فانطلقنا ، فأتينا على نهر أحمر مثل الدّم
وإذا في النهر رجلٌ سابحٌ يَسبَح
وإذا على شَط النهر رجلٌ قد جَمَعَ عندَه حجارةً كثيرةً
وإذا ذلك السابحُ يسبحُ ما يسبحَ ، ثم يأتي ذلك الذي قد جمعَ عندَه الحجارةَ
ثم يأتي السابح فيفغَر له فاهُ فيلقمُهُ حجراً
فينطلقُ يسبَح ، ثم يرجعُ إليه
وكلما رَجَعَ إليه فغَرَ له فاهُ وألقمه حجراً
فقلت لهما : ما هذان؟
فقالا لي : انطلق انطلق
فانطلقنا ، فأتينا على رجل كريهِ المرآةِ «المنظر»
كأكرهِ ما أنتَ راءٍ رجلا مرآةً ، فإذا عندَهُ نار يحُشُّها ويسعى حولها
فقلت لهما : ما هذا؟
فقالا لي : انطلق انطلق
فانطلقنا ، فأتينا على روضةٍ معْتمة (أي شديدة الخضرة) فيها من كل لون الربيع

وإذا بينَ ظهري الروضة رجلٌ طويلٌ ، لا أكادُ أرى رأسَه طولاً في السماء

وإذا حَولَ الرجل من أكثرِ ولدانٍ رأيتهم قط

فقلت لهما : ما هؤلاء؟

فقالا لي : انطلق انطلق

فانطلقنا فانتهينا إلى روضةٍ عظيمة ، لم أرَ روضةً قط أعظمَ منها ولا أحسن

فقالا لي : ارْقَ فيها

فارتقينا فيها ، فانتهينا إلى مدينة مبنيّة بلبنِ ذهبٍ ولبنِ فضةٍ

فأتينا بابَ المدينةِ فاستفتحنا ففتحَ لنا

فدخلناها ، فتلقانا فيها رجالٌ شطرٌ من خَلْقِهم كأحسنِ ما أنتَ راءٍ

وشطرٌ كأقبحِ ما أنت راءٍ

فقالا لهم (أي الملكين) : اذهبوا فقَعوا في ذلك النهر

وإذا نهرٌ معترِض يجري كأنَّ ماءه المحضُ من البياض

فذهَبوا فوقعوا فيه ، ثمَّ رجعوا إلينا قد ذَهبَ ذلك السوءُ عنهم

فصاروا في أحسَنِ صورة

فقالا لي : هذه جنة عدنٍ وذاك منزلك!

فقلت لهما : بارك الله فيكما ذراني أدخُله

قالا : أما الآن فلا ، وإنك داخِله

فقلتُ لهما : فإني قد رأيتُ منذ الليلةِ عَجبا ، فما هذا الذي رأيت؟!

قالا : أما إنا سنُخبرُك

أما الرجلُ الأولُ الذي أتيتَ عليه يُثلَغ رأسه بالحجر

فإنه الرجلُ يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة!

وأما الرجلُ الذي أتيتَ عليه ، يُشرشَرُ شِدقُهُ إلى قفاه ، ومنخَرُه إلى قفاه ، وعينه إلى قفاه

فإنه الرجلُ يغدو من بيته فيكذب الكِذبَةَ تبلغُ الآفاق

وأما الرجالُ والنساءُ العراةُ الذين في مثل بناءِ التنور

فإنهم الزُّناة والزواني!

وأما الرجل الذي أتيتَ عليه يَسبح في النهر ويُلقم الحجارة

فإنه آكِلُ الرِّبا

وأما الرجلُ الكريه المرآةِ ، الذي عند النار يحشُّها ويسعى حولها

فإنه مالكٌ خازن جهنم

وأما الرجلُ الطويلُ الذي في الروضة فإنه إبراهيم عليه السلام

وأما الولدانُ الذين حَوله فكلٌّ مولودٍ مات على الفطرة .

فقال بعضُ الصحابة : يا رسول الله ، وأولاد المشركين؟

فقال رسول الله ﷺ : وأولاد المشركين!

وأما القوم الذين كانوا شَطرٌ منهم حسناً وشطرٌ قبيحا

فإنهم قوم خلطوا عملاً صالحا وآخرَ سيئًا ، تجاوز الله عنهم

الدَّرْسُ الأوَّل:

رؤيا الأنبياء وحيٌ

هذه حقيقة ومعتقد يجب أن نتشبثَ به ونحن نستخلص العبر من الحديث

وهذا محطّ إجماع عند الأمة ولا خلاف فيه فيما أعلم

وأي رأيٍّ مخالف يَرده القرآن

فإن إبراهيم عليه السلام قال لابنه ﴿يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك﴾

فقال إسماعيل عليه السلام : ﴿يا أبتِ افعل ما تؤمر﴾!

نصّ محكم صريح وحاسم يسقط معه كل تكلف!

أما رؤيا النّاس فعلى ثلاثة وجوه

الرؤيا الحسنة وهي من الله تحملُ بشرى للمؤمن أو تُنبئ بخبر مستقبلي للإنسان

كرؤيا العزيز التي أوّلها يوسف عليه السلام بالقحط!

ورؤيا سيئة من الشيطان يريد أن يُحزن بها المؤمن

وحديث النفس وهي أمور تهمُّ الإنسان ويحدث بها نفسه فيراها في نومه!

والنوع الأول فقط هو الذي يخضع للتأويل والتفسير لمن أوتي قدرة

فتأويل الأحلام فتوى وقد نُهينا عن الفتوى بما لا نعلم

الدَّرْسُ الثّاني:

يقودنا الحديث عن التأويل إلى طرح السؤال التالي

هل تأويل الأحلام علم يلقيه الله في قلب إنسانٍ ما

أم أنه بالتعلم ولا يختلف عن العلوم الأخرى كالرياضيات والنحو والفيزياء

والذي خلصتُ إليه بعد قراءات طويلة في الأمر

أنه بين هذا وذاك!

وأغلبه إلهام من الله يحبو به بعض الناس

والنوع الأول ينطبق عليه تعليم الله تعالى ليوسف عليه السلام هذا العلم
كما في القرآن : ﴿ويعلمه من تأويل الأحاديث﴾
أما بعضه فله قواعد وأسس يجب أن ينتبه إليها الناس
وهو أن الرؤيا تُعبَّر باعتبار الرائي وإن كانتْ واحدة!
فقد جاء رجل لابن سيرين وأخبره أنه رأى أنه يُؤذِّنُ
فقال له : أنتَ سوف تحج إلى بيت الله الحرام
وجاءه آخر وأخبره أنه يُؤذِّنُ
فقال له : أنت ستسرق وتُسجن!
فلما استغرب طلابه قال لهم موضحًا :
الأول رأيتُ فيه علامات الصلاح فأخذته على قول الله تعالى :
«وأذِّن في الناس بالحج»!
والثَّاني رأيتُ فيه علامات الفجور فأخذته على قول الله تعالى
«وأذَّن مؤذن أيتها العيرُ إنكم لسارقون»!
أيضاً هناك أمور لا يراها الجميع
فمثلًا رؤيا العزيز بالقحط ، هذه رؤيا الملوك والحكام ولا يراها العوام
وقد رأى عبد الله بن الزبير رؤيا فأرسل رجلاً إلى سعيد بن المُسيِّب
ليعبرها له على أنها رؤيا الرجل لا رؤيا عبد الله
فقال له سعيد بن المسيب : مثلك لا يرى هذا
أخبركَ لمن الرؤيا أم تخبرني؟
فقال الرجل : أخبرني أنتَ
فقال سعيد : الرؤيا لابن الزبيرا
وكان عبد الله قد رأى أنه يُقاتل عبد الملك بن مروان فيصرعه

ويثبت في جسمه أربعة أوتاد
فأولها سعيد أن عبد الملك سيقتل ابن الزبير
وسيخلفه أربعة من أبنائه!
وهذا ما حدث فعلًا فقد قُتل ابن الزبير على يد الحجاج عامل عبد الملك
وخلفه أولاده سليمان وهشام والوليد ويزيد!
أيضاً تؤوّل الرؤيا بحسب الفصول وبحسب لغة العرب ومثلها الشائع
وقد تحدّثتُ عن هذا في كتاب حديث الصباح بالأمثلة
وما أريد أن أكرر ما قلتُ ولكن شيء استجد فذكرته!

الدَّرْسُ الثَّالث:

الحديث كما أجمع العلماء في شرحه عمّا يكون في البرزخ
والبرزخ هي الفترة بين موت الناس وبعثهم للحساب
وإن كان إنكار عذاب القبر ونعيمه ليس مُخرجًا من الملة
كما هو رأي جمهور الفقهاء
إلا أن فيه عشرات بل مئات النصوص التي لا سبيل لردها
ما أدين لله به أن القبر أوّل منازل الآخرة
وأنه إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنان
وما ردّ نعيم القبر وعذابه إلا من أعمل عقله خارج النصوص
فإنه لما رأى العظام البالية سأل أين النعيم والعذاب
والحقيقة إن هؤلاء جهلوا أنّ بين الجسد والروح علاقة
تزيد وتنقص بحسب المرحلة التي فيها الإنسان

فنحن نمر بأطوار مختلفة تختلفُ فيها علاقة الروح بالجسد
وقد مرّ البشر بمراحل وتبقى لهم مراحل
ويمكن تلخيص مراحل النمو البشري بما يلي :
أولاً : مرحلة العدم ، وكانت قبل خلق آدم
حيث لم يكن للبشر وجود إلا في علم الله
ثانيًا مرحلة الذّر
حيث خلق الله أرواح بني آدم جميعًا دفعة واحدة
وأشهدهم على ربوبيته لهم فشهدوا بالوحدانية له سبحانه
وهذا مصداق قوله جلّ في علاه :
﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألستُ بربكم قالوا بلى شهدنا . .»
ثم إذا شاء أن يخلق إنسانًا أرسل روحه مع الملك لينفخها فيه
ثالثاً : مرحلة الوجود الفعلي على ظهر الأرض
وهي ممتدة من نفخ الروح إلى نزعها
رابعًا : مرحلة البرزخ
وهي ممتدة من موت كل إنسان إلى بعثه
خامسًا مرحلة الخلود الأبدي
تبدأ من فراغ الله من حساب العباد ولا تنتهي
فإما إلى نار وإما إلى جنة
ولا شك أن علاقة الروح بالجسد مختلفة اختلافاً كثيرًا من مرحلة إلى أخرى
في مرحلة العدم لا علاقة إذ لا روح ولا جسد
وفي مرحلة الذّر روح بلا جسد

وفي مرحلة الوجود الفعلي يكون النعيم والعذاب للجسد والروح تَبَعٌ له

فلو ضربنا إنساناً ضربًا مبرحًا فإنما تُعذَّبُ جسده

ولكن لعلاقة الرّوح بالجسد فإن هذه الروح تشقى

أما في القبر فالنعيم والعذاب على الروح والجسد له تَبَعٌ

أما في مرحلة الخلود فالنعيم والعذاب على الجسد والروح سواءً بسواء

الدَّرْسُ الرَّابع:

من عدل الله تعالى أن الجزاء من جنس العمل!

وانظرْ لأصحاب العذاب في البرزخ

فإنَّ كل واحد منهم إنما عُذب بمثل ما صنع

فمن أعطي القرآن ورفضَه ونام عن الصلاة المكتوبة ضُرب رأسه

لأن الرأس هو موضع السجود

وهذا الرأس الذي أبى أن يسجد لله بالوقت الذي أمر ثُلغ

وإني أرى أن استحقاق العذاب يكون باجتماع الأمرين معًا

ردّ القرآن والنوم عن الصلاة المكتوبة

وردّ القرآن هو رد العمل به ورفضه بالقلب وليس بالتلاوة

فلا يجرؤ أحد أن يقول أن من آمن بالله ورسوله والبعث والحساب

وقام بأركان الإسلام دون أن يقرأ القرآن سيُعذَّب

وردُّ القرآن على قدر الإنسان ودوره في الحياة

فالحاكم يردُّ القرآن برفضِ تحكيم شرع الله

والناس ردهم للقرآن هو رفضُ أحكامه في حياتهم اليومية
كردِّ الرجلِ لآيات المواريث وظلم من اشتركوا معه بالوراثة
وكردِّ المرأة للحجاب
أما النوم عن الصلاة وحده وإن كان ليس بالأمر الهيِّن
فإن في السنّة ما يجعلني أقول أنه لا يجرُّ مثل هذا
ففي الحديث «من نام عن صلاةٍ أو نسيها فليؤدها متى ذكرها فلا
كفارة لها إلا هذا»!
وحديث الصحابيِّ الذي شكته زوجته للنبيِّ ﷺ
أنه ينام عن صلاة الفجر
فقال له الصحابي إنه من قوم يغلبهم النوم
فقال له الصادق المصدوق : فإذا استيقظت فصلِّ
ولم أذكر هذا للتشجيع على النوم عن الصلاة معاذ الله
ولكن من باب عدم كتم العلم ليس إلا!
وأما الرَّجلُ الذي كان يكذب الكذبة حتى تبلغ الآفاق
فكان عقابه أن يُشقّ شدقه وهو موضع الكذب
وأما الزناة فحشروا عراة وجمعوا فوق التنور
تصيب منهم النار مكان العورة وهي موضع الزنا
وأما آكل الربا فألقمه حجراً في نهر الدم
لأن الفم هو موضع أكل الربا

الدَّرْسُ الخامس:

إياكَ أن تشكَّ برحمة الله!
وقبل الرحمة تذكر أن الله عادل
وفي الحديث تتجلى رحمة الله وعدله
فأما العدل فإنَّ الله يقتصُّ للعباد من العباد
فإن كنتَ قد أشفقت على الكاذب
فتذكر ما فعل الكذب في الحياة الدنيا
كم سمعة شُوهت بالكذب
وكم حقًا أُكل بالكذب
وكم فتنة حصلت بالكذب
وكم بيتٍ هُدم بالكذب
وكم دم أُريق بالكذب
أيسرك أن يمر هذا دون حساب ولا عقاب؟
وإن كنتَ أشفقت على الزناة
فتذكر ما فعل الزناة في الحياة الدنيا
كم ولدٍ أُلحق بغير أبيه
وكم عرضٍ هُتك
وكم شرفٍ استبيح
أيسرك أن يمر هذا دون حساب ولا عقاب؟
وإن كنت أشفقت على آكل الربا
فتذكر ما فعله الربا في المجتمعات
كم فقيرٍ دفع أضعاف دينه

كم أرضٍ نُزعت من صاحبها لدفعه دينه وعجزه عن سداد مال الربا
كم مشروعٍ أُغلق بسبب الربا الفاحش
وكم فرصٍ للعمل سُدت بوجه الشباب لأن رأس المال جبان
يقرر الربح المضمون الحرام على الحلال الذي فيه مخاطرة
أسرك أن يمرّ هذا دون عقاب؟
ثم في حديث العذاب والعدل تأتي الرحمة
فهذا إبراهيم عليه السلام يرعى الأطفال الذين ماتوا ومعهم أطفال المشركين
لرحمته لم يأخذ ولدًا بشرك أبيه
تمامًا كما من رحمته أنه لن يعذب من لم تصله رسالة
﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولًا﴾
وانظر للذين خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا تعرف الرحمة
ألم يتجاوز الله عنهم
وبمفهوم المخالفة فإن الذين عُذبوا لم يكن لهم عمل صالح
وإنما كانت حياتهم الدنيا ظلمًا بظلم، وفجورًا بفجور.

الدَّرسُ السَّادس:

علينا أن نعرف لماذا أنزل الله تعالى القرآن
هذا القرآن لم يُنزل ليُقرأ على الأموات ولكن ليتحاكم به الأحياء!
﴿لينذر من كان حيًا﴾
إن هذا القرآن دستور حياة متكامل
لا يتم الإسلام إلا بالعمل بمقتضاه
ليس من الإسلام في شيء أن نصلي ونصوم ونحج ونزكي

ثم نستورد شرائعنا من الشرق والغرب، أو نكتب أخرى بأيدينا
إن الله حين شرع الحدود فلنعمل بها، أعجبتنا أم لم تعجبنا
وعندما وضع المواريث فلنطبقها، أعجبنا أم لم يعجبنا
وعندما أحل البيع وحرم الربا فلنلتزم
وعندما نظّم الزواج فلنطيع
وعندما وضع حقوق الجار فلننفذ
وعندما وضع حقوق الأقارب فلنصل الأرحام
إن قبول القرآن لا يعني أبدًا قبول تلاوته فقط
وإنما قبول تحكيمه والتزام أوامره ونواهيه
الشخص الذي يقول لنصلِ ونصوم ونحج ونزكي
ونتعامل بالنظام الرأسمالي
فهذا لم يفهم الإسلام بعد
والذي يريد نظام عقوبات غير ما أقره الإسلام
فإنه يتهم الله بسوء التشريع!
والذي يريد نظامًا اقتصاديًا غير ما أقره الإسلام
فإنه يقول من حيث لا يدري أن البشر أعرف من الله بالتشريع!

الدَّرْسُ السَّابع:

الكذب قبل أن يكون حرامًا فإنه يخدش المروءة!
وقد كان العرب في جاهليتهم أهل مروءة
فهذا أبو جهل، يقترحون عليه اقتحام بيت النبي ﷺ
فيقول: أتريدون أن تقول العرب أني روَّعتُ بنات محمد

وعندما صفع أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها
قال : اكتموها عني لا تعرف بها العرب
وهذا أبو سفيان يوم كان على الشرك يسأله قيصر عن النبيّ ﷺ
فيحدثه عن صدقه وأمانته ولا يكذب
إنّ من الكمال أن لا نفعل الخطأ لأنه حرام
وأن نفعل الصواب لأنه حلال
وإن كان هذا أمراً حسنًا
ولكن جربوا أن تفعلوا الحلال لأنه يزيد المروءة
وأن لا تفعلوا الحرام لأنه يقدح فيها
إن أكبر إساءة في الحياة هي أن يُسيء الإنسان إلى نفسه
وما أحلاها من مقولة
«إن الرجل ليصدق ويتحرى الصدق حتى يُكتب عند الله صديقًا»

الدَّرْسُ الثّامن:

إياك وأعراض الناس!
إنّ الله قوة من لا قوة له ، وسلاح من لا سلاح له
من هتك عرضًا سيأتيه من يهتك عرضه
هذه الدنيا دين وسداد
فلا تجنِ على عرضكِ بانتهاك أعراض الناس
وتذكر أنه ما ارتفع يوسف عليه السلام إلا بالعفة
وما أتاه المُلك منقادًا إلا لأنه رفض الرذيلة
ولقد كان في قصصهم عبرة!

الدَّرْسُ التَّاسع:

نأتي للرجل قبيح المنظر الذي هو مالك عليه السلام خازن النّار
إن الله لم يخلق قبيحًا عن عجزٍ منه أن يخلق جميلًا
ولكنه سبحانه لا يفعل هذا إلا لحكمة
وحكمته تعالى في خلق مالكٍ على هذه الصورة
هي زيادة العذاب على أهل النار
فكما يأنس الإنسان بالوجه الحسن والخِلقة الجميلة
فإنه يستوحشُ بالوجه القبيحِ
وقد خلق الله سبحانه مالكاً على هذه الهيئة
ليؤدي الدور الذي خُلق لأجله
فهو خازن النار وخلقه بمنظر حسن غير مناسب لوظيفته
وبمفهوم المخالفة فإن رضوان خازن الجنة
غاية في الحُسن والجمال وذلك لزيادة نعيم أهل الجنة
وأما في الدنيا فالجمال والقبح أرزاق من عند الله
قسمها الله تعالى بين عباده بما شاء لغاية يعلمها سبحانه
فعلينا أن نتأدب مع الله
فإن من عاب الصنعة إنما عاب الصانع
وحاشا ربنا أن يُتهم ويُرمى بالعجز والتقصير
لننظر إلى الأمر أنه من الأرزاق التي يتفاوت فيها الناس
من الناس الغنيُّ والفقير
صاحب العيال والعقيم
طويل الأجل وقصير العمر

السعيد والحزين والفرح والمغموم
وهكذا أيضًا منهم الجميل ومنهم القبيح
فمن وجد فيه الجمال فليشكر
ومن وجد فيه القبح فليصبر
فإنما الدنيا امتحان!

للحصول على نسخة كاملة

من الكتاب

اكتب في خيار البحث على فيسبوك

مكتبة الرمحي أحمد

وتابع الصفحة

سنطرح رابط كامل قريبا

نوفر لك رابط تحميل مباشر

كتب جديدة

نرجوا دعم الصفحة

لنستمر معكم وفي خدمتكم

ولا الطاعة تنفعه جلّ في علاه
ولكنه رحيم حدّ الذهول ، كريم حدّ الدهشة
يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار
ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل
ولا يردُّ من أتى ولو جاء بسيئات كالجبال
من قرع بابه فتح له ، ومن جاءه يمشي أتاه هرولة
عفو يحبُ العفو ، وكريم يحب الصفح
مهما عظمت ذنوبك فعفوه أعظم
مهما كثرت خطاياك فصفحه أكثر
ولا يمل من الصفح حتى يمل العبد من التوبة
فإذا غلبتك ذنوبك وزين لك الشيطان أعمالك
تذكَّرْ كيف يفرح إذا أتيته وناديته
ربِّ أذنبتُ ولا منجى منكَ إلا إليكَ
عبادك كثير وليس لي ربّ سواك
يكفيه هذا ليرضى
يمحو ذنوب السنين الطوال بلحظة توبة
فلا تدع الشيطان يقنطك من رحمته
وإياك أن تخجل من قرع بابه مهما كانت حالك
فإنه الله ، وليس ملك من ملوك الأرض
الذين إن أحسنت إليهم دهرًا ثم أسأت مرة عاقبوك
إنه العَفُوُّ ، فلا تقس أخلاق ملوك الأرض على ملك السماء
يُحكى أن ملكًا من ملوك الأرض
كان عنده كلاب مفترسة يُلقي إليها كلّ من قصّرَ في خدمته

وكان له وزير خدمه سنواتٍ طويلة
ثم إن هذا الوزير قصّر مرةً في خدمة الملك
فقرر الملك أن يلقيه للكلاب لتأكله
فطلب الوزير من الملك أن يمهله أسبوعًا قبل العقاب فوافق
فذهب الوزير إلى حارس الكلاب وقال له
عد إلى بيتك فإني سأرعى الكلاب أسبوعًا عنك
وبدأ الوزير يُطعم الكلاب ويكرمها حتى أحبته
وبعد أسبوعٍ ألقى الملك الوزير للكلاب فلم تأكله
فسأله بدهشة : أسحرتَ الكلاب؟
فقال له الوزير : كلا ، ولكني خدمتها أسبوعًا فقدّرت صنيعي معها
أما أنت فخدمتك دهرًا فلم تحفظ هذا لي
هذه أخلاق ملوك الأرض أما ملك السماء فله شأن آخر
يُعصى دهرًا فيغفر بلحظة
يُجترأ عليه عمرًا فيرضى بثانية
فلا تزهد فيه وهو لا يزهد فيك

الدَّرْسُ الثَّاني:

الدنيا دار أسباب ، والأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل على الله
على العكس تمامًا فقد أُمرنا أن نأخذ بالأسباب
لأنها واقعة في قدر الله
ولو استغنى أحد عن الأسباب لقوة إيمانه
لكان استغنى عنها رسول الله ﷺ ولا أحد أكثر إيمانًا منه

فيوم الهجرة استأجر له دليلًا يرشده إلى طريق المدينة
ولم يقل أنا نبيّ سأصل على أية حال
وكان في المعارك يلبس درعًا
ولم يقل أنا نبيّ وسيحميني الله على أية حال
وكان إذا أراد أن يغزو ورّى
أي سلك طريقاً غير الذي يريد ليفاجئ العدو
ولم يقل أنا نبي وسينصرني الله على أية حال
وهذا عمر بن الخطاب يرى أعرابيًا له بعير أجرب
يرفع يديه إلى السماء ويدعو أن يشفي الله بعيره
فقال له : أيّد دعاءك بشيءٍ من القطران!
أي خذ بالعلاج والأسباب ولا تترك الدعاء
وعندما أراد دخول الشّام ، وبلغه أنّ الطاعون قد دبّ فيها ، قرر أن يرجع
فقال له أبو عبيدة : أفرار من قدر الله يا أمير المؤمنين؟
فقال له عمر : أفرّ من قدر الله إلى قدر الله
لو أن رجلاً هبط وادياً له عدوتان ، واحدة جدبة والأخرى خصبة
أليسَ إن رعى في الجدبةِ رعى بقدر الله ، وإن رعى في الخصبة رعى بقدر الله؟!
ثم لما جاءه من يخبره أن رسول الله ﷺ قال :
«إذا سمعتم بالطاعون بأرضٍ فلا تقدموا عليه
وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه»!
فسجد عمر شكرًا وقال : الحمد لله الذي جعل الحق على قلب عمر

وصاحبنا في الحديث أساء التوكل على الله وأهمل
ما كان عليه أن ينام وراحلته طليقة
ولو أنه ربطها ونام لأفاق ووجدها
فخذْ بالأسبابِ ما استطعتَ إلى ذلك سبيلًا
ولكن لا تجعلْ يقينك على الأسباب
السيوف لا تحقق النصر ولكن ترك السّلاح في المعارك بلاهة
والعمل لا يجلب الرزق ولكن تركه حمق
والدواء لا يشفي ولكنه سبب أُمرنا به
الناصر هو الله ، والرازق هو الله ، والشافي هو الله
ولكنها دار أسباب فلا تزهد فيها

الدَّرْسُ الثَّالث:

الخطأ مردود!
فلا تقف للناس على الحرف واللفظة
الفرح الغامر يأخذ بالعقول ، والحزن الشديد يسلب الألباب
وهذا صاحبنا قال : اللهم أنت عبدي وأنا ربك!
وهذه لفظة لو عناها فعلاً لكانت كفرًا بواحًا
ولكن انظر للرحمة المهداة يُبرر حالته النفسية ويقول :
أخطأ من شدة الفرح!
فلا تُكفّر بلفظةٍ دون أن تراجع صاحبها فيها
فإنه قد يكون جاهلًا ، وقد يكون حزينًا وقد يكون فرحًا
وأنا لا أبرر للكلام السّيء حال الحزن أو الفرح

ولكنني أقول أننا بشر وقد لا نملك زمام قلوبنا وألسنتنا أحيانًا
فإذا كان النبي ﷺ أحرص الناس على العقيدة
قد راعى حالة الرجل النفسية
فما بالنا نحن الذين دونه
وفي هذا درس آخر لنا وهو
لا تعطِ وعدًا في فرح شديد
في الفرح قد نعد بما لا نستطيع
وفي الحزن قد نهدد بما لا نقدر
دع غمرة الفرح تمضي وسورة الغضب تزول
ثم انظر في أمرك بعدها ولا تكن ممن تحركهم ردود الأفعال!

الدَّرْسُ الرَّابِع: *مكتبة الرمحي أحمد*

نقل الكفر ليس كفرًا!
علينا أن نُميِّز إن كان القائل يتبنى المقولة أم ينقلها فقط
لا تخلط بين المُعتقِد بالكلام وبين ناقله
فها هو النبي ينقل إلينا لفظة لا يعتقدُ بها وحاشاه أن يعتقد
وها هو القرآن ينقل إلينا كفر الأمم السابقة :
ألم يقل ربنا : ﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء﴾!
وألم يقل أيضًا ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة﴾!
وعلينا أن نحسن الظنّ بالمسلمين ، ونحمل كلامهم على الخير
إن كان يحتمل خيرًا فالكلام حمّال أوجه وله أكثر من معنى

وقد قال أحد الصالحين :

لو رأيت أحد إخواني على جبل يقول : أنا ربكم الأعلى
لقلت يتلو الآية!

ولو رأيت لحيته تقطر خمرًا
لقلتُ : لعلها سُكبت عليه!

مع النَّبيِّ ﷺ

أدهم شرقاوي
« قسّ بن ساعدة »

٢٠١٧



الإهداء

إليكَ . . .

أنتَ الرّاوي والرّواية ، والحاكي والحِكاية

إليكَ . . .

وأنتَ تُهدى إلى الكُتب

لا هي التي تُهدى إليكَ

يا رسول الله :

أنا كُلّي فدى نعليك . . .

صَدقة

روى البخاريُّ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال :
قال رجلٌ لأتصدّقنَّ بصدقةٍ ، فخرج بصدقتِه
فوضعها في يدِ سارق
فأصبحُوا يتحدَّثون ، تُصدِّقَ على سارق!
فقال : اللهم لكَ الحمد ، لأتصدّقنَّ بصدقةٍ
فخرج بصدقته فوضعها في يدي زانيةٍ
فأصبحوا يتحدَّثون : تُصدِّقَ الليلة على زانية!
فقال : اللهم لكَ الحمد ، لأتصدَّقنَّ بصدقةٍ
فخرج بصدقتِه فوضعها في يدي غنيٍّ
فأصبحوا يتحدَّثون : تُصدِّقَ على غنيٍّ!
فقال : اللهم لك الحمد ، على سارقٍ ، وعلى زانيةٍ ، وعلى غنيٍّ!
فأُتيَ ، فقيل له
أمّا صدقتكَ على سارقٍ فلعله أن يستعفَّ عن سرقته
وأما الزَّانيةُ فلعلها أن تستَعفَّ عن زناها
وأما الغنيُّ فلعله يعتبرُ فينفقُ مما أعطاه الله!

الدَّرسُ الأوَّل:

هذا هو شأنُ النَّاسِ دوماً
إذا ترفعتَ عن ردِّ الإساءة ، قالوا : جبان
وإذا تصدَّقتَ ، قالوا : يُرائي

إذا صاحبتَ عالماً ، قالوا : يتزلّف
وإذا صافحتَ عاصياً ، قالوا : هو مثله
إذا أحسنتَ إلى زوجتك ، قالوا : خروف
إن لم تُجارِهم في المعصية ، قالوا : مُتزمّت
وإن لم تجارِهم في قبول الرّشوة ، قالوا : غشيم
إن تحجبتِ ، قالوا جاهلةٌ بالموضة
وإن غطيتِ وجهكِ ، قالوا : تسترُ قبحها
إن أطعتِ زوجك ، قالوا : ضعيفةُ الشّخصيةِ
فكُنْ أنتَ ولا تسمح لهم أن يُغيّروك
ولا تتنازلْ عن مبادئك لإرضائهم
لو تأملتَ حال الناس ، لوجدتَ أكثرهم ليسوا راضين عن الله
فكيفَ يرضى النّاسُ عن الناس؟!

الدّرس الثّاني:

خُذْ بأيدي النّاسِ إلى الله
وتذكّرْ أنّ الله سبحانه لم يُرسل الرُّسلَ إلا للعُصاة من خلقه!
فلو كانوا أهل طاعةٍ ما احتاجُوا إلى الرُّسل
حتى الشّواذ منهم أرسلَ الله لهم نبياً
والذي قال ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ ، أرسل الله له رسولاً ليقول له ﴿قولاً ليناً﴾
والذين قالوا : أنّ الأصنامَ بنات الله
أرسل لهم صفوة خلقِه عليه الصّلاة والسّلام

فلا تنظرْ في ذنوبِ النَّاسِ كأنكَ ربّ
وانظرْ إليهم كأنكَ عبد
وإنَّ زكاة الهداية التي حباكَ الله إياها
أن تأخذ بأيديهم إلى الله
فما كان لك أن تهتدي بقوَّتك
ولكنه سبحانه منَّ عليك
فانظرْ في أهلِ المعصيةِ كما تنظرُ في أهل البلاء
وإنَّ المرضَ أهونَ من الضَّلال
فقد يكون رفعةً في الأجر ، أمَّا الضَّلالُ فعاقبته وخيمة!

الدَّرسُ الثَّالث:

صحيح أننا أُمرنا أن نحكم على الأمور بظاهرها
ولكن كُنْ أذكى من أن تخدعكَ المظاهر
هناك عصاةٌ يحبون الله ورسوله
أكثر من كثيرين من تُجّار الدِّين الذين تعرفونهم
ولكن غلبتهم شهواتُهم ، وتسلَّطتْ عليهم شياطينُهم
وقد روى البخاري من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه
أن رجلاً على عهد رسول الله ﷺ
كان اسمه عبد الله وكان يُلقب حماراً
وكان خفيف الظل ، يُضحك رسول الله ﷺ
وكان يشرب الخمر ، فجلده النبيُّ ﷺ مرَّةً وأخرى
وفي الثَّالثة قال رجل من القوم : اللهم العنه ، ما أكثر ما يُؤتى به

فقال النبي ﷺ لا تلعنوه، فوالله ما علمتُ إلا أنه يحب الله ورسوله!
إنَّ القلوب أسرار لا يعلمها إلا خالقها
التي لا تتحجبُ ليستْ عاهرة
والذي يسمعُ الموسيقى لا يكره القرآن
وأنا لا أدافعُ عن العصاة ولا أبررُ لهم
إني أقول فقط: خذُوا بأيديهم إلى الله!

الدَّرسُ الرَّابع:

إنْ لم نعامل النَّاس بأخلاقٍ ولين
فنحنُ نُقدِّمُ لهم نماذج سيئةً عن المُتديِّنين
عندها لن يتركُوا معاصيهم ليكونوا متديِّنين قساة
إن لم نكن نماذج يُحتذى بها
فلا نلُمْ الناس لأنهم لا يريدون أن يكونوا مثلنا
فلا تُبغِّضوا الله إلى خلقه!
مصافحةٌ ممن يرتادُ المساجد لتاركِ صلاةٍ
قد تحضره إلى المسجد!
وابتسامةٌ وكلمةٌ حلوة من محجبةٍ
قد تقودُ سافرةً إلى الحجاب!
كلمةٌ حُلوةٌ من طائع قد تأتي بعاصٍ إلى الله!
وإن لم يُحدث هذا صَدى في النَّاسِ يكفيكَ أجرُ الدَّعوة
تصدَّقَ صاحبنا على زانيةٍ، وعلى سارقٍ، وعلى غنيٍّ

فلم يقلْ له ربُّه
لو تصدَّقتَ على عفيفةٍ كان أولى
ولو تصدَّقتَ على أمينٍ كان أجدى
ولو تصدَّقتَ على فقيرٍ كان أنفع
ولكنه أرسل له رؤيا صالحة يخبرُه فيها أنه قَبِلَ صدقته
فالزَّانيةُ علَّها تترك زناها!
والسَّارقُ علَّه يترك سرقته!
والغنيُّ علَّه يقتدي بكَ!

جُريجُ العَابد

روى البخاريُّ ومسلمُ في صحيحهما أن النبيَّ ﷺ قال
كان جريجُ رجلاً عابداً ، فاتّخذَ صومعةً ، فكان فيها
فأتته أمُّه وهو يصلي ، فقالتْ : يا جُريج
فقال : يا ربِّ! أميّ وصلاتي ، فأقبلَ على صلاته ، فانصرفتْ
فلما كان من الغد أتته وهو يصلي ، فقالتْ : يا جُريج
فقال : أي ربِّ ، أميّ وصلاتي ، فأقبل على صلاته ، فانصرفتْ
فلما كان من الغد أتته وهو يصلي فقالتْ : يا جُريج
فقال : أي ربِّ! أمي وصلاتي ، فأقبل على صلاته
فقالتْ : اللهم لا تُمتْهُ حتى ينظرَ إلى وجوهِ المُومِسَاتِ
فتذاكرَ بنو إسرائيل جريجاً وعبادتَه
وكانتْ امرأةٌ بغيٌّ يُتَمَثَّلُ بحسنها ، فقالت : إن شئتم لأفْتِنَنَّه
فتعرَّضتْ له ، فلم يلتفتْ إليها
فأتتْ راعياً كان يأوي إلى صومعته فأمكنته من نفسها
فوقعَ عليها فحملتْ
فلما وَلدتْ قالتْ : هو من جُريج
فأتوه فاستنزلوه وهدموا صومعتَه ، وجعلُوا يضربُونَه
فقال ما شأنكم؟
قالوا : زنيتَ بهذه البغيِّ ، فولدتْ منكَ
قال : أين الصبيُّ؟
فجاءوا به ، فقال : دعوني حتى أصلي ، فصلى

فلمَّا انصرفَ أتى الصبيَّ، فطعنَ في بطنه وقال: يا غلام، من أبوك؟
قال: فلان الرَّاعي!
فأقبلوا على جُريج يقبِّلُونَه ويتمسَّحُون به
وقالوا: نبني لك صومعتكَ من ذَهبٍ
قال لا، أعيدوها من طينٍ كما كانت. ففعلوا!

الدَّرسُ الأوَّل:

القَدرُ مُوكَلٌ بالمنطقِ!
فلا تدعُوا على أولادِكُم فتوافقَ ساعةَ استجابةٍ
وقد رأى عُمر رضي الله عنه شيخاً كبيراً يده مشلولة
فسأله: ما الذي أصاب يدكَ؟
قال: دعا عليَّ أبي في الجاهليَّةِ أن تُشلَّ فَشُلَّتْ
فقال عمر: هذا دعاء الآباء في الجاهليَّةِ فكيف في الإسلام؟!
تعالوا نُعوّد أنفسنا على الدُّعاء «لـ» بدل الدُّعاء «على»
إذا كسَرتْ بنتٌ صَحناً قلنا كسرَ الله قلبكِ!
ماذا لو وافقتْ هذه الدَّعوةُ ساعةَ استجابةٍ
أيساوي الصَّحنُ قلباً؟!
لماذا لا نقولُ: أصلحكِ الله
إذا تشاجرَ أخ وأخته
قالتْ أم في لحظةِ غضبٍ: انتقمَ الله منكما
ماذا لو وافقتْ ساعةَ استجابةٍ؟ فأيّنا يطيقُ انتقام الله؟!

ماذا لو قلنا : أصلحَ الله قلبيكما؟!
تعالوا نستبدل : «عمى يعميك» ، بشرح الله صدرك
و«يغضب الله عليك» بيهديك الله
تعالوا نُصلح ألسنتنا قبل أن نُفسد بها أولادنا!

الدَّرسُ الثَّاني:

ودّ الزَّاني لو أنَّ كلَّ النَّاس زنُوا
وودَّت المسترجلةُ لو أنّ كلَّ النِّساءِ استرجلنَ
وودَّ السَّارقُ لو أنَّ كلَّ النَّاس سرقُوا
هكذا هم أهلُ الباطلِ دوماً يزعجُهم صلاحُ أهلِ الحقّ
فالأمينُ صفعةٌ عَمليةٌ على وجه اللصّ
والعفيفُ ضربةٌ قاسمةٌ على ظهرِ الزَّاني
والموظَّفُ الشَّريفُ ضربةٌ موجعةٌ في ضميرِ الموظَّفِ المُرتشي
أهلُ الحقّ يُذكِّرون أهلَ الباطلِ بنقصِهم
لهذا يريدُون منهم أن يكونوا مثلهم!
عُصاة بني إسرائيل أزعجهم صلاحُ جُريج العابد
فأرسلوا له بغياً كي يصيرَ مثلهم
ومُشركو العالم يومذاك أزعجهم توحيدُ إبراهيم عليه السّلام
فرموه في النَّار لأنه رفض أن يكون مثلهم
الشَّواذُ من قوم لوطٍ عليه السّلام أزعجهم أنه سَويّ
فقالوا : ﴿أخرجوا آلَ لوطٍ من قريتكم إنَّهم أناسٌ يتطهّرون﴾!

الدَّرسُ الثَّالث:

المؤمنُ إذا نزلتْ به نازلةٌ فزِعَ إلى الصلاة!
لأنه يعرف أنَّ كلَّ مشاكلِ الأرضِ حلّها في السَّماء
هذا جُريج وقد اجتمعتْ عليه المصائب
تهمة الزِّنا ، وولدٌ من غير صلبه يريدون نسبته إليه
فقال : دعوني أصلي
بركعتين أبطلتْ السماءُ مؤامرةَ الأرض
وشهِدَ الرضيعُ ببراءة النَّقيِّ التَّقيِّ
خبيبُ بن عدي رضي الله عنه أسرته قريش
ولما أرادوا قتله قال لهم : دعوني أصلي
كان يعرفُ أن أجمل ما يختمُ المرءُ به حياته صلاة
وهذا سيّدُ النَّاسِ ﷺ كان إذا حضرت الصَّلاة
قال لبلال : أَرِحْنَا بها يا بلال
وشتَّان بين من يتعامل مع الصلاة بمنطق أَرِحْنَا بها
وبين من يتعاملُ معها بمنطق أَرِحْنَا منها!

الدَّرسُ الرَّابع:

لا تُصدِّقْ تهمةً بلا دليل!
فشأن النَّاس دوماً أن يفتريَ بعضُهم على بعض
فلا تخُضْ في ذمة رجلٍ لم تشهدْ خيانتَه
ولا تخُضْ في عرضِ امرأةٍ لأنَّ فلاناً قال
كفى بالمرءِ إثماً أن يُحَدث بكل ما سمع!

الإنسانُ سُمعة ، وهدرُ سُمعة إنسانٍ كهدرِ دمِه
وحتى لو ثبتتْ عندك تهمة
تذكَّرْ أنَّ الله ستيرٌ ويحبُّ السَّتر
فلا تذكرْ عيوبَ إنسانٍ ليس لذكرها حاجة تُرتجى
بالمقابل لو سُئلت من باب النصيحة
فمن الغش أن لا تبوحَ بما تعرف
السَّترُ شيء وأن تكون سبباً في ابتلاء عفيفةٍ بفاجر
أو عفيفٍ بفاجرةٍ شيء آخرا

الدَّرسُ الخامس:

كُنْ مع الله يكنْ معكَ
خرج النبيُّ ﷺ من مكة خلسةً تحت جنح الظَّلام
ثم عادَ ودخلها في وضحِ النَّهارِ من أبوابها الأربعة!
وأُدخلَ يوسفُ عليه السَّلام السِّجنَ مظلوماً
وخرجَ منه عزيزَ مِصر
وفتيةُ الكهفِ فرُّوا بدينهم إلى الجبلِ
فأنامهم الله مُطارَدين ثم بعثَهُم وعلى دينهم أهل مدينتهم!
النَّاسُ أعجزُ من أن يُلحقوا ضرراً لم يأذنْ به الله
وأن يَجُرُّوا نفعاً لم يأذنْ به الله
فالذي لا يرزقُ نفسَه أعجزُ من أن يرزقَ غيره
والذي لا يملكُ موتَه أعجزُ من أن تُطلب منه الحياة
فعلِّقْ قلبكَ بالله!

آسيا بنت مُزاحم

روى أبو يَعلى في مُسنده عن أبي هريرة أن النبيَّ ﷺ قال :
إنَّ فرعون أوتدَ لامرأتِه أربعةَ أوتادٍ في يديها ورجليها
فكان إذا تفرَّقُوا عنها ظللتها الملائكة
فقالت : ﴿ربِّ ابنِ لي عندكَ بيتاً في الجنَّة ونجِّني من فرعون وعمله ونجِّني من القوم الظالمين﴾
فكشفَ لها عن بيتِها في الجنَّة!

الدَّرسُ الأوّل:

يحاربُ اللهُ الطغاةَ من بيوتهم
من قصر الذي قال : ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ ، خرج نبيٌّ!
ومن غرفة نومه خرجتْ إحدى أعظم النِّساءِ في التَّاريخ
يريدُ الله أن يخبره كم هو عاجز!
ذبحَ آلاف الأطفال في طلب موسى عليه السّلام
ثم لمّا عثرَ عليه رغماً عنه ربّاه في قصره
جعلَ ألوفَ النساء تسجدنَ له
ولكنه عجز عند امرأته ، لأنَّ القلوب بيد الله ، وإنْ ملكَ النَّاسُ الأجساد

الدَّرسُ الثَّاني:

مساكين أولئك الذين يعتقدون أنّ الدِّينَ أفيون الشعوب
وأنه ليس إلا مخدر يتعاطاه الفقراء ليُصبِّروا أنفسهم
فيعيشون على أمل الجنة ، كما يعيش السَّائرُ في الصحراء وراء السَّرابِ يحسبه ماءً!
هذه سيدة مصر الأولى ، زوجة الملكِ الذي يحكم
وزوجة الإلهِ الذي يُعبد من دون الله
يكفيها أن تأمر لتطاع . . .
وأن تنادي لتُجاب . . .
ولكنَّها علمتْ أن ما عند الله خيرٌ وأبقى
لم تؤمنْ بأنهارِ الجنَّةِ من عطشٍ
ولم تؤمنْ بثمارها من جوع
ولم تسألْ بيتاً في الجنة لضَيق بيتها في الدنيا
كانتْ سيِّدة القصر ، وسيِّدة البلد ، وسيِّدة النَّاس
ولكنها رأتْ أن الغِنى الحقيقيّ هو غِنى القلب
وأنَّ الثَّراءَ الحقيقيّ هو ثراءُ الإنسان بربِّه
وأنَّ كلَّ البيوت مقارنة بالجنَّةِ ضيِّقة
فكأنها قالتْ لفرعون : خُذْ كلَ ملكك واتركني لربي!

الدَّرسُ الثَّالث:

قيل لبلال رضي الله عنه بعد أن سطعَ نجمُ الإسلامِ في سماء العالم :
كيف كنتَ تصبرُ على تعذيب أمية بن خَلَف لكَ؟
فقال كنتُ أخلطُ حلاوة الإيمان بمرارة العذابِ فأصبر!
الإيمان مركّبٌ عجيب إذا تملَّكَ من القلبِ قَلبَ حال الناس
وإنْ صبر بلالٌ فليس في الأمر عجباً كثيراً
بلال رجل ، والرجال أكثر صلابة في البنية الجسديّة من النِّساء
وهو قبل هذا كان عبداً وقد اعتاد العمل والمشقّة
ولكن العجب أن تصبر امرأةٌ مُنعمة اعتادتْ على العزّ والدّلال
على كلّ هذا العذاب
وضعها فرعونُ على لوح من خشب
ودقّ الأوتاد في يديها ورجليها
فكانتْ كالجبل لا يئنُّ عندما تقطع الفؤوسُ الصَّخرَ من خاصرته!
وكالأشّجار العملاقة لا تبكي عندما تنخرُها المناشير
جسدٌ رقيقٌ يُعذب في الأرض
وروحٌ صلبة تُحلّقُ في السّماء
وقبل أن تُسلم الرُّوح تبتسمُ ، كما يقول ابن كثير في تفسيره
فيُجنُّ فرعون ويقول : أما زالتْ تبتسمُ؟
لم يكن يعلمُ أنَّ الله أراها البيتَ الذي سألته إياه في الجنة!

الدرسُ الرابع:

كا
فال ليخلّصوها
ول
وآ
فأ
إيا يمان
كم ين الله؟!
إنّ نه
وأ
ول
كي ؟
وك ل؟
ثم
هذ سين سنةً من
المن
وط
وط
وط
إنّ

الدَّرسُ الخامس:

من خانَ اللهَ لا تتوقعْ منه الوفاءَ مع النَّاس!
لا تستغربْ أن فرعون صلبَ امرأته دون أن يراعي العشرة والصُّحبة
فهو لم يراعِ إحسان الله إليه من قبل!
وعندما يُعَذب أميّة بن خلفٍ بلالاً دون أن يراعي سنوات طويلة من الخدمة
فهو عقّ اللهَ قبل أن يعقّ مولاه
وأحسن ما قالته العجائز: خَفْ ممن لا يخاف الله!
لا تنتظر الأدب من قليل الأدبِ مع الله
من لم يقمْ بحقّ الله فهو عن حق الناس أعجز!
لهذا قال النبيُّ ﷺ : إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوّجوه
لأنَّ الذي همّه رضا الله فسيرضيه في خلقه
ولا تُزوج ابنتكَ إلا لتقيٍّ
إذا أحبها أكرمها وإذا لم يحبها لم يُهنها!

دَيْنٌ وسَدَاد

روى البخاريُّ في صحيحه من حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ

أنَّه ذَكرَ رجلاً من بني إسرائيل
سألَ بعض بني إسرائيلَ أن يُسلِّفه ألفَ دينار
فقال : ائتِني بالشُّهداء أُشهدهم
فقال : كفى بالله شهيدًا
قال : فأتِني بالكفيل
قال : كفى بالله كفيلاً
قال : صدقتَ
فدفعها إليه على أجلٍ مُسمًّى
فخرجَ في البحرِ فقضى حاجته ثم التمسَ مركبًا يركبها
يَقْدمُ عليها للأجلِ الذي أجلّه فلم يجدْ مركبًا
فأخذ خشبةً ، فنقرها ، فأدخلَ فيها ألف دينار ، وصحيفةً إلى صاحبِه
ثم زجَّجَ موضعها ، ثم أتى بها إلى البحرِ فقال :
اللهم إنك تعلمُ أني كنتُ تسلَّفتُ فلاناً ألفَ دينار
فسألني كفيلًا ، فقلتُ : كفى بالله كفيلًا ، فرضي بكَ
وسألني شهيدًا ، فقلتُ : كفى بالله شهيدًا ، فرضي بكَ
وأني جهدتُ أن أجدَ مركبًا أبعثُ إليه الذي له
فلم أقدرْ ، وإني أستوْدِعْكَها!

فرمى بها في البحر حتى ولجتْ فيه ، ثم انصرف!
فخرجَ الرَّجلُ الذي كان أسلفه ينظرُ لعلَّ مركبًا قد جاءَ بماله
فإذا بالخشبةِ التي فيها المال ، فأخذها لأهله حطبًا
فلما نشرها ، فوجدَ المالَ والصَّحيفة!
ثم قَدِمَ الذي كان أسلفه فأتى بالألف دينار فقال :
والله ما زلتُ جاهداً في طلب مركب لآتيكَ بمالكَ
فما وجدتُ مركبًا قبل الذي أتيتُ فيه
قال هل كنت بعثتَ إليَّ بشيءٍ؟
قال : أخبرتُكَ أني لم أجدْ مركبًا قبل الذي جئتُ فيه
قال : فإنَّ الله قد أدَّى عنكَ الذي بعثتَ في الخشبة
فانصَرِفْ بالألف دينارٍ راشدًا!

الدَّرْسُ الأوَّل:

النَّاسُ للنَّاسِ!
وقد سمعَ عمر بن الخطاب رجلاً يدعو :
اللهم لا تجعلْ لي حاجةً عند أحدٍ من خلقكَ
فقال له : ما أراكَ إلا تدعو على نفسكَ بالموت
فالنَّاسُ لا يستغني بعضهم عن بعض!
مَنْ قصدكَ فإنما توسَّمَ فيك الخير
وكفى بالمرء نُبلاً أن يكون عند حسن ظنِّ النَّاسِ به
وإنَّ العطاءَ ليس مالاً فقط وإن كان أكثر ما يحتاجُ إليه النَّاسُ!
وإنَّ على كلِّ شيءٍ زكاة

فزكاة الغِنَى أن ترحمَ فقيراً
وزكاة العلم أن لا تكتمه عمَّن طلبه ، وعمّن لم يطلبه
وزكاة العقل أن تُسدي لمحتار نصيحة
وزكاة الجسد أن تجرَّ كسيحاً ، أو تعبرَ بأعمى الطريق!

الدَّرْسُ الثَّاني:

مَنْ أخذَ مال النَّاسِ يريدُ سداده سدَّدَ الله عنه
ومَنْ أخذَ مال النَّاسِ يريدُ إتلافه أتلفه الله
وليس هناك أحقر ممن ينكرُ المعروف
إلا من يردُّ المعروفَ بالإساءة
فلا تكن سبباً في انقطاع الخير من الدنيا
كثيرٌ من النَّاسِ توقفوا عن تسليف المحتاج
لأنَّ كثيراً ممن طلبوا السَّلفَ نصبُوا وهربُوا
وكثيرٌ من النَّاسِ توقَّفُوا عن تزويج بناتهم بلا مهر
لأنهم رأوا أن كثيراً ممن تزوجوا بلا مهر ظنُّوا أنَّ البِنتَ رخيصة
وكثيرٌ من النَّاسِ لم يعودوا يُقلّون مقطوعاً في الطريق
لأنَّ مقطوعين كُثر كانوا غدّارين
وأجمل ما قالته الجدات :
مَنْ أمَّنكَ لا تخُنْه ولو كنتَ خوّاناً!

الدَّرْسُ الثَّالث:

إنك لا تعرف في هذه القصة ممن تعجب
من الرَّجلِ الذي قَبِلَ أن يكون اللهُ شهيدًا وكفيلاً
أَمْ من الرَّجلِ الذي خاطر بماله كي لا يُخلف وعداً قطعه
ما أجمل النُّبلاء حين يتعاملون فيما بينهم
نبيلٌ يُقرضُ ماله بلا شهيدٍ ولا كفيلٍ
ونبيلٌ يردُّ دينه في خشبة!

الدَّرْسُ الرَّابع:

انوِ الخير يفتحُ الله لكَ طريقاً له!
عندما نوى المُستدين أن يردَّ مال الدَّائن
صارت الخشبةُ رسالةً والبحرُ ساعي بريد!
انوِ أن تكون زوجاً صالحاً وستأتيك الزوجة
انوِ أن تتعلمَ وستجد من يُعلِّمك
وانوِ أن تكون أميناً وستجد من يأتمنك
ما عَلِمَ اللهُ خيراً في قلب إنسان إلا بسطَ له الخير!

الدَّرْسُ الخامس:

إن استجاركَ أحدٌ بالله أجِرْهُ
وإن سألكَ باللهِ أعطِه
إنَّ النَّاسَ اعتادتْ أنَ لا تردَّ شفاعة شريفٍ يشفع
فكيف بمن جاءك باللهِ شفيعاً
وطلبُ الشُّهود وكتابة العقود ليس فيه شيء
بالعكس هذا هو الأصل لأنَّ الدُّنيا فيها حياة وموت وغدر وخيانة
فلا تزهدْ في تدوين حقك
ولا تنزعجْ ممن طلبَ أن يكتب حقه عندك ليضمنه
وإنَّ أطول آية في القرآن الكريم هي آية التَّداين
وقد حضَّ الله فيها على الكتابة والإشهاد
ولكن الله توَّجَ ذلك بدعوة أوثق من العقود وهو الأخلاق ، فقال :
﴿فإن أَمِنَ بعضُكم بعضًا فليؤدِ الذي أُتمن أمانته﴾!

السَّحابة

روى مسلمٌ في صحيحه أنَّ النبيَّ ﷺ قال :
بينما رجلٌ بفَلاةٍ من الأرض ، فسمع صوتاً في سحابةٍ
اسقِ حديقة فلان!
فتنحَّى ذلك السحاب ، فأفرغَ ماءه في حَرّةٍ / جهةٍ
فإذا شَرجةٌ / قطعة أرضٍ من تلك الشِّراج قد استَوعبتْ ذلك الماءَ كلَّه
فتتبَّعَ الماءَ فإذا رجلٌ قائمٌ في حديقته يحولُ الماء بمسحاته
فقال له يا عبد الله ، ما اسمك؟
قال : فلان ، -الاسم الذي سَمع في السَّحابة-
فقال له يا عبد الله ، لمَ تسألني عن اسمي؟
فقال : إني سمعتُ صوتاً في السَّحاب الذي هذا ماؤه ، يقول :
اسقِ حديقة فلان -لاسمك- ، فما تصنعُ فيها؟
قال أما إذ قلتَ هذا ، فإني أنظرُ إلى ما يخرجُ منها
فأتصدَّقُ بثلثه ، وآكلُ أنا وعيالي ثلثاً ، وأردُّ فيها ثلثه!

الدَّرْسُ الأوَّل:

من أقامَ أمرَ اللهِ أقامَ اللهُ أمرَه
ومن سخَّرَ ما بين يديه لله سخَّرَ اللهُ له ما بين يديه
وكلُّ هذا الكون بيد الله
فكُنْ لله كما يُحبّ يكنْ لكَ كما تُحبّ

وثِقْ أنَّ قوانين الدُّنيا تحكمُ النَّاس ولا تحكمُ الله
فلأجلِ عبدٍ صالحٍ يخرقُ سبحانه هذا القانون الذي وضعه ليحكم العالم
وإنّ الله قد يعطي الصالح بصلاحه ما يعطي النبيّ بنبوّته!
ألم ترَ أنَّ ناراً ملتهبة صارتْ لإبراهيم عليه السّلام برداً وسلاماً
وحوتاً مفترساً صار ليونس عليه السّلام حضناً ووعاءً
وسكّيناً حاداً صار في رقبة إسماعيل عليه السّلام عاجزاً
وهذه غمامة يسوقها مَلَكٌ لأجل رجلٍ واحد
أراد الله يومذاك أن لا يسقيَ القوم
ولكنه علمَ أن له عبداً ليس أهلاً لأن يُحرم معهم
فغيّرَ قانون العالم لأجله
شأن السَّحاب أن يسقيَ الكلّ
ولكنها سحابةٌ مخصوصة لعبدٍ مخصوص
أصلحَ دينه ، فأصلح الله له دنياه!

الدَّرسُ الثَّاني:

الشُّهرة الحقيقية ليستْ أن تكون معروفاً في الأرض
وإنما أن تكون معروفاً في السماء!
هذا فلاَّح مجهولٌ في الأرض
ولكنه معروفٌ في الملأ الأعلى
يصْدرُ الأمرُ من المَلِكِ إلى المَلَك أن سُق الغمام لأرض فلان
لو نادانا فنَّانٌ باسمنا لطرنا فرحاً

ولو نادانا وزيرٌ باسمنا لما وسعتنا الأرض
ولو نادانا رئيس باسمنا لما رأينا في ذلك اليوم أحداً من فرط السعادة
هذا الحال وعبد ينادي عبداً!
فكيف هي الحال وملك الملوك يصدر قراراً سماوياً :
اسقوا أرض عبدي فلان!

الدَّرْسُ الثَّالث:

قالوا قديماً العمل عبادة!
هذا صحيح ، ولكن العمل الذي يُسقط حقَّ الله هو عبادة للشيطان
هناك من يضبطُ مُنبِّهه على صلاةِ الفجر
وهناك من يضبطُ مُنبِّهه على ساعة الدوام
وشتان بين من يعرفُ أنه خُلق للعبادة
وبين من يعتقدُ أنه خُلق للحراثة!
للعبادة وقت ، وللعمل وقت
ومن أجّلَ العبادة حتى يفوتَ وقتُها لأجْلِ العمل فقد أساءَ الأدب مع الله
إذ اعتقدَ أنه يرزقُ نفسه
إنَّ الرِّزقَ الذي نطلبه بالعمل هو أساساً عند الله
فكيف نطلبُ من الله ما نحبُّ بما يكره!
﴿الشَّيطانُ يعِدُكم الفقرَ والله يعِدُكم مغفرةً منه وفضلاً﴾
يكون العملُ عبادة عندما نقومُ بحقِّ الله قبل حقِّ ربِّ العمل
والمتواكلُ من كَسْبِ غيره بحجة العبادة

ليس أفضل حالاً من تارك الصلاة لأجل العمل!
فقد قال سيدنا : «ما أكلَ امرؤٌ طعاماً خير من كسب يده ، وإن نبيَّ الله داود كان يأكل من كسب يده»
«ولأَنْ يحمل أحدُكم حبلاً فيحتطبَ خير له من أن يسأل الناس ، أعطوه أو منعوه»
وقال عن الماكث في المسجد وأخوه ينفق عليه أخوه خير منه!
سِرُّ الحياة الموازنة
والأمر لم يكن يوماً أَعْبُدُ أم أعمل
كان المسيح عليه السلام نجاراً في أرض الجليل وهو من أولي العزم من الرسل
وكان لشعيبٍ عليه السّلام غنم ترعاه ابنتاه لأنه بلغ من العمر عتياً
وعندما زوّج موسى عليه السّلام إحدى ابنتيه كان المهر العمل
هذا حال الأنبياء فما بال الذين دونهم؟!

الدَّرْسُ الرَّابِع:

الجَّزاءُ من جِنس العمل!
الذي سخّرَ أرضه لرضا الله حفظها له
حين أراد سبحانه أن يُعاقب الناس
لهذا كُنْ على ثقة
ما سخّرت مالاً للهِ إلا نمّاه لكَ ، وما نقص مالٌ من صدقة
وما سخّرت دقائق لقيام الليل
إلا وضع الله فيك نشاطاً يفوق ما وضعه بالذين ناموا الليل بطوله

هناك شيء اسمه البركة لا نلتفتُ إليه
والأشياء لم تكن يوماً بالكمّ بل بالكيف
كلنا نعرف شخصاً يجمعُ المال من حرام
ومع هذا يشكو قلته
ونعرف شخصاً يتحرّى الحلال فنستغرب كيف يكفيه هذا القليل
وقد قال عمر ﷺ : إني لا أسأل الله الرزق فقد فرغ من قسمته
ولكني أسأله البركة فيه!

مُغيث وبَرِيرة

روى البخاريُّ في صحيحه أنَّ النبيَّ ﷺ قال لعمّه
«يا عباس ، ألا تعجبُ من حُبّ مُغيثٍ بَريرة ، ومن بُغض بَريرةٍ مُغيثاً»!
وبَريرة كانت عبدةً مملوكةً لأُناسٍ من الأنصار
وكان لها زوجٌ اسمه مُغيث
تاقتْ نفسُ بريرة إلى الحرِّية فكاتبتْ أسيادها لأجل العتق
وقصدتْ الصِّديقةَ بنت الصِّديقِ عائشة رضي الله عنها كي تساعدها في مبلغ عتقها
وعندما تنشقتْ بريرة أنفاس الحرية الأولى فكّرتْ في أمر زواجها
فالشّرعُ يعطي الأَمَة إن تحررتْ خيار أن تبقى مع زوجها أو تفارقه
فقررتْ بريرة أن تترك مغيثاً!
فكان مغيث يلحق بريرة في طرقات المدينة باكياً يرجوها أن ترجع إليه
ولكنها لا ترأفُ لحاله ولا ترحمُ حزنه
لما يئس مغيثٌ أن ترجع بريرة إليه
قصد الرحمة المهداة طالباً منه أن يشفع له عندها
فقال لها النبي ﷺ يا بريرة ، لو راجعته فإنه زوجك وأبو ولدك
فقالت له : يا رسول الله ، أفتأمرني؟
فقال : إنما أنا شافع
فقالت : لا حاجة لي فيه!

الدَّرْسُ الأوَّل:

الحبُّ من طرفٍ واحدٍ مذلّة!
صحيح أن الله خلق فينا قلوباً تسقطُ أحياناً بالضَّربةِ القاضية أمام حبيب
ولكنه بالمقابل خلق فينا إرادةً كي لا نتنازل عن كرامتنا
اعرضْ قلبك على من أحببتَ ولكن لا تتسول الحُبّ!
جرّبْ مرّةً، وتودّدْ مرّةً، ولكن عليك أن تعرف متى تتوقف
وقد قالوا قديماً:
أحياناً لا يكفي أن تقلب الصفحة، ولكن يجب عليك أن تُغيّر الكتاب!

الدَّرْسُ الثَّاني:

النِّساءُ لَسْنَ سلعاً للبيع لمن يدفع مهراً أعلى
ظُلمٌ للمرأة أن تُجبر على رجل وقلبها عند آخر
قتلُ القلوب أشدُّ إثماً وألماً من قتل الأجساد
فدعْ عنكَ تناحة الأعراب الأوائل
الذين رفضوا أن يزوجوا بناتهم لمن أحببْنَ لأنهنَّ أحببْنَ
واقتدِ بالذي هو خير من قومه جميعاً إذ يقول:
«لم يُرَ للمتحابين غير النكاح»!

الدَّرْسُ الثَّالث:

كُنْ رجلاً
لا تغدر قلباً رقيقاً أحبكَ لأجل أنك تعبد العادات والتقاليد!
كل الناس لهم قلوب
وإنك إن لم تتزوج حبيبتك
ففي الغالب ستتزوج حبيبة رجل آخر!
كثير من عاداتنا هي أصنام يجب تكسيرها لا تقديم القلوب قرابيناً لها!

الدَّرْسُ الرَّابع:

اشفعْ!
جَبْرُ القلوب مُقدَّم على جبر العظام لأن كسرها أشدّ ألماً
إن استطعتَ أن تجمع بين قلبين فلا تتردد
وإن استطعتَ أن تضع حداً لنزاع عائلي فلا تتباطأ
قيمة البشر الحقيقية ليست بما يملكون بل بما يُقدِّمون
قيمة الشجرة ليست في خشبها بل في ثمارها
قيمة الكتاب ليست في أوراقه بل في كلماته
وهكذا الناس إنما يرتفع بعضهم فوق بعض بأعمالهم
وانظر للذين خلَّدهم التاريخ تجدهم جميعاً قدموا للعالم شيئاً
أحدُهم اخترعَ دواء
وآخرُ خطَّ كتاباً

هذا أطفأ حرباً
وذاك شقّ طريقاً
الناس يندثرون ولا يبقى لهم إلا جميل ما كتبوا
فلا ترحل دون أن تترك أثراً!

الدَّرْسُ الخامس:

لا يمنعك من الشفاعة أنه قد لا يُستجاب لك
يكفيكَ شرفُ المحاولة
ويكفيك أننا نُؤجر على ما نفعل لا على ما نُحقق!
وفي الحديث أن يوم القيامة يأتي بعض الأنبياء وليس معه أحد!
وإن رُدت شفاعتك فلا تعتبر هذا إهانة
مهما بلغتَ من المكانة لن تبلغ مكانته ﷺ
وانظرْ إليه يشفع عند امرأةٍ كانت أَمة
ثم إنها لا تجيبه في شفاعته
فهل اعتبر هذا إهانة؟
وهل صار خصماً بعد أن كان شافعاً
لا تُفسد أجر الشفاعة بالكِبر!

الدَّرْسُ السَّادس:

لا تحقرنّ من المعروف شيئاً

فقد كان النبي ﷺ أعبد الناس

يصوم الأيام الطوال كأنه لا يُفطر

ويقوم الليالي المظلمات كأنه لا يرقد

ولكنه لم يزهدْ في شفاعة!

ولا تتعذر بانشغال وضيق وقت

من كان في حاجة الناس كان الله في حاجته

ثم أأنت أكثر انشغالاً من رسول الله ﷺ؟

وهو بالمفهوم الديني نبيّ الأمة ، وبالمفهوم السياسي رئيس الدولة

ومع هذا كان يجد وقتاً للبسطاء

يشفعُ لزوج عند زوجته

ولأَمةٍ صغيرة عند مواليها

إننا حينَ ننزلُ إلى البسطاء نرتفع!

جرَّة ذَهب!

روى البخاريُّ في صحيحه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال :
اشترى رجلٌ من رجلٍ عقاراً له
فوجدَ الرجلُ الذي اشترى العقار في عقاره جرَّةً فيها ذهب
فقال له الذي اشترى العقار :
خذ ذهبك مني ، إنما اشتريتُ منك الأرض ولم أبتعْ منك الذَّهب
وقال الذي له الأرض : إنما بعتكَ الأرض وما فيها
فتحاكما إلى رجل ، فقال : ألكما ولد؟
قال أحدهما : لي غلام
وقال الآخر : لي جارية
قال أنكِحُوا الغلام الجارية ، وأنفقوا على أنفسهما منه ، وتصدّقا!

الدَّرْسُ الأوَّل:

الورعُ في هذه القصة مُذهل
سواء من البائع أو من المشتري
وقد قال الأوائل الورع ترك تسعة أعشار الحلال مخافة الوقوع في الحرام!
وهذا برأيي -بعيداً عن جمال العبارة وحسن تنميقها- شاق وفيه مبالغة
وأجمل ما قيل فيه قول ابن تيمية رحمه الله
الزُّهدُ تركُ ما لا ينفع في الآخرة

والورعُ تركُ ما تخاف ضرره في الآخرة!
إذاً تركُ أغلب الحلال لا يلزم ليكون الإنسان ورعاً
وما دام الله قد أحلَّ شيئاً فهو حتماً لا يضر بالآخرة
ولكن أحياناً لا تكون الأمور واضحة جليّة ، هنا يأتي دور الورع
فالذي اشترى الأرض إنما تورَّعَ أن يأخذ جرّة الذهب
لأنه اعتبر أنه سيأخذ ما ليس له
لأن صك البيع شمل التراب ولم يشمل ما فيه
والبائع إنما تورَّعَ عن أخذها
لأنه اعتبر أنه باع الأرض بما فيها
وما أجمل أن يتعامل الناس فيما بينهم بالورع قبل أن يتعاملوا بالعقود
وأن يتعاملوا فيما بينهم بالأخلاق قبل أن يتعاملوا بالقوانين
وعلينا أن نعرف أن القوانين والمحاكم إذا أعطتنا ما ليس لنا
فهذا لا يجعله حلالاً!
وقد قال سيدنا ﷺ : «إنما أنا بشر
وإنكم تختصمون إليّ ، ولعلَّ بعضَكم أن يكون ألحن بحجته من بعض
فأقضيَ له على نحوِ ما أسمع
فمن قطعتُ له من حقِ أخيه شيئاً
فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من نار»!

الدَرْسُ الثَاني:

القصّة تثبتُ أن الملكية الفردية قديمة قدم الإنسان
وقد دأب الشيوعيون على إخبارنا أن الملكية الفردية كانت معدومة قديماً
وأن أول نظام عرفته البشرية هو الشيوعية الأولى
حيث لم يكن أحد يملك شيئاً!
فكانت هناك شيوعية في كل شيء
في الأراضي حيث لم يكن يملكها أحد وإنما هي للجماعة
وفي النساء حيث كانت أي امرأة من حق أي رجل!
وهذا افتراض عقيم بلا حجة ولا دليل
على العكس تماماً فإن الإسلام يُكذب هذا الادعاء بالأدلة والبراهين
وأول البشر على ظهر الأرض آدم وأولاده من صلبة مباشرة
وقد قتل قابيل أخاه هابيل بسبب شجار على أحقية كل منهما بالزواج من امرأة
فأين هي الشيوعية الجنسية التي يتحدث عنها هذا الفكر العقيم
وقبل حادثة القتل كانت هناك محاكمة
بأن قدّم قابيل وهابيل مما يملكان قرباناً
فكان قابيل مزارعاً وهابيل صاحب غنم
إذاً لم يكن الزرع مشاعاً للجميع وإنما لصاحبه
ولم تكن الأغنام مشاعاً للجميع وإنما لصاحبها
وليس البغاء أول مهنة في التاريخ كما يزعم هؤلاء

وإنما كان الناس يحصدون ويزرعون ويتبادلون السلع بما يشبه البيع اليوم
والملكية الفردية ليست سبباً في نزاع الناس فيما بينهم
وإنما جشع الناس ونظر بعضهم لما في أيدي بعض
وعلاج الجشع لا يُحلُّ بجعل الملكيات مشاعاً
وإنما بتربية النفوس وتهذيبها
وهذا منطق عقيم كمن يقول لك علاج الاغتصاب
أن تكون كل النساء مشاعاً!

الدَّرْسُ الثَّالث:

إنَّ الله وزّعَ الأرزاق بالعدل ولم يوزعها بالتساوي
لأنَّ العدل مبدأ أسمى من المساواة!
وقد أعطى أحدنا عقلاً دون مال كما كان لقمان
وقد يعطي مالاً دون صحة
وقد يعطي زوجةً دون ولد
وقد يعطي زوجاً دون أخلاق
وقلما يجمع الله الدنيا كلها لأحد!
فكما يقصد المحتاج غنياً إذا نزلتْ به الحاجة
على الناس أن يقصدوا صاحب العقل في النزاع
فالبائع والمشتري في الحكاية تخاصما في جرة الذهب ورعاً
وإلا فإن كل واحد منهما قد يتنازلُ عنها لصاحبه
ولكنهما احتكما إلى من وجدا أنه يملكُ عقلاً ورأياً

فكان الحلُّ العبقريُّ الذي أنهى الخصومة ولم يصب الورع بأذى
فاعرفْ على من تعرض مشكلتك
البعضُ يجعلون من المشاكل الصغيرة مشاكل أكبر
فينطبقُ عليهم المثل العاميُّ : جاء ليكحلها فعماها!

الدَّرْسُ الرَّابِع:

ما أجمل الخصومة بين النبلاء
الجشعون يريدون حقهم وحق غيرهم
أما النبلاءُ فلهم شأنٌ آخر
إنهم حتى لا يحتاجون إلى حكم بينهمم
تماماً كما قال ابن ذاك الأعرابي لأبيه
كان الأبُ يحكم ويقضي بين الناس
ولما بلغ من العمر عتياً أحزنه أن هذا البيت
لن يعود مقصوداً كما في حياته
فقال له ابنه الوحيد : أنا أقضي بين الناس عنك
فقال الأب لابنه إذا تخاصم إليك بخيل وكريم ماذا تفعل؟
فقال : آخذُ من الكريم للبخيل
فقال له : وإن تخاصم إليك بخيلان؟
فقال أُعطي مني وأصلح بينهما
فقال له وإن تخاصم إليك كريمان؟
فقال له كريمان لا يحتاجان إلى حكم!
فطابتْ نفسُ الأب بعقل ابنه

ماشطة ابنة فرعون

روى أحمدُ في مسنده أنَّ رسول الله ﷺ قال :
لما كانتْ الليلة التي أُسري بي فيها أَتتْ عليَّ رائحةٌ طيبة
فقلت : يا جبريل ما هذه الرائحة؟
فقال هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها
قلت : وما شأنها؟
قال : بينما هي تمشط ابنة فرعون ذات يوم إذ سقط المشط من يديها
فقالت : بسم الله
فقالت لها ابنة فرعون : أبي؟!
قالت : لا ولكن ربي وربُّ أبيك الله
قالت : أخبره بذلك؟
قالت : نعم
فأخبرته ، فدعاها ، فقال : يا فلانة وإن لك ربًا غيري؟
قالت : نعم ، ربي وربك الله!
فأمر بقِدْرٍ من نُحاس فأحميت ثم أمر أن تلقى هي وأولادها فيها
قالت له : إن لي إليك حاجة
قال : وما حاجتك؟
قالت : أحبُّ أن تجمع عظامي وعظام ولدي في ثوب واحد وتدفننا
قال : ذلك لك علينا من الحقّ!
قال : فأمر بأولادها فألقوا بين يديها واحدًا واحدًا
إلى أن انتهى ذلك إلى صبيّ لها مُرضَع وكأنها تقاعست من أجله
قال : يا أُمّاه ، اقتحمي فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة!

الدَّرْسُ الأوَّل:

عدد الذين تكلموا في المهد فيه أكثر من رواية
فرواية مسلم تقطع أنهم ثلاثة عيسى عليه السلام ، وابن الراعي في قصة جريج العابد
والطفل الذي رد على دعاء أمه وسيأتي بيان القصة لاحقاً
وتضيف رواية أحمد واحداً رابعاً هذا خبره
ولا يفوتنا ذكر الطفل الذي شهد ليوسف عليه السلام بالبراءة
وإنها إن كانت من الإسرائيليّات فليس في شرعنا ما يردّها
وقد قال سيّدنا : حدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج
وطفل الأخدود الذي ورد في رواية مسلم
وبهذا يصبح العدد ستة!

الدَّرْسُ الثَّاني:

كتْمُ المعتقد إذا كان سيؤدّي إلى الهلاك لا شيء فيه
فها هو القرآن يمدحُ مؤمن آل فرعون الذي كان يكتم إيمانه بقوله :
﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتمُ إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله﴾!
ولقد كان كتمان الإيمان في حالته أنفع له من وجوه
فهو أولاً حافظ على حياته ، ففرعون الذي قتل زوجته لإيمانها
لم يكن ليرحم أحداً من قرابته إذا آمن بموسى عليه السلام
ثانياً كان قريباً من القصر يعرف ما يدور فيه

وما يخطط له فرعون وما يكيد له
وعين في قصر العدو خير من سيف في مواجهته!
ثالثاً : لم يكن الجهر بالإيمان سيجرُّ منفعة إلا منفعة شخصية
إذ بقتله سيرتقي في الشهداء كآسيا والماشطة
ونجاة الدعوة وفوزها مقدمة على نجاة الأفراد وفوزهم
كذلك لا يمكننا أن نقول أن آسيا يوم جهرت بإيمانها كانت متهورة
ولا أن الماشطة لم تحسب العواقب جيداً
فسيد الشهداء حمزة ، ورجل قام إلى حاكم ظالم فأمره ونهاه فقتله
ويُحسب للماشطة ثباتها وشجاعتها وقوة إيمانها
فهي بعرف هذا الزمن ليست إلا خادمة
بينما فرعون بعرف أهل مصر فهو الملك الحاكم والإله المعبود
وأن تتحدى خادمة السُّلطة السِّياسية والدِّينية المتمثلة بشخص فرعون
لعَمري هذه الجرأة التي ما بعدها جرأة!

الدَّرْسُ الثَّالث:

الإيمان عندما يتمكن من القلب
يُحوِّلُ صاحبه من مجرد إنسان من لحم ودم إلى جبل لا يركع ولا يلين.
وهذا شأن المؤمنين في كل العصور
آسيا المرأة الرقيقة تصبر على الصلب
والماشطة المرأة الضعيفة لا تهتز ولا تلين

بلال لا تُركعه رمال مكة الملتهبة
ولا الصخرة الضخمة التي وضعها أمية بن خلف على صدره
هو صوت واحد لا ينقطع في مواجهة العذاب : أحد . . أحد!
والسّحرة الذين جاؤوا لنزال موسى عليه السّلام
قُطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف وصلبوا
وقولهم يومئذ لفرعون : «إنما تقضي هذه الحياة الدنيا»!
وفي صحيح البخاريّ :
«قد كان مَنْ قبلكم يُؤخذ الرّجلُ ويُحفر له في الأرض فيُجعل فيها
ثم يُؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيُجعل نصفين
ويُمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه
ما يصده ذلك عن دين الله»!
عندما يجعل الله طريقك إلى الجنة معبدة
فهذا من فضله وكرمه سبحانه
فلعله علم أنك لا تصبر على البلاء
فرفعه عنك!
وعندما يمتحنك إياك أن تلين
تأس بمن كانوا قبلك
وليكن شعارك في وجه كل طاغية قول السحرة لفرعون :
«إنما تقضي هذه الحياة الدنيا»!

الدَّرْسُ الرَّابع:

الذي يتصدَّقُ ليس كارهاً للمال
والتي تتحجبُ لا تكره الأزياء والموضة
والذي يُقدم على ساحات الموت طلباً للشهادة لا يكره الحياة
والماشطة التي قُتل أولادها أمام عينيها
لم تكن ناقصة الأمومة
هؤلاء يعلمون أن ما عند الله خير وأبقى
وانظرْ إليها وهي على بعد لحظة من الموت
كلُّ ما تفكر به أولادها!
وتطلب من فرعون أن يجمع عظامها وعظام أولادها ويدفنهم معاً
ولولا قلب الأم ما طلبت من طاغية طلباً
ولكنَّ الدُّنيا أم!

الدَّرْسُ الخامس :

الطغاة هم الطغاة على مرِّ العصور
تتبدل الأسماء والأساليب ، والعقليات واحدة!
فرعون يقتل ويصلب
قوم إبراهيم عليه السلام يلقونه في النار
أمية وأبو جهل يُعذّبان
هذا يأخذ مال مؤمن . . . وذاك يسجنه
ثالث يعتدي على عرضه
رابع يهدم بيته
خامس يقتل أولاده . . .

من غبائهم يسيرون في خطى بعض
ويلقون ذات المصير في كل عصر
ولا ينقرض الطغاة!

الأبرصُ والأقرعُ والأعمى

روى البخاريُّ ومسلمٌ في صحيحهما أنَّ رسول الله ﷺ قال
إنَّ ثلاثة في بني إسرائيل : أبرصُ ، وأقرعُ ، وأعمى
بدا لله عز وجل أن يبتليهم ، فبعث إليهم مَلَكًا
فأتى الأبرصَ فقال : أيُّ شيءٍ أحبُّ إليك؟
قال : لونٌ حَسن ، وجلد حَسن ، قد قذرني النَّاسُ
فمسحه فذهب عنه ، فأُعطيَ لونًا حسنًا وجلدًا حسنًا
فقال أيُّ المالِ أحبُّ إليكَ؟
قال : الإبل
فأعطاه ناقة عشراء ، وقال له يُبارَكُ لكَ فيها
وأتى الأقرع فقال : أيُّ شيء أحبُّ إليكَ؟
قال : شَعرٌ حسن ، ويذهب عني هذا ، قد قذرني النَّاسُ
فمسحه ، فذهبَ ، وأُعطيَ شَعرًا حسنًا
فقال : أيُّ المال أحبُّ إليكَ؟
قال : البقر
فأعطاه بقرةً حاملًا ، وقال له يُبارَكُ لكَ فيها
وأتى الأعمى ، فقال : أيُّ شيءٍ أحبُّ إليكَ؟
قال يرُدُّ الله إليَّ بصري ، فأبصر به النَّاس
فمسحه فرَدَّ اللهُ إليه بصره
فقال : أيُّ المالِ أحبُّ إليك؟
قال : الغنم
فأعطاه شاة والدًا

فكان لهذا وادٍ من إبل ، ولهذا وادٍ من بقر ، ولهذا وادٍ من غنم

ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته

فقال رجل مسكين تقطَّعتْ بي الحبال في سفري

فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك

أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن ، والجلد الحسن ، والمال ، بعيرًا أتبلغ عليه في سفري

فقال له : إنَّ الحقوق كثيرة

فقال له كأني أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس؟ فقيرًا فأعطاك الله؟

فقال : لقد ورثتُ لكابرٍ عن كابر

فقال إن كنتَ كاذبًا فصيَّركَ اللهُ إلى ما كنتَ!

وأتى الأقرع في صورته وهيئته ، فقال له مثل ما قال لهذا

فردَّ عليه مثل ما رد عليه هذا

فقال : إن كنتَ كاذبًا فصيَّركَ اللهُ إلى ما كنتَ!

وأتى الأعمى في صورته فقال : رجل مسكين وابن سبيل وتقطعت بي الحبال في سفري

فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك

أسألك بالذي ردَّ عليكَ بصرك شاةً أتبلَّغُ بها في سفري

فقال : قد كنتُ أعمى فردَّ الله بصري ، وفقيرًا فأغناني ، فخُذْ ما شئتَ

فوالله لا أجهدُكَ اليوم بشيءٍ أخذته لله!

فقال : أمسِكْ مالكَ ، فإنما ابتليتم ، فقد رضيَ الله عنك وسخطَ على صاحبيك .

الدَّرْسُ الأوَّل:

الابتلاء ليس بالشر فقط وإنما بالخير أيضاً!
والنَّجاح في امتحان الابتلاء بالشرّ، الصَّبر
والنجاح في امتحان الابتلاء بالخير، الشُّكر
وهذا سليمان عليه السّلام لمّا علم بقدوم بلقيس إليه يجمعُ وزراءه من الإنس والجن
ويطلبُ منهم إحضار عرشَ بلقيسٍ من اليمن
وما عجز عنه جنيّ خارقُ القوى
نجح فيه مؤمنٌ خارقُ الإيمان
كان يعرفُ اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب
وبطرفة عينٍ كان العرشُ بين يديه
فعرفَ أنه امتحان فلم يتكبرْ ولم يتغطرسْ ولم يزدْ على أن قال :
«هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكرُ أمْ أكفر»!
النَّجاحُ في امتحان الغِنى أن تنفق على نفسك وتُوسعَ على الناس
والرُّسوبُ أن تبخل فتعيش عيشَ الفقير وتُحاسبُ حساب الغنيِّ
والنَّجاحُ في امتحان القوّة أن تقيم العدلَ وتساعد الضعفاء
والرُّسوبُ فيه أن تعتدي وتظلم وتفتري
فإذا غرّتكَ قوتك على النَّاس فتذكَّرْ قوة الله عليك!
إذا تأخر الزَّواجُ فهذا ابتلاء
يريدُ الله أن يرى ماذا تصنع
أتصبر حتى يمنّ عليك أم تنساق إلى الفاحشة والرذيلة
وإذا تأخَّرَ الإنجابُ فهذا ابتلاء

يريدُ الله أن ينظر ماذا تصنع
تصبر وتتعالج وتستغفر
أم تتسخط وتذهب إلى الدجالين والمشعوذين والعاجزين من دون الله
وتذكرْ أنه لما تأخَّرَ الإنجاب على زكريا عليه السلام
جاءته البُشرى وهو في المحراب
نحن أمة تسأل في السجود وتُبشَّرُ في المحاريب!

الدَّرْسُ الثَّاني:

شُكر النعمة باللسان والجوارح
ولا يسدُّ أحدُهما مكان الآخر
يريدُ الله أن يسمعَ الحمدَ في لسانك ولا أحد أحب إليه المدح من الله!
ويريدُ أن يرى ماذا أنت صانع بنعمته عليكَ
وإنَّ البخل ليس في المال فقط وإن كان هذا رأسُ البخل
رأي تحبسُه وأنت تعلمُ أنه ينفعُ بخل
وشهادةٌ تكتمها وأنت تعلمُ أنها تُرجعُ حقاً لصاحبه بُخل
خلافٌ بين زوجةٍ وزوجها وأنت قادر على أن تسويه ولا تفعل بخل
كيسٌ ثقيل لا تحمله عن عجوز بخل
وابن سبيل منقطعٌ في الطريق لا تقلّه بسيارتك بخل
نبيُّك ﷺ يُذكر عندك ولا تصلي عليه بخل
الكرم جميلٌ في كلِّ شيءٍ في الرأي والأخلاق والمساعدة

وأجمل الكرم في المال وإن كان لا يُقلل من قيمة ما عداه
وانظرْ لعاقبة البُخل في القصة
فهذا الأبرصُ كان عنده وادٍ من الإبل
ولكنه بَخِلَ بواحدةٍ على من قالَ له ليس لي بعدَ الله غيرك
فأخذَ اللهُ كل إبله
وانظرْ إلى الأقرع كيف كانت عاقبتُه
بخل ببقرةٍ وكان عنده وادٍ من البقر
فأخذَ الله كل بقَرِه
أما الذي أعطى وتذكَّرَ سيرته الأولى
فقيل له بارَكَ الله لكَ في مالك
موقفٌ واحدٌ يرفعكَ أبدَ الدَّهرِ
وموقفٌ واحدٌ ينزلكَ أبدَ الدَّهر
وما الحياةُ إلا مواقف فإيَّاكَ أن ترسب

الدَّرْسُ الثَّالث:

المالُ ليس دليلاً لحُبِّ اللهِ للعبد
ومن أجمل ما قيل في هذا :
أعطى اللهُ الدُّنيا كلها لسليمان عليه السّلام والنُّمرود
ولو كانتْ معياراً لتمايزِ النَّاسِ ما ساوى فيها بين نبيٍّ وطاغيةٍ!
كانتْ ملوكُ الرُّوم تنامُ على الحرير وتأكلُ بملاعق الذهب
ومحمد ﷺ تمرُّ الأيامُ ولا يوقدُ في بيته نار لطعام
ويوم الخندق ربطَ حجراً على بطنه

وكان يرعى الغنم في صغره لأثرياء قريش
عاش فقيراً ومات فقيراً درعه مرهونة عند يهودي
وهو أكرمُ خلق الله على الله
فإذا أُعطيت فاشكرْ
وإذا مُنعتَ فاصبرْ
فاللهُ إن أعطاكَ فقد أعطاكَ ما ليسَ لكَ
وإن منعكَ فقد منعكَ ما ليس لكَ
ولا تنظرْ إلى ما في أيدي النَّاس
فإنك لا تعلمُ هذا الذي أُعطي مَ حُرِمَ!
وعلى مرِّ التَّاريخِ كان المال والغِنى في الكفار
أكثر منه في المؤمنين
والغنى ليس مذمةً بحدِّ ذاته
فنعم المالُ الحلال في يد العبد المُؤمن
ولكن إياكَ أن تعتقدَ أنَّ ضيق الرِّزق يعني أن الله يكرهك
وأنَّ المرض يعني أن الله يُعذِّبك
ولكنه تعالى يُعطي لحكمةٍ ، ويمنعُ لحكمة
ولن نبلغَ مرتبة الإيمان الكامل حتى نعلم : أنَّ منعَ الله عطاء!

الدَّرْسُ الرَّابع:

الطبيبُ الحقيقيُّ في السَّماء!
العجوزُ العقيمُ أصلحها الله في لحظة لتنجبَ نبيّاً!
والذي مسّه الضرُّ أعواماً قال له ربه

«اركضْ برجلكْ هذا مغتسلٌ بارد وشراب»!
فعادَ أبهى مما كان!
يُناديه زكريا عليه السلام : «ربِّ لا تذرني فرداً»
فيبشره بيحيى!
الأبرصُ الذي يعجزُ عن شفائه أطبَّاءُ الدُّنيا ولو اجتمعوا عنده
قال له الله : كُنْ صحيحاً فكان
والأقرعُ أعادَ له شعره
والأعمى ردَّ عليه بصره
تعالجوا عند أطبَّاءِ الأرض فنحن أمَّةٌ أُمرتْ بالتَّداوي
وطلبُ العلاج عند الأطباء لا يتنافى مع التَّوكلِ على الله
لأنه واقعٌ في قدر الله
فإن شاء شفى على يد إنسان
وإن لم يشأ لم يغنِ أطباء الدنيا عنكَ شيئاً
ولكن ونحن نأخذ بالأسباب
تعالوا نتذكَّر الطبيبَ الحقيقيَّ
هذا الآمرُ النَّاهي في الكون وعلى كلِّ ما فيه!
اشربْ دواءكَ لأنه سبب في الشفاء
وقبله قُلْ كما علمنا نبينا ﷺ
اللهم لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاءً لا يغادر سقماً

الخَمر

روى النَّسَائيُّ أنَّ النبيَّ ﷺ قال
اجتنبُوا الخمر فإنَّها أمُّ الخبائث
إنَّه كان رجلٌ ممن خلا قبلكم تعبَّدَ
فعلقته / عشقته امرأةٌ غويَّة فأرسلت إليه جاريتها
فقالتْ له إنَّا ندعوكَ للشهادة
فانطلقَ مع جاريتها فطفقتْ كلَّما دخلَ باباً أغلقته دونه
حتى أفضَى إلى امرأةٍ وضيئةٍ عندها غلام وباطية خمر
فقالتْ : إني والله ما دعوتك للشهادة ، ولكن دعوتك لتقع عليَّ
أو تشرب كأساً من هذه الخمرة ، أو تقتل هذا الغلام!
قال : فاسقِني من هذا الخمر كأسًا
فسقته كأسا
قال : زيديني!
فلم يلبث أن وقعَ عليها ، وقتلَ الغلام!
فاجتنبوا الخمر ، فإنَّها والله لا يجتمعُ الإيمانُ وإدمان الخمر
إلا ليوشك أن يُخرج أحدُهما صاحبه

الدَّرْسُ الأوَّل:

لو كانت الحياةُ تضعنا دوماً في خيارٍ بين الخيرِ والشَّر
لتفضَّلتْ علينا كثيراً!
فخَيارٌ كهذا رفاهيةٌ ليستْ متاحة على الدوام!

ولكنها في كثيرٍ من مواقفها تضعنا بين أمرين ، أحلاهما مُرٌّ!
وقد قال عمر رضي الله عنه : ليس الفَطِنُ من عرفَ الخير من الشَّر
وإنما الفطنُ من عرفَ خيرَ الشَّرين
واختيارُ أخفّ الأضرار قاعدة أصوليَّة من قواعدِ الشَّريعة السَّمحاء
ولكن أخفّ الأضرار لا يُقدر بالهوى أو بالمزاج
وإنما يُقدَّرُ بما سيؤولُ إليه من نتائج ، وما ينجمُ عنه من تبعات!
وإنْ كان بالإمكان أن لا تفعلَ أيّ شرٍّ من بين شرَّين مُتاحين فهذا الأصل
لأنَّ ما تراه شراً أصغر من غيره
فقد يكون في الحقيقة باباً لشرٍّ كبير وشرارة لنارٍ مستعرة
وانظرْ لصاحبنا وقد اعتقدَ أنَّ الخمرَ أهون شراً من القتل والزِّنا
فإذا به بعد الخمر يقتلُ ويزني ويقعُ فيما هرب منه بدايةً!

الدَّرْسُ الثّاني:

الذين يُخيِّرونك بين خياراتٍ متاحة إنما يُؤطِّرونَ تفكيرك
يسجنون عقلكَ بين هذا وذاك
ويوهمونك أنَّ المتاح فقط هو ما عرضوه لك
وهذا يحدث معنا دوماً في الحياة وكمثالٍ بسيطٍ على هذا
لو زرت صديقاً وسألكَ : أتشربُ الشّاي أم القهوة
إنما وضعكَ بين خيارين لا ثالث لهما وليس لك إلا أن تختار
ولكن هذا وذاك لا يكونُ دوماً بهذه البساطة بحيثُ أيُّ خيارٍ يفي بالغرضِ

أحياناً يكون الطريقان المعروضان عليكَ طريقين خاطئين
يريدونكَ أن تمشي في أحدهما معتقداً أنه خيرٌ من الأوّل أو أقلّ ضرراً
دوماً هناك طريقٌ ثالث أنتَ لا تراه في هذه اللحظة
غاب عن تفكيرك لأنه لم يكن بين الخياراتِ المتاحة
كُنْ فطناً، وعندما تأتي المِحَنُ خذ الخَيارَ الثَّالثّ غير المدرج على القائمة!

الدَّرْسُ الثَّالث:

جعل الله تعالى في النباتِ حياةً دون روح وعقل
وجعل الحيوانات بحياةٍ وروح دون عقل
وجعل الإنسان بحياةٍ وروحٍ وعقل
فالإنسانُ دون عقلٍ حيوانٌ من جهة أنه لا يشغله إلا إشباعُ غريزته
وما سُمي العقلُ عقلاً إلا لأنه يعقلُ صاحبه
أي يربطه أن يفعل ما لا يليق بالناس
لهذا رُفع القلمُ عن المجنون
فالعقلُ مناط التكليف، ومن غاب عقله فلا حساب عليه
هذا في حال كان ذهابُ العقل قدراً من اللهِ وقضاءً
ولكن من أذهبَ عقله بيده فهو محاسبٌ عمّا يفعلُ أثناء غياب عقله
فمن شرب الخمرَ وسَكرَ وقتلَ، يُقتل بمن قتله
ولا أعرفُ لماذا يريدُ البعضُ أن يجعلوا من أنفسهم حيوانات

وقد أكرمهم الله فجعلهم بالعقل بشراً
وإنه لما وصل عبد الرحمن الداخل صقر قريش إلى الأندلس
جاؤوه بزقٍ فيه خمر
فقال لهم : إني بحاجة إلى ما يزيد في عقلي لا ما ينقصه!
وصحيحٌ أنَّ شرب الخمر كبيرة ليستْ مُخرجة من المِلَّة
إلا أن الحديث الشريف يُصور لنا قلب الإنسان كبيتٍ
لا يجتمعُ فيه الإيمان وشرب الخمر معاً تحت سقفه
وإن أحدهما ما يلبثُ أن يُخرج الآخر .

الدَّرْسُ الرَّابِع:

هذه الدُّنيا مليئة بالمِحن والفتن لأنها دار ابتلاء
وإنَّ البلاء يقع للإنسان بما يهوى بفطرته وبما يكره!
ويوسفُ عليه السلام وقع عليه الأمران
فقد ابتلي بالبُغضِ الشَّديدِ ، وبالحبِّ الشَّديد
والبُغضُ الشَّديدُ هو الذي ألقاه في الجُبِّ
والحُبُّ الشَّديدُ هو الذي ألقاه في السِّجن
هذا كان حالُ النَّاسِ مع يوسف فكيف كان حال يوسف مع النَّاسِ؟!
إنه لما أُبتليَ بمن يكرهه صَبر
ولما أُبتليَ بمن يعشقه بجنونٍ صَبر
فلا شدّة البُغض جعلته ينزل لمستوى إخوته
ولا شدّة الحُبّ له جعلته يطاوع امرأة العزيز
وبرأيي إن البلاء بالبُغض أيسر من البلاء في الحُبّ!

لأننا إذا أُبتلينا بمن يبغضنا
فهو في الغالب لن يُخيِّرنا فيما نُحب
ولكننا إذا أُبتلينا بمن يُحبنا
فهو في الغالب سيعرض علينا حراماً نميلُ إليه بالفطرة
فيوسف عليه السلام كان شاباً وسيماً قوياً يشتهي ما يشتهي الرِّجالُ
فطرة الله التي فطرَ عليها الناس
ولكنه صبر واعتصم بالله
وإن صبره على امرأة العزيز أشدّ من صبره على إخوته!

للحصول على نسخة كاملة

من الكتاب

اكتب في خيار البحث على فيسبوك

مكتبة الرمحي أحمد

وتابع الصفحة

سنطرح رابط كامل قريبا

نوفر لك رابط تحميل مباشر

كتب جديدة

الحياة

نرجوا دعم الصفحة

لنستمر معكم وفي خدمتكم

وفي الحديث : أيما امرأة استعطرتْ وخرجت ليشمَّ الناسُ ريحها فهي زانية
وهذا من باب التشنيعِ والتّرهيبِ وليس من باب الزنا الموجب للحدّ!

ففي الإسلام بابٌ عظيم اسمه بابُ سدِّ الذّرائع
فهذا الإسلام الحكيم لا ينتظرُ أن تشبَّ النارُ
ليعمدَ بعد ذلك إلى إطفائها
إنه يحولُ دون اندلاع النّارِ بدايةً
وكل ما أدّى إلى وقوعِ المُنكر فهو منكر

الدَّرْسُ الثّاني:

تهتمُّ المرأةُ بالمظهر كثيراً لسببين :
الأول : أن عندها غريزة أن تُشتهى
والثاني : أنّها تميلُ إلى الرّجلِ أكثر من ميله إليها!
وهذا ليس مذمةً ولكنها فطرةَ الله التي فطرَ عليها النّاس
وكلُّ مخلوقٍ خُلق من شيء يبقى فيه شيءٌ من أثر تلك الخلقة
فآدم -أي الرّجل- مخلوقٌ من تراب لهذا هو أقلُّ عاطفة وأكثر سعياً للانتاج
بينما حواء -أي المرأة- مخلوقةٌ من آدم لهذا هي أكثرُ ميلاً إليه
يميلُ الرّجلُ إلى المرأة مَيْلَ الكلّ إلى الجزء
بينما تميلُ المرأة إلى الرجل ميل الجزء إلى كلّها!
لهذا لا تجدُ المرأةُ حرجاً أن تعيشَ في كنف الرّجل

ليهتمَّ بها ويرعاها ويعطفَ عليها ويعولها
فهي لا تشعرُ بنقص هنا لأنها لم تُخلق للعمل والجناية والكدح
بينما يجدُ الرَّجلُ بفطرته حرجاً أن تعوله المرأةُ وتنفق عليه
وأنَّه إذ يقبل أن يتشاركا الانفاق على البيت معاً فعلى مضضٍ من فطرته
إلا أنه من العسيرِ أن يتكيّفَ مع فكرة أن يكون عالةً عليها
فطرة الله التي فطر عليها النَّاس!
هذا لا يعني أن الرَّجلَ لا يشتهي المرأةَ
وهي ليستْ مُنية عينه وقلبه
إنما المقصودُ أنَّ الرجل يستحيل أن يجعل من امرأةٍ حياته كلَّها
بينما من الممكن جداً أن يكون رجلٌ هو دنيا امرأةٍ كلّها!

الدَّرْسُ الثَّالث:

على المرأة أن لا تجعلَ فطرتها تغلبُ على دينها
وإن كان لا سبيلَ إلى تنحيةِ الفطرة
وإنَّ الدِّينَ ما جاء ليكبتَ الغرائزَ وإنما ليُهذّبها
فما دامتْ قد خُلقت بحَنينٍ شغوف إلى الرَّجلِ كما سبق
فهذا لا يعني أن تجعلَ من نفسها محطَّ شهوة كلِّ الرِّجال
وعندما أباح الإسلامُ للرَّجلِ التعدد
فهذا يلزم بالضرورة أنَّ الله حباه جسداً وعاطفة تساعداه على القيام به
وهذا شيء لن يستطيعَ الرِّجالُ شرحه للنساء مهما حاولوا
ولن تستطيعَ النساءُ فهمه الرِّجال في مهما حاولنَ!

هذا لأنهنَّ مفطورات على الاكتفاء بالواحد!
وتُؤجرُ المرأة إذا تفننتْ في غوايةِ رجلٍ واحدٍ هو حلالها
وتأثم إن كرّستْ فطرتها لتكونَ محطَّ شهوة كلِّ الرّجال
والمرأة الحقّة هي امرأة مع رجل واحد هو زوجها
ورجلٌ مع ما تبقى من رجال هذا الكوكب!

الدَّرْسُ الرَّابع:

كما يحبُّ الرَّجلُ أن لا يرى من المرأة إلا جميلاً ولا يشمَّ منها إلا طيباً
وهي مأجورة إذا قامتْ بهذا وكانت سبب إشباعه وتحقيق عفّته
فهي بالمقابل تحبُّ منه ما يحبُّ منها
وقد قال ابن عباس : إني لأتزينُ لها كما تتزينُ لي!
وهو أيضاً مأجورٌ حين يُلبِّي فطرتها وغريزتها وحاجاتها
وتقصيرُ الرَّجلِ ليس مبرراً لالتفات المرأة لغيره
كما أن تقصير المرأة ليس مبرراً للرجل للالتفات لغيرها في حرام
إلا أننا مطالبون بسدِّ أبواب الذّرائع
لماذا على الرّجال أن يكونوا أكثر اهتماماً بمظهرهم ورائحتهم منك؟
تراهم زوجتك وتسأل : لماذا هو ليسَ كذلك؟
ولماذا على النّساءِ أن يكنّ أكثر اهتماماً بأنوثتهن منكِ؟
يراهن زوجكِ ويتحسر : لماذا هي ليستْ مثلهنّ؟
إنَّ الزواج الذي ينالُ فيه الزوج والزوجة رضاهما الجنسيّ والعاطفيّ التام

تهونُ أمامه كل المشاكل الأخرى
والزواج الذي لا يتحققُ فيه هذا الإشباع
ينتجُ عنه مشكلات هي في الحقيقة نتيجة لهذا الخواء الجنسي والعاطفي
خذوها قاعدة جريئة مني : أكبرُ مشاكل البيوت تبدأ في السرير!

الدَّرْسُ الخامس:

الكعبُ العالي القديم هو إلى حد كبير رجلين من خشب!
وخاتمُ العطر القديم هو نفسه العطر الذي يعبثُ بالقلوب اليوم!
النَّاسُ هم النَّاس في كل عصر
الذي يختلفُ فقط هي وسائلهم التي تصبحُ مع الزمن أنجعَ وأفتك
وقد صدقَ ﷺ حين قال :
«لتتبعنَّ سَنَن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى إذا دخلوا جحر ضب دخلتموه»!
وإنَّ أول فتنة بني إسرائيل كانتْ في النساء!
لتتقِ اللهَ النساءُ في الرِّجالِ فإنهن موضع شهوة
وليتقِ اللهَ الرجالُ في النساء فإن لهن حقوقاً
وليستْ أدوات التجميل ولا العطر ولا الكحل حراماً
إنما هذه وسائل حُرمتها وحِلّها تكون بوجوه استخدامها
كلُّ عطرٍ في محلّه عليه أجر
وكلُّ قلمَ كحلٍ ليس في محله عليه وزر
وحتى في العلاقة الزوجية أجر

ألم يقل سيدنا ﷺ «وفي بُضع أحدكم صدقة»
قالوا يا رسول الله : أيأتي أحدنا شهوته وله فيها أجر؟
قال : أرأيتم إن وضعها في غير محلها إلا يكون عليه وزر؟
قالوا بلى
قال وكذلك إن وضعها في محلها فله أجر!

سَارة والفرعون

روى البخاريُّ في صحيحه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال :
لم يكذبْ إبراهيمُ النبي عليه السلام إلا ثلاث كذباتٍ
ثنتين في ذات الله!
قوله : ﴿إني سقيم﴾ وقوله : ﴿بل فعله كبيرهم﴾
وقال : بينما هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبار من الجبابرة
فقيل له : إن ها هنا رجلاً مع امرأة من أحسن النَّاس
فأرسلَ إليه فسأله عنها ، فقال : من هذه؟
قال : أختي!
فأتى سارة فقال : يا سارة ليس على وجه الأرضِ مؤمن غيري وغيركِ
وإن هذا سألني فأخبرته عنكِ أنكِ أختي ، فلا تكذّبيني
فأرسل إليهما ، فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده ، فأُخذ
فقال لها : ادعي الله أن يطلق يدي ، ولا أضركِ ، فدعتْ فأُطلقَ
ثم يتناولها الثانية ، فأُخذ مثلها أو أشدّ
فقال : ادعي الله لي ، ولا أضركِ! فدعتْ فأُطلق
فدعا بعض حجبته ، فقال : إنكم لم تأتوني بإنسانٍ ، إنما أتيتموني بشيطان!
فأتتْ إبراهيمَ وهو يصلي ، وقالتْ :
كفَّ اللهُ يد الفَاجر ، وأخدم هاجرا

الدَّرْسُ الأوّل:

يقودنا هذا الحديثُ الشَّريف إلى الحديث عن عصمة الأنبياء

وللعلماءِ فيه قولان شهيران معتبران

الأول . عصمة الأنبياء المطلقة في الدين والدُّنيا فلا يصدر منهم الخطأ

الثاني : العصمة في الدين والإبلاغ عن الله ، واحتمال وقوع الخطأ في شأن الدُّنيا

وأنا إن كنتُ أميل إلى الرأي الثَّاني

فلا أرى فيما أفهمُ من هذا الدِّين إمكانية كذب الأنبياءِ ولو في الدُّنيا

لأننا لو قلنا به لكانَ هذا فتح بابٍ في مناقشة الكذب في الدعوة

والأنبياءُ أكرمُ من هذا وأرفعُ شأناً

والله أحكم وأحزم أن يعصم في الدِّين ولا يعصم في الكذب ولو كان في الدُّنيا

فأما كذبتيْ إبراهيم في ذات الله

فالواضح منهما أنهما من باب إقامة الحُجّة على قومه لا أكثر!

وأما الكذبة مع الفرعون فهي تدخلُ كما أرى في باب التورية!

فالمسلمُ أخو المسلم وسارة أختُ إبراهيمَ ديانةً لا نسباً

وفي المعاريضِ مندوحة عن الكذب كما قال سيِّدنا ﷺ

وقد استخدمَ -بأبي هو وأمي- التورية

فيوم هجرته مع أبي بكر ، سأله أعرابي : من أيِّ القبائل أنتم؟

فقال له ﷺ : نحن من ماء!

فقال الأعرابيُّ : قبائلُ العربِ كثيرة

وقد أراد النبي ﷺ بهذا أنه من الماء الذي خُلق منه الناس!

الدَّرْسُ الثَّاني:

وبما أنَّ الحَديث عن الكذب فمن نافلة القول أن نُعرِّج على مواضع إباحته!

يبيحُ الإسلام الكذب في ثلاث حالات :

الأول : الكذبُ على الأعداء

فليس من المعقولِ أن يأخذوا أسيراً مسلماً ثم يسألوه فيصدُقهم!

والحكمة من إباحته هنا ، رفعُ الضرر عن جماعة المسلمين

أما الثَّانية فالكذب لإصلاح ذات البَينِ

حيثُ يباحُ لمن أراد أن يُصلح بين متخاصمين أن يذكرَ كلاماً طيباً لم يقله أحد المتخاصمين في الآخر!

والحكمة منه رأبُ الصَّدعِ بين النَّاسِ لصلاح دنياهم

وأما الثَّالثة : فهي كذبُ الرجل على زوجته ، والزَّوجةُ على زوجها

وهو كذبٌ من بابِ تطييب الخواطر والمُجاملة وحسن العشرة

لا يدخلُ فيه الكذبُ الذي فيه ضرر وخداع وغش

كثناء الرَّجل على طعام زوجته والإشادة به وهو غير ذلك

أو مدحها والغزلُ بها وإخبارها أنها أجمل امرأةٍ في الدُّنيا وهي ليستْ كذلك

وما يُقال في الرجل يُقالُ في المرأة

فقد سألَ رجلٌ زوجته إن كانتْ تحبُّه وناشدها الله أن تصدقه

فقالتْ له : أما إنك قد ناشدتني الله ، فلا أحبك!

فشكاها إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه

فأرسلَ عمر في طلبها .. وأنَّبها

فقالت له يا أمير المؤمنين ، أتريدني أن أكذبه!
فقال لها : نعم اكذبيه ، أكُلُّ البيوتِ بُنيتْ على الحُبِّ
ألا إنَّ الناس يتعاملون بالمروءة والذِّمة!

الدَّرْسُ الثّالث:

خرجتُ إلى الطبيعةِ صبيحةَ ليلةٍ كان فيها عاصفة هوجاء
فوجدتُ كثيراً من الشجر قد انكسر وصار ركاماً
أما الأعشاب فكانت على حالها سليمة معافاة
فتعلمتُ درساً بليغاً هو : أحياناً على المرء أن ينحني!
العاقل يُقدِّر المواقف ولا يخوضُ صراعاً خاسراً
علينا أحياناً أن نُقدر قوَّة الخصم جيداً
لأن أي خطأ في الحسابات يعني نهايتنا!
وأحياناً تغدو الطريقة الوحيدة للفوزِ ببعضِ الخلافاتِ هي عدم خوضها أساساً
وقد كان إبراهيمُ عليه السلام حكيماً
كان يعرفُ أنه إذا وقف في وجه الفرعون وماتَ سيموت شهيداً
ولم يكنْ عليه السلام جباناً ولا زاهداً في الشَّهادة
ولكنه كان يعلمُ أنه أُرسل لأمرٍ أعظم من أن يُفرط فيه في مواجهة
فأخذَ بالأسبابِ ما استطاع وأوكلَ الأمرَ إلى ربِّه
ولأنَّ الجزاءَ من جنسِ العملِ عادتْ الزوجة التي أرادها الطاغية لنفسه
سليمةً معافاة في شرفها ، ومعها امرأة صارت فيما بعد زوجةً أخرى!

الدَّرْسُ الرَّابِع:

بنتُ الأصل لا تمنُّ على زوجها!
كانتْ سارة من أجمل نساءِ الأرض
وقد قال بعضُ المُفسرين أن جمال يوسفُ عليه السَّلام هو عرق من جدته سارة!
ورغم هذا الجمال كلّه ، كانت أديبةً حبيبة
تعينُ زوجَها على الحقِّ ولا تتكبر عليه بجمال حباها اللهُ إيّاه
وكذلك كانتْ أمنا خديجة رضي اللهُ عنها بنتَ أصلٍ
فاحشة الثَّراء وزوجها ﷺ من أفقر النَّاس
وقد تركتْ مالها كلَّه بين يديه
ولم تجعلْ هذا الفارق الماديَّ حَجرَ عثرةٍ في طريقِ زواجهما
وهذا ما جعلها كبيرةً عنده حتى بعد موتها
وما كان يرضى أن تُمسَّ بكلمةٍ وهي تحتَ التراب
وقد كانتْ عائشة رضي الله عنها تغارُ منها لكثرةِ ذِكره لها
وقالت له يوماً : أما زلتَ تذكرها وما كانت إلا عجوزاً في غابرِ الأزمان
وقد أبدلكَ الله خيراً منها
فقال : واللهِ ما أبدلني اللهُ خيراً من خديجة ، تلكَ امرأةٌ رُزقتُ حبَّها
أعطتني إذ حرمني النَّاس ، وآوتني إذ طردَني الناس ، وآمنتْ بي إذ كذَّبني الناس!

الدَّرسُ الخامس:

المسلمُ غالٍ، والحفاظُ عليه مطلبٌ شرعيٌّ!
صحيحٌ أنه ليس جباناً، وأنّه مَرْحبًا بالموت إن كُتب
ولكن الناس ليسوا قرابين تُزهقُ وبالإمكان حقنُ دمائِها
وقد كان عمرُ ﵁ معجبًا بفتوحاتِ عمرو بن العاص رضي لله عنه
لأنَّ عمرو كان داهيةً كما هو معلوم، يعقدُ الأحلافَ ويتجنّب الخصوم
ولا يخوضُ معركةً بإمكانه أن يتركَ للعدوِّ بابًا للهربِ منها
وقد كان عمر يقولُ: لعمري هذا هو النَّصر!
كان يُعجبه في القائد أن يحقنَ دماء جنده وأعدائه إن استطاع!
أن يصل إلى غايته دون دمٍ
هذه حقيقة يجب أن لا تغيب عن القادة حتى وهم في ساحات الوغى
ليعتبروا بحفاظ إبراهيم عليه السّلام على نفسه
وبدهاء عمرو وثناء عمر!

حوار بين آدم وموسى عليهما السلام

روى البخاريُّ ومسلم في صحيحهما أن رسول الله ﷺ قال :
احتجّ آدم وموسى عند ربهما ، فحجَّ آدمُ موسى!
قال موسى : أنتَ الذي خلقكَ الله بيده
ونفخ فيكَ من روحه
وأسجدَ لك ملائكته . . .
وأسكنكَ جنَّته
ثم أهبطتَ النَّاسَ إلى الأرضِ بخطيئتكَ؟!
فقال آدمُ : أنتَ موسى الذي اصطفاكَ الله برسالته وبكلامه
وأعطاكَ الألواحَ فيها تبيان كلِّ شيء ، وقرَّبكَ نجيّاً
فبكمْ وجدتَ الله كتب التوراة قبل أن أُخلق؟
قال موسى : بأربعين عامًا
قال آدمُ : فهل وجدتَ فيها : ﴿وعصى آدمُ ربّه فغوى﴾؟
قال : نعم
قال : أفتلومني على أن عملتُ عملاً كتبَ اللهُ عليّ أن أعمله
قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟
قال رسول الله ﷺ : فحجَّ آدمُ موسى!

الدَّرْسُ الأوّل:

النُبلاءُ يُنزلونَ الناس منازلهم
ولا يحفظُ فضلَ الفضيل إلا الفضيل!
فكُن نبيلاً ولا تمحُ تاريخ صاحب فضلٍ بموقف واحد
الكريمُ إذا منعَ مرةً لا يُنسى كرمه السابقَ
والحليمُ إذا غضبَ مرّةً لا يُنكر حلمه السابق
والمثابرُ إذا وهن مرةً لا يجحدُ ما كان منه من مثابرة
وانظر لحوارِ النُّبلاء بين آدم وموسى عليهما السّلام
إنهما يختصمان في أهم قضيّةٍ في الوجود «قضية الجنَّة»
فلا لومُ موسى لآدمَ أنساه فضلَ آدم
ولا دفاعُ آدم عن نفسه أنساه فضلَ موسى
فاحفظْ للنَّاسِ مكانتهم ولو اختلفتَ معهم!

الدَّرْسُ الثَّاني:

نحن أمة الغيب!
وما نُؤمنُ به ولم نشهده أكثر مما نؤمنُ به وقد شهدناه!
نؤمنُ بالنَّارِ والجنّة والبعثِ والحسابِ والصراطِ والملائكةِ وكلها غيب
وأولُّ صفةٍ من صفات المتقين في القرآن إيمانهم بالغيب!
وقد قال ربنا في فاتحة البقرة :
﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ، الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾

فالإيمانُ بالغيبِ جاء قبل الصَّلاة والزَّكاة والصَّدقة
ذلك أن العبادة دون إيمانٍ ليستْ إلا مشقة منزوعة الأجر!
وهذا حوار جرى في عالم الغيبِ أخبر به الصَّادقُ الأمين
نؤمنُ به كما نؤمن بسائرِ الغيبياتِ دون : متى ولماذا وكيف!

الدَّرْسُ الثَّالث:

رأيكَ يحتملُ الخطأ فلا تمشِ في الأرض معتبراً نفسك معصوماً!
ومآخذكَ على النَّاسِ ليست إلا رأياً
ربما لو عرفتَ ظروفَهم وسمعتَ منهم لا عنهم
لعلمتَ أنكَ بنيتَ موقفاً خاطئاً منهم
فهذا موسى عليه السّلام جاءَ آدمَ عليه السلام مقتنعاً أنه أخطأ
فما انتهى الحوار إلا وحجّ آدم موسى!
فلا تحللْ موقفاً وتستخلص منه رأياً وتجعله بعد ذلك ديناً!
إنَّ المسمارَ بمنظارِ الخشبة : مجرمٌ يثقبها
لو علمت الخشبةُ الضربَ الذي نزلَ على رأس المسمار لعذَرتْه!

الدَّرْسُ الرَّابع:

الرأي يُضرب بالرأي ، والحُجة تُقرع بالحُجّة!
السيفُ لا يلغي رأياً صائبًا ولو أثخنه!
والقوة لا تُلغي حقاً ولو انتصرتْ عليه جولة!
فلا تُفكر بيديك!

إنَّ الذي يستخدمُ سيفَه حيث بإمكانه أن يستخدم عصاه أحمق
والذي يستخدمُ عصاه حيث بإمكانه أن يستخدم لسانه أهوج
والذي يستخدمُ لسانه حيث تكفي نظرة متسرّع
كُنْ قوياً ولا تكُنْ أهوجاً
وتذكرْ دوماً أن كسبَ الأشخاصِ مُقدَّمٌ على كسب المواقف
والذي يسعى للانتصار في كلِّ موقفٍ لن يبقى معه أحدا!

الدَّرْسُ الخامس:

تكرّمَ اللهُ على هذه الأُمّة أن حفظَ لها قرآنها
وأنّه سبحانه إذ لم يحفظ الكتب السّابقة فليس عن عجزٍ منه
ولكنه يريدُ أن يقضيَ أمراً كان مفعولًا!
وابحثْ في التوراة عن ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾ فإنكَ لن تجد!
وفي الحديث خبرُ نبيٍّ لنبيٍّ أنها موجودة
ولكن أحبار بني إسرائيل حرفوا التوراة
كما حرّفَ رهبان النصارى الإنجيل
وإنها لنعمة أن نتلو كتابًا هو كتاب الله حقًا!
وأن نقرأ كتابًا هو كلامُ الله الذي نزل من فوق سبع سماوات
وإن هذا القرآن كتاب حياة أُنزل : لينذرَ به من كان حيّاً
لا ليُقرأ على الأموات وتُقام به الأجور
ولستُ أناقش مسألة انتفاع الميت من القرآن من عدمه
هذا بحثٌ يطول ، ليس المقام مقامه ولا الموضع سرده
ولكن من لم ينتفع به حيًا ما كان لينتفع به ميتًا!

الدَّرسُ السَّادس:

نُثبتُ ما أثبتَ اللهُ لنفسه
من غير تحريفٍ ولا تعطيلٍ ولا تمثيلٍ ولا تكييفٍ
نثبتُ اليدَ لله على مراد الله الذي ليس كمثله شيء
وإن كانتْ اليدُ هنا بمعنى القدرة كما أولها مسلمون نعتقدُ صحة إسلامهم
فمن الحشو ذكرها أساساً فكلنا قد خلقنا الله بقدرته!
وعندما قال الله لإبليس : ما منعكَ أن تسجدَ لما خلقتُ بيديّ
فلو كانت تعني القدرة
لقال إبليسُ : وأنا خلقتني بقدرتك!
ولكننا ونحن نؤمن بهذا نلتمسُ العذرَ لإخواننا المسلمين الذين تأوّلوا
ولا نُشكك بإسلامهم وإيمانهم فما أرادوا إلا تنزيه الله
عما اعتقدوا أنه يُنقصُ من حقه
ومن كفّر مسلمًا أثبتَ لله ما جاءَ بظاهر النص ولم يتأوّل
فقد أساء الأدب مع الله!
وأيُّ قلّة أدب أكبر من أن يعتقد مسلم أن الله أنزل كتاباً ظاهره الكفر!
وحسابُ الناس جميعاً على الله!

الدَّرْسُ السَّابع:

كتبَ اللهُ كلَ شيءٍ في اللوحِ المحفوظ
وكلُّ ما كتبه الله في اللوحِ المحفوظِ كائنٌ لا محالة
وأما أفعالُ النَّاسِ التي كتبَها الله بعلمه المطلق
لا يُسقط كتابتها مسؤوليتهم عنها فلا نُنزل هذه الحادثة على كل فعل
وإلا لانتفى مفهومُ الثوابِ والعقاب
ولاتهمنا الله سبحانَه بالظلمِ دون أن ندري
فكيف يُحاسبُ الله النَّاسَ على أفعالٍ قد كتبها عليهم
والجوابُ على هذا أن علم الله مطلق لا يساوره خطأ
ولتقريبِ الفكرة نأخذُ هذا المثل
رزقكَ الله ولداً وربيتَه تحت ناظريك لسنين طويلة
عرفتَ أخلاقَه ومعتقداته ونفسيته
ثم لما عرفتَ كل هذا تنبأتَ أنَّ ابنك هذا سيسرقُ
قد تصدقُ نبوءتُكَ وقد تخيبُ
فإن صدقتْ فهل تكون قد أجبرتَه على السرقة؟
أم أنَّ كلّ ما في الأمر أنكَ قدّرتَ الأمور فأصبتَ
وهذا كذاك، مع فارقٍ مهم يجب ألا يغيبَ عن بالنا:
أنَّ علمنا محدود وعلمُ اللهِ مُطلق
وأنَّ علمنا حدسٌ وعلمُ الله يقين
والنَّاسُ ليس لهم أن يحتجوا بقدر الله على أفعالهم
طالما أنهم أحرار أن يفعلوا أو لا يفعلوا

ثم إننا لا نعرفُ قدرَ اللهِ إلا حين يقعُ
وكون الإنسان قد قتلَ أو سرقَ فقد فعل قدر اللهِ غير مُجبرٍ عليه
وإلا ما بقي دِينٌ ، ولا كان هناكَ غاية من إرسال الرُسلِ
يعلمُ الله أهلَ الجنّةِ وأهلَ النّارِ قبل خلقهم
ولكنّه يرسلُ إليهم الرُسلَ ليمشوا في دروب أقدارهم مختارين!

الذي قتلَ مئةَ نفسٍ

روى مسلم في صحيحه أن النبيَّ ﷺ قال :
كان فيمن كان قبلكم رجلٌ قتلَ تسعةً وتسعين نفسًا
فسألَ عن أعلمِ أهلِ الأرضِ ، فدُلَّ على راهبٍ
فأتاه فقال : إنه قتلَ تسعةً وتسعين نفسًا فهل لَه من توبة؟
فقال : لا
فقتله ، فكمَّلَ به مئة!
ثم سألَ عن أعلمِ أهلِ الأرض ، فدُلَّ على رجلٍ عالمٍ
فقال : إنَّه قتلَ مئةَ نفسٍ فهل له من توبةٍ؟
فقال : نعم ، ومن يحولُ بينَه وبينَ التوبة
انطلقْ إلى أرضِ كذا وكذا
فإن بها أناسًا يعبدون اللهَ فاعبد اللهَ معهم
ولا ترجعْ إلى أرضكَ فإنها أرض سوء
فانطلقَ حتى إذا نصفَ الطريق أتاه الموت
فاختصمتْ فيه ملائكةُ الرَّحمةِ وملائكةُ العذابِ
فقالتْ ملائكةُ الرَّحمةِ : جاءَ تائبًا مقبلًا بقلبِه إلى الله
وقالتْ ملائكةُ العذابِ : إنه لم يعملْ خيراً قط
فأتاهم مَلَكٌ في صورةِ آدميٍّ ، فجعلوه بينَه
فقال : قيسُوا ما بين الأرضين ، فإلى أيتهما كان أدنى فهو له
فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرضِ التي أراد
فقبضتْه ملائكةُ الرَّحمة

الدَّرْسُ الأوَّل:

ب الله

واقعدْ فإنك أنتَ الطاعمُ الكاسِي
قال له عمر على ضلوعه في الشعر ما أرى فيه هجاءً
فقال له الزبرقان : أيكون حسبي من المكارم أن أُطعم وأُكسى؟
فأراد عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن يتثبت
فلم يرسلْ في طلب أُبيّ وهو أقرأُ الصحابةِ لكتاب الله
ولا إلى ابن عباس وهو ترجمانُ القرآن
ولا إلى معاذٍ وهو أعلمُ الناس بالحلال والحرام
ولا إلى أبي هريرة وهو أكثرُ الصحابة رواية للحديث النبوي
وإنما أرسلَ في طلبِ حسّان بن ثابت
لأنَّ القضية شِعر وأهلُ الفتوى فيها هم الشُّعراء
فقال حسان : لم يهجه فقط ، بل ذرقَ / بال عليه
كناية عن شدّة الهجاء
فحبس عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الحُطيئة!

الدَّرْسُ الثَّاني:

من قال الله أعلم ، فقد أفتى!
فلا تتحرجْ أن تقول الله أعلم إذا لم تعرفْ حُكم مسألةٍ
فلا تحملْ وزرَ النَّاسِ لأنكِ خجلتَ أن تقولَ اللهُ أعلم
وها هو الشعبيُّ المُحدِّثُ العالمُ والفقيه والقاضي
يُسألُ عن مسألةٍ ، فيقول : الله أعلم
فقالوا له : أما تستحي أن تقولَ الله أعلم وأنت فقيه العراق؟!
فقال إن الملائكة لم تستحِ يوم قالت :

﴿سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا﴾!
وها هو مالك بن أنس إمام دار الهجرة
الذي كان يقال فيه ، لا يُفتى ومالك في المدينة
جاءَه رجلٌ من العراق بأسئلة
فأجابَ عن بعضها ، وسكتَ عن بعضها الآخر
فقال له الرَّجلُ : ماذا أقولُ لأهل العراق يا مالك؟
فقال له : قلْ لهم إنَّ مالكاً لا يعلم!

الدَّرْسُ الثَّالث:

إياكَ أن تعتقد أن ذنبكَ مهما عظُم فهو أعظمُ من رحمةِ الله
إنَّ الشَّيطانَ لا يريد منكَ إلا هذه!
يريدُ أن يُكبِّر الذنبَ في عينيكَ ويصغِّرَ رحمة الله
ورحمة الله أوسعُ من ذنبك ، كُنْ على ثقة بهذا
هذا رجلٌ قتل تسعةً وتسعين إنساناً ثم قرر أن يتوب
فانتكسَ مُجدداً وأكملَ ضحاياه على المئة
ثم لمَّا علم اللهُ في قلبه خيراً هيَّأ له سبب التوبة
وقد صَدقَ الله ، فصدقه الله
حملَ زاده ومتاعه وارتحل ، فجاءه الموتُ في الطريق
وفي روايةِ البخاريِّ أن الملائكة لما قاسوا المسافة
كان الرَّجلُ في وسطِ الطريق تماماً
فأوحى اللهُ إلى الأرضِ أن تقاربي حتى كان أقرب لبلد الصالحين!
هذا التائبُ في حقيقة الأمر لم يكن إلا سفَّاحاً

يقتلُ عند أهون سببٍ ، وقد قتلَ رجلاً لم تعجبه فتواه

وليس بعد الشِّركِ ذنبٌ أعظم من القتل ، وقد تاب الله عليه

فلا علاقاتك المحرمة أكبر من رحمة الله

ولا قبولك الرِّشوة أكبر من رحمة الله

ولا شربكَ الخمر أكبر من رحمة الله

وانظرْ إلى الصَّحابة الذين عاصروا البعثة الشريفة كيف كانوا قبلها

هذا عمر خرج ليقتلَ رسول الله صلى الله عليه وسلَّم

وهذا عكرمة أهدر النبي ﷺ دمه يوم الفتح

وهذا خالد قلبَ نصر المسلمين هزيمة يوم أُحد

ثم انظرْ إلى رحمةِ الله

عمر يملأ الأرض عدلاً ورحمة

وعكرمة شهيدُ اليرموكِ وقائد الميمنة

وخالد سيف الله المسلول الذي أدّب به أبو بكر الروم وفارس

والناسُ معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا

وما زلنا نرى ونسمع في عصرنا عن أشخاص

كانوا من أشرس أعداء الإسلام فصاروا بالتوبة أشرس المدافعين عنه

فإن عُرفتَ في المعصية

فما زال الباب مفتوحاً لتُعرفَ بالطاعة

الدَّرْسُ الرَّابِع:

لا تقفْ بين النَّاسِ وبينَ الله!
النَّاسُ يحتاجون لمَن يأخذُ بأيديهم إلى الله
فلماذا تدفعهم عنه!
حدِّث العصاةَ عن رحمةِ اللهِ قبلَ عذابه
وعن عدلِه وعفوِه قبل انتقامِه
في الجنَّة متسعٌ للجميع فلا تقلقْ على مكانك!
عامل العصاة بالرحمة وَاشفقْ عليهم
يرى النبيُّ ﷺ راهباً يقومُ الليلَ على دين باطل
فيبكي
ويُسألُ : ما يُبكيكَ يا رسول الله؟
فيقول عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية!
لم يسرُّه أن يدخلَ رجلٌ النَّارَ وهو على دينٍ آخر
فهل يسره أن يدخلها رجلٌ من أهلِ الإسلامً
ويدخل على يهوديٌّ في سكراتِ الموت فيدعوه فيُسلم
فيقول : الحمدُ لله الذي أنقذه بي من النار!
إنَّ أحبَّ عباد اللهِ إليه أشدّهم تحبيباً لعباده إليه!
ألا يكفي الناس ذنوبهم التي أحاطت بهم ، وشياطينهم التي تسلطت عليهم
حتى نكون نحن أيضاً عليهم
يقومُ النبيُّ ﷺ الليل كله في آية
﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾

فيخبره ربه أننا سنرضيكَ في أمتك
هذه الرحمة يجب أن نضعها نُصبَ أعيننا
وأن نكره الذَّنبَ لا المُذنب!
وفي الحديث : أن نبياً ضربه قومه فأدموه
فأخذ يمسح الدم عن وجهه ويقول : اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون!

الدرسُ الخامس:

الموتُ يأتي بغتة
فصاحبُنا ماتَ في الطَّريقِ وما ظنّ وهو يمشي أن يموت
ولكن ما أحلاها من موتةٍ وما أحلاها من طريق
مات في الطريق إلى الله!
اجعلْ حياتكَ سَفراً إلى الله ، ثم ما ضرك متى تموت!
وانظر حولكَ كم زرعٍ ما عاش صاحبُه ليحصده
وكم بيتٍ بُني ما عاشَ صاحبُه ليسكنه
وكم مقعدٍ دراسيٍّ مات صاحبه وما تخرَّجَ منه!
كم طفلٍ دفنتَ ، وكم صغيرٍ شيعتَ
كم فتاةٍ كالبدرِ حُسناً ، حُملت إلى القبر لا إلى عريسها
لا تقلْ غداً أتوب
فإنَّ غداً قد لا يأتي عليك
وكل الذين ماتوا منذ ساعة ، اعتقدوا مثلنا أنهم لن يموتوا!

الدَّرْسُ السَّادس:

النوايا مناطُ قبول الأعمال

النِّيةُ وحدها ترفعنا عالياً وإن لم نعملْ!

أصابتْ مجاعةٌ بني إسرائيل زمنَ موسى عليه السلام

فنظر فقير إلى الجبال وقال :

اللهم إنكَ تعلمُ أنَّه لو كان لي مثل هذه الجبالِ ذهباً لأنفقتُها على عبادك

فأوحى الله إلى موسى أن قُلْ لعبدي أنّا قبلنا منه صدقته!

والنِّيةُ وحدها تحطنا وإن عملنا

فهذا ابن سلول يصلي الفجرَ جماعةً خلفَ رسول الله ﷺ

وهو في الدَّركِ الأسفلِ من النار!

أصلحْ نيتك تصلُح أعمالك

وإياك أن تكون كمن يزرعُ قمحاً في البحر فلا يناله إلا الجهد

وما له في كل هذا من أجرا

للحصول على نسخة كاملة

من الكتاب

اكتب في خيار البحث على فيسبوك

مكتبة الرمحي أحمد

وتابع الصفحة

سنطرح رابط كامل قريبا

نوفر لك رابط تحميل مباشر

كتب جديدة

نرجوا دعم الصفحة

لنستمر معكم وفي خدمتكم

للحصول على نسخة كاملة

من الكتاب

اكتب في خيار البحث على فيسبوك

مكتبة الرمحي أحمد

وتابع الصفحة

سنطرح رابط كامل قريبا

نوفر لك رابط تحميل مباشر

كتب جديدة

نرجوا دعم الصفحة

لنستمر معكم وفي خدمتكم

فحين يُحدِّثنا القرآنُ عن ابني آدمَ عليه السّلام لا يذكر اسميهما
وإنما عرفنا هذا من أخبارِ الأمم السابقة
ذلك أنه إن كانا «هابيل وقابيل» أو «أحمد وخالد» فلا إضافة
ما يعنينا هو موقف كل شخصية من هاتين الشخصيتين
الحَسُود الطمّاع ، رافض حكم الله ، قاتلُ أخيه
والمؤمنُ التقي ، القوي الورع
الذي ما كان له أن يمد يده إلى أخيه ليقتله ولو بادرَ أخوه
وحين يُحدِّثنا القرآنُ عن مؤمنِ آلِ فرعون يخفي اسمه أيضاً
ذاك أن العبرة في الموقف
وحين يُحدِّثنا عن شاهد يوسف عليه السلام
فلا يذكره إلا «شاهد من أهلها»
وهويته إنّما عرفناها من الأحاديثِ والآثار
لأنّها تفصيل صغير والمهمُّ منها الموقف لهذه الشّخصية
والذي جاء من أقصى المدينة يسعى لنصرة المُرسلين في سورة «يس»
ورد ذكره «رجل» هكذا بالتّنكير
ذلك أن المواقف أهمّ من الناس!
وحين يُحدِّثنا القرآنُ عن النّمرود لا يذكر اسمه
ذلك أن المهمّ من القصّة موقف الطّغيان لا هوية الطّاغي
وحين يُحدِّثنا عن الذّبيح إسماعيل عليه السلام لا يسميه لنا
ذلك أنّ المُهمّ هو موقف البرّ المذهل
وحتى الذين ذُكرت أسماؤهم سواءً في القَصص القرآنيِّ أو النّبويّ
فإنما ذُكرتْ للموقفِ الذي قامَ به هذا الشخص
فحين يحدِّثنا اللهُ عن محاولةِ إحراق إبراهيم عليه السلام

فليخبرنا عن المجتمعات المريضة ، وثبات المؤمن
لا ليسردَ لنا سيرة ذاتية لإبراهيم ولا تأريخاً للأمم السَّابقةِ
وإن كان هذا يتحققُ ضِمنًا في سياق القصَّة
وحين يُحدِّثنا عن طوفان نوح عليه السلام
فليخبرنا كيف يُصبحُ النَّاسُ بالضلال أحطّ من الحيوانات
بنداءٍ واحدٍ تركبُ الحيوانات السفينة
وبتسعمئةٍ وخمسين سنةً من الدَّعوة لا يركبُ معه إلا قليل
وليخبرنا أنّ الدُّعاة لا يملُّون لأنّه لا تعنيهم النتائج
المهم أن يبقوا سائرين على الطريق!
وحين يُحدِّثنا عن موسى عليه السلام مع فرعون
فليخبرنا أن قدرَ اللهِ نافذ لا محالة رغم أنف الطغاة
قتلَ فرعونُ آلاف الأطفال في طلب موسى
ولمَّا جاء موسى ربَّاه في قصره!
وليخبرنا أنَّ الأسبابَ إنما تجري على النَّاسِ ولا تجري على الله
فالعصا لا تشقُّ بحراً بالعادة ولكنَّها تفعلُ إن أراد الله هذا
لهذا في كل حدثٍ ، وفي كل موقفٍ ، وفي كل قصَّةٍ
تأمل الفعلَ لا الفاعلَ ، والحدث لا القائم به
ولو تأملتَ في الحياةِ جيداً لوجدتَ أنَّ الصراع بين الحق والباطل
هو ذاته في كل عصر وإنما يتغيَّر المحاربون
كلُّ طاغيةٍ في أيّ عصرٍ هو فرعون والنَّمرود
وكلُّ داعيةٍ في أيّ عصرٍ هو إبراهيم وموسى
كل جيش للباطل هو جيشُ أبرهةَ وجيشُ قريش يوم بدر
وكلُّ طائفةٍ مجاهدة هي جيشُ يوشع بن نون وجيشُ الصحابة

الدرسُ الثّاني:

إذا ذُكِّرتَ باللهِ ارتدعْ ولا تأخذك العزة بالإثم
أحياناً تُصبح المكابرة بعد اقتراف الذنب أكبرَ من الذّنبِ نفسه!
وانظرْ إلى آدم وإبليس كلاهما قد عصى ربّه
عصى إبليسُ ربّه لحظة رفض السُّجود لآدم
وعصى آدم ربه لحظة أكله من الشجرة المحرمة
واحدة بواحدة وليست العاقبة سواء
فلما عُوتِبَ إبليس استكبر ، ولمّا عُوتِبَ آدم استغفر
وشتان بين متكبرٍ ومستغفر!
إياك أن تُذكَّرَ باللهِ فتطغى . . .
فإنَّ ذنبَ الغافلِ أيسر من ذنب المُصرِّ
إذا قُلت كلمة أغضبتْ قريباً وجاء من يُذكرك بخطئك
فلا تجمع عليك خطأين : خطأ الكلام السيّء وخطأ الاستكبار
إذا قطعت رحمًا وجاء من يذكرك فضل صلة الأرحام
فلا تجمع ذنب قطع الرحم وذنب الاستكبار
إذا ارتكبت إثماً بحقِّ اللهِ فتركت صيامًا أو صلاةً وذُكِّرت
فلا تتجبر فإنما وصف اللهُ الوليدَ بن المُغيرة بأنّه أدبرَ واستكبرَ
وإنَّ ذنبًا ترتكبه وتشعر بالانكسار بعده
قد يكون لك عند الله خير من طاعة تملأك بالعُجب!
هذا بعد اقتراف الذُّنوب ، أما قبلها فلا عُذر
لأن فيها جرأة على الله ما بعدها جرأة
إن صار إليكَ أمرُ مالٍ تحفظه وأردتُ أن تُضيعه فذُكِّرتَ فارتدع

فإنّ شرَّ ذنب يُرتكبُ بعد تذكير لأنّ فيه تحدٍ وإصراراً
وتذكرْ أنَّ الكَبير هو الصغيرَ أمامَ الحقّ!
وهذا عمر بن الخطاب يحكمُ بلادًا شاسعة ورعية بالملايين
يصعدُ المنبر ويريدُ أن يحدد المهور بعدما رأى مغالاة الناس فيه
فتقومُ إليه الشّفاءُ بنتُ عبد الله وتقول له : ليس لكَ هذا
إن الله يقول : ﴿وإن آتيتم إحداهن قنطاراً﴾ فبأيّ حقٍّ تحدده؟
فيقول ﷺ : أصابتْ امرأةٌ وأخطأ عمر!
فلم يجد حرجاً أن ينزل على الحقّ أمام الناس وهو الخليفة
فما بال أحدنا يرفض الحقّ بينه وبين من ينصحه
وهذا بطل قصتنا يشتهي ابنة عمِّه كأشدّ ما يشتهي الرِّجالُ النساء
وينفقُ وقته عملاً وكداً يجمع مالاً للحصول عليها
ولما صارت بين يديه ذكرته بالله قائلة : اتقِ الله ولا تفضّ الخاتمَ إلا بحقه
فقام عنها وهي أحبُّ نساءِ الأرضِ إليه!

الدَّرْسُ الثّالث:

إيّاك وحقوقُ النّاسِ فالله يغفرُ ما كان له ولا يتساهل بما للناس
وهذا الشهيد يُغفر كل ذنبِه مع أوّل قطرة من دمه إلا الدّين!
هذا لأن الدّين من حقوق النّاس!
وأيما لحم نبتَ من حرام فالنّارُ أولى به
وقد جاءَ في الحديث : «إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون إليّ
ولعلّ أحدكم أن يكونَ ألحنُ بحجته من أخيه فأقضي له على نحو
ما أسمع

فمن قطعتُ له من حقِّ أخيه شيئاً فلا يأخذه فإنما أقطعُ له قطعةً من نار»!

إنَّ حقوق الآخرين لا يُحلّها أن يُقضى بها النبي ﷺ

فما بالك إذا قضتْ بها المحاكم التي أقامها أهل الأرض

ما ليسَ لك حرام عليك وإن قضت به محاكم الدنيا كلّها

وتذكر أن في الآخرة محكمة تُرد فيها الحقوق حيث لا درهم ولا دينار

إنما الحسابُ بالحسنات والأعمال ، وقت أننا أحوج ما نكون إلى حسنة

إياك أن تستقوي بالقانون على الضعفاء

وإياك أن تُصدِّق مقولة الأغبياء القانون لا يحمي المغفلين والبسطاء والضعفاء

كون النَّاس بسطاء لا يحل سرقتهم

فالسرقة حرام بغض النظر عن هوية المسروق بسيطًا كان أم ذكيًا!

ومما ابتلي به الناس في هذا العصر ، المظاهر الفارغة

يدفع أحدهم بقشيشاً بالآلاف في مطعم فاخر

ويسرق أجر عامل بسيط لا يساوي ثمن فنجان قهوة في مطعم فاخر

إن الكرم الحقيقي أن تؤدِّي للناس ما لهم عليك

لا أن تُهدي مسؤولاً سيارة وتسرق خادمتك!

والأناقة الحقيقية هي أناقة دفع الحقوق

لا أناقة ربطات العنق والعطور الباهظة

للأسف هذا عصر لا يعرف الناس فيه الأناقة إلا في الثياب

ولو تأملتَ أرواحهم وقلوبهم لوجدتها رثة

وانظرْ لصاحبنا تركَ العاملُ أجره ومضى قبل أن يأخذه
فأخذه ونمّاه وشغله ولمّا عادَ أعطاه كل شيء
لا نريدُ أن نُشغلَ رواتب البسطاء والمساكين وإن كان هذا شيء جميل
نريدُ أن نعطيهم حقوقهم
هذه المبالغ الزهيدة سرقتها لن تغنيك، وتأديتها لم تُفقرك
فلا تكن عبداً للمال، لا يدفع حقًا إلا بالقوة
الأحرار يدفعون ما عليهم، ولو كانوا على قدر من القوة أن لا يسألهم أحد!

الدَّرسُ الرَّابع:

الدُّعاء سلاح المؤمن فلا تستهن به!
وفي الحديث: لا يردُّ القدر إلا الدُّعاء
فما بالنا آخر باب يُطرق هو باب الله
منذ متى كان الرزقُ والشِّفاءُ والأولاد والأزواج والنَّصرُ بيد النَّاس؟
هذه أمور كلُّها بيد الله وما الناس إلا أسباب
فما بالنا نتعلّقُ بالأسباب ونترك مُسببها
والأخذُ بالأسباب شيءٌ مشروع بل واجب
ولكن إياك أن تجعل يقينك على الأسباب
الدواءُ سببٌ في الشِّفاء ولكن الشافي هو الله
والعملُ سبب في الرزق ولكن الرازق هو الله
والزَّواجُ سبب في الأولاد ولكن المعطي هو الله

كم من إنسان تداوى ولم يَشفَ
وكم من إنسان عمل ولم يغتنِ
وكم من إنسان تزوَّج ولم يُنجبْ
إن الله يُحبُّ أن يُسأل، والإنسانُ يُحبُّ أن يُعطى
فقدّمْ لله ما يُحبّ ليعطيك ما تُحب
إن الله إذا نظرَ إلى قلبك ورآك زاهداً عنه بالأسباب
تركَكَ إلى ما زهدتَ به عنه
وإذا نظرَ في قلبك ورأى أنه ليس فيه أكبر منه سبحانه
هيأ لكَ الأسباب وسخّر لك الناس
هذا آدم عليه السلام وزوجته يذنبان فيدعوان:
«ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين»
فكانت المغفرة
وهذا نوح عليه السلام لما ضاق ذرعاً بقومه يدعو:
﴿ربِّ لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً»
فكان الطوفان!
وهذا إبراهيم عليه السلام يُسلم أهله لربه فيدعو:
﴿فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم﴾
فكانت مكة حنين القلوب على مدار العصور!
وهذا لوط عليه السّلام تضيقُ عليه الأرض فيدعو:
﴿ربِّ انصرني على القوم المفسدين﴾
فيحمل جبريل القُرى بجناحه، حتى إن الملائكة لتسمع نباح الكلابِ فيها
لشدة اقترابه بها من السماء، ثم يقلبها رأساً على عقب!

وهذا يوسف عليه السلام تُسد أبوابُ الأرض في وجهه فيدعو

﴿وإلا تصرف عني كيدهن أصبُ إليهن وأكن من الجاهلين﴾

فيصبح عزيز مصر!

وهذا موسى عليه السلام يهوله المسؤولية التي أُلقيت على عاتقه فيدعو

﴿ربِّ اشرح لي صدري، ويسّر لي أمري، واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي، واجعل لي وزيراً من أهلي، هارون أخي﴾

وعلى الفور يخبره ربه: ﴿قد أوتيت سؤلك يا موسى﴾!

وهذا سُليمان عليه السلام علم أنه نعم الحاكم العادل فدعا:

﴿وهب لي ملكًا لا ينبغي لأحدٍ من بعدي﴾

فملّكه الله رقاب الجن!

وهذا يونس عليه السلام في ظلمة الليل والبحر وبطن الحوت فيدعو

﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنتُ من الظالمين﴾

فيصبح بطنُ الحوت المفترس، له وعاءً وحضنًا!

وهذا زكريا عليه السلام يشتاقُ أن يكون أبًا فيدعو

﴿ربِّ هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء﴾

فتناديه الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب تبشره بيحيى عليه السلام

الدنيا معركة مستعرة، والدعاء سلاح المؤمن

والمحاربُ الذكيّ لا ينزلُ إلى ساحة المعركة دون سلاحه!

الدرسُ الخامس:

إنَّ من رحمة الله أنَّ العبدَ إذا همَّ بحسنةٍ ولم يفعلها
كُتبت له حسنة كاملة
وإن فعلها كُتبت له عشر حسنات
وإذا همَّ بالسيئة ولم يعملها كُتبت له حسنة كاملة
وهذا صاحبنا أراد الزِّنا وسعى له سعيه
ولما همَّ به وذُكّر بالله ارتدعَ فصارتْ له منقبة
أزاح اللهُ له بها صخرةً كبيرةً عن بابِ الغار
إذا هممتَ بسيِّئةٍ وتذكرت أنها سيئة
فاعلم أن الله ذكَّركَ لأنه يحبك
الذين يبغضهم الله يبتليهم بالغفلة فلا يرون إلا ما تملي عليهم شهواتهم
فلا ترد الحُبّ بالبغضاء!
كلُّ خطوةٍ أردتَ أن تمشيها في حرامٍ وارتدعتَ
ستُكتبُ لك خطوة مشيتها في حلالٍ
وكلُّ درهم كنت ستنفقه في حرامٍ ثم ارتدعتَ
سيُكتبُ لكَ درهماً كأنما أنفقته في صَدقة
كلُّ كلمةٍ في باطل كنتَ ستقولها ثم ارتدعتَ
ستُكتب لكَ كأنها كلمة قلتها في حق
يا لرحمة الله حتى الطريق إلى النَّارِ تُصبحُ طريقاً إلى الجنَّةِ
حين قررتَ أن لا تمشي فيها!

الدَّرْسُ السَّادس:

اخترْ دوماً رفقة صَالحة
هذا كلبٌ خلّد الله سبحانه ذِكرَه في كتابه العزيز
فقط لأنه اختارَ رفقةً صالحة
فلا يكن كلب أفقه منا في اختيار الصُّحبة!
وانظرْ إلى الثلاثة أصحاب الغار
ماذا لو أنَّ أحدُهم لم يكن له عند الله خبيئة وعملًا صالحًا
لكانوا بقوا في الغار وهلكوا
ولكن اجتمعَ صلاحهم معًا فنجوا جميعًا
ومن أمثال الجدّاتِ : الصَّاحبُ ساحب!
وشتان بين صاحبٍ يأخذُ بيدك إلى الجنة
وبين صاحبٍ يأخذك من يدك إلى النار!

قضاء سليمان عليه السلام

روى البخاريُّ ومسلم في صحيحهما أنَّ رسول الله ﷺ قال :
كانت امرأتان معهما ابناهما فجاءَ الذئب فذهبَ بابن إحداهما
فقالت لصاحبتها : إنما ذهب بابنك
وقالت الأخرى : إنما ذهب بابنك
فتحاكمتا إلى داود عليه السّلام فقضى به للكبرى
فخرجتا على سليمان بن داود عليهما السلام فأخبرتاه
فقال ائتوني بالسِّكين أشقه بينكما
فقالت الصغرى : لا تفعلْ يرحمك الله هو ابنها
فقضى به للصغرى!

الدَّرْسُ الأوّل:

فضّلَ الله الأنبياء عليهم السّلام بعضهم على بعض
فأولوا العزم من الرسل أفضل الأنبياء على العموم
أما على الخصوص فقد يُعطي الله نبيًا أمرًا لم يعطه لغيره
وهذا لا يقتضي فضل المُعطى على الذي لم يُعط
فهارون عليه السلام أفصح من أخيه موسى عليه السّلام
بشهادة مُوسى نفسه ، ونصّ القرآن الكريم
ولا خلاف أن موسى أفضلَ من هارون عليهما السلام وكلاهما فاضل!
وسليمان عليه السلام أوتي ملكًا لم يعطه أحد قبله ولا بعده

وكان عيسى عليه السلام فقيراً وهو أفضل من سليمان وكلاهما فاضل!
وألانَ الله لداود الحديد ولم يلنه لمحمد ﷺ
وهو أفضل خلق الله على الإطلاق
وما يُقال عن الأنبياء عليهم السلام يُقال فيمن دونهم من النّاس
فخالد بن الوليد أوتي حنكة في الحرب ليستْ لأبي بكر رضي الله عنهما
وأبو بكر لا يعدله أحدٌ من الصحابة
وكان أُبيٌّ بن كعب أقرأ لكتاب الله من عمر رضي الله عنهما
ولا خلاف أن عمر أفضل من أبيّ
وكان معاذ بن جبل أعلم بالحلال والحرام من عثمان رضي الله عنهما
وعثمان أفضل من معاذ!
فالأفضلية إذاً إنما تكون بالمجموع والعموم وليس بواحدة فقط
هذا أمر يجب أن لا يغيبَ عن أذهاننا ونحن نقرأ هذه القصة
كما لا يجب أن ننظر لحكم داود عليه السّلام بالخطأ المحض
فلا شكّ أنه اجتهدَ في الحكم وقضى بما رآه من أدلة
وقد تكون الكبرى أفصحُ لسانًا من الصغرى
ولّما لم يكن من بينة لهذه أو تلك كان منه ما كان

الدَّرْسُ الثّاني:

كان سليمان عليه السلام داهية في القضاء
والقصة التي بين أيدينا ليست إلا واحدة وهناك غيرها
وقد ذكر الله دهاءه في القرآن إذ حكم وأبوه في الحرث
﴿وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشتْ فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين﴾
والقصَّة أنَّ أغنام رجلٍ دخلتْ في الليل على زرع رجل آخر
فأكلتْ من الزَّرع ما أكلتْ، وأتلفت منه ما أتلفتْ
ثم إن الرجلين اختصما إلى داود عليه السلام
فقضى أن يعطي صاحب الأغنام أغنامه لصاحب الزَّرع نظيرَ ما أفسد
فلما خرجا من عنده التقيا بسليمان عليه السلام
فسمع من هذا ومن ذاك
ثم قال: ليس الحكم هذا!
وإنما يأخذُ صاحب الأرض أغنام صاحبه فينتفع بلبنها
ويقوم صاحب الأغنام على أرض صاحبه فيصلح ما أفسدتْ ماشيته
فإذا عادت سيرتها الأولى، أخذ هذا أرضه واستردَّ هذا غنمه!
وأثنى الله على حكم سليمان عليه السلام قائلاً: ﴿ففهمناها سليمان﴾!
ولم ينسَ فضل داود فقال: ﴿وكلًّا آتينا حكماً وعلماً﴾!
ومن دهاء سليمان عليه السَّلام في القضاء
أن رجلًا جاءه وقال له: يا نبيَّ الله إن لي جيرانًا يسرقون إوزي

فنادى سليمان عليه السلام : الصلاة جامعة!
ثم صعد على المنبر وخطب في النّاس قائلًا :
ما بال أحدكم يسرق إوزّ جاره ثم يدخل المسجد والريشُ على رأسه!
فمسح رجلٌ رأسه
فقال سليمان عليه السلام : خذوه فإنّه صاحبكم!
لا بدّ لمن يقضي أن يكون عالمًا بالمسألة التي يحكم فيها
فبعضُ المسائلِ تحتاج إلى علم أكثر من اجتهاد ورأي
لأن الشرع قد قال كلمته فيها ، كالمواريث مثلاً
ولكن لا يستغني القاضي عن الدهاء والحيلة
وقد عرضنا في حكم سليمان قصصًا ثلاث
لم يكن فيها نصوص وإنما هو بإعمال العقل والفطنة
ولا يسعنا ونحن نتحدث عن القضاء والدهاء فيه
أن نقفز عن داهيتين من دهاته هما : إياس بن معاوية وشريح القاضي
فكلاهما كان قاضيًا داهية ، سجّل أحكامًا باهرة
وإياس بن معاوية وليَ القضاء لعمر بن عبد العزيز رحمه الله
ويروي ابن الجوزي عنه في أخبار الأذكياء
أنَّ رجلًا خبّأ مالاً في حضرة صاحبه عند شجرة
فما كان من صاحبه إلا أن عادَ وأخذ المال ومضى
فجاء صاحبُ المال إلى إياس شاكيًا
ولكن الصاحب أنكر معرفته بالحادثة والمال
فقال إياس لصاحب المال : اذهبْ إلى الشجرة لعلك تتذكر

أما أنتَ فاجلسْ معي ريثما يرجع صاحبك
وبينما إياس يقضي بين الناس إذ قال للرجل :
أترى صاحبك بلغ موضع الشجرة؟
قال : لا ، إن المكان بعيد
فقال له : يا عدو الله ، أما أنكرتَ معرفتك بالمال والشجرة من قبل؟
وهكذا أوْقعَ به
ومن ذكائه أنَّه كان في مكان ، فدخلت ثلاثُ نسوةٍ
فحدثَ ما يدعو إلى الخوف
فقال : أما هذه فحامل ، وهذه مرضع ، وهذه عذراء
فقلن صدقتَ
فقيل له كيف عرفتَ؟
قال : أما الأولى فوضعتْ يدها على بطنِها
وأما الثَّانية فوضعتْ يدها على صَدرها
وأما الثَّالثة فوضعتْ يدها على فرجِها
وإنَّ الإنسان إذا هاله أمر حمى أعز ما يملك!
وجاءَه رجلٌ ليقيمَ عليه الحُجَّة في الخمر
فقال له : إذا أكلتُ عنباً ، أتجلدني؟
فقال له لا
فقال : إذا شربتُ ماءً ، أتجلدني؟
فقال له لا
فقال : ما بالك إذاً إذا وضعتُ العنبَ في الماء وصار خمراً ، جلدتني؟
فقال له إياس إذا رميتك بالرمل ، أتتألم؟

فقال : لا

فقال : إن رميتك بالماء ، أتتألم؟

فقال : لا

فقال : إن ضربتك بهذه الآنية المصنوعة من تراب وماء ، أتتألم؟

فقال : نعم ، فليس هذا هو ذاك

فقال له : وأنت أيضاً ليس هذا هو ذاك!

وقيل له إنّا لنأخذ عليك ثلاثاً

فقال : ما هي؟

قالوا إنك دميم ، وإنك تُعجب بقولك ، وإنك سريع في الحكم!

فقال : أما دمامة خِلقتي فليستْ بيدي

وأما إعجابي بقولي ، أفلا تعجبون أنتم به؟

قالوا : بلى

فقال : فإعجابي به أولى

فكم إصبعاً في يد أحدكم؟

قالوا : خمسة

فقال : لمَ استعجلتم في الجواب؟

قالوا : لا تريّث بما عندنا علمه

فقال : وأنا مثلكم

وكان وقافاً على الحق رغم كل هذا

وكان يقول : ما غلبني في القضاء إلا رجل

ذلك أني كنتُ في مجلس القضاء بالبصرة

فدخلَ عليّ رجل شهد عندي أن البستان الفلانيّ ، وذكر حدوده ، هو ملك فلان

فقلتُ له : كم عدد شجره؟
فسكت ثم قال : منذ كم يحكم سيدنا القاضي في هذا المجلس؟
فقلتُ : منذ كذا
فقال كم عدد خشب سقفه؟ فلم أعرف
فقلتُ له : الحق معكَ ، وأجزتُ شهادته
أما شُريح القاضي فكان هو الآخر داهية عصره
وعاصر عمر بن الخطاب رضي الله عنه
يروي الشعبيّ أن امرأة جاءته تُخاصم زوجها فأرسلت عينيها وبكتْ
فقلتُ : يا أبا أمية ما أظنُّ هذه الباكية إلا مظلومة
فقال لي : يا شعبيّ ؛ إن إخوة يوسف جاؤوا أباهم عشاءً يبكون!
وأتى عدي بن أرطأة شريحاً وهو في مجلس القضاء
فقال لشريح أين أنت؟
قال : بينك وبين الحائط
فقال : اسمع مني
قال : لهذا جلستُ مجلسي هذا
قال إني رجلٌ من أهلِ الشّام
قال الحبيبُ القريب
قال وتزوجتُ امرأةً من قومي
قال : بارك الله لك بالرفاءِ والبنين
قال : وشرطتُ لأهلها أن لا أخرجها
قال : الشّرطُ أملك
قال وأريدُ الخروج
قال في حفظ الله

قال : اقضِ بيننا
قال : قد فعلتُ!
وحدث موقف بينه وبين عمر بن الخطاب رضي الله عنه
حيث اشترى عمرُ فرسًا من أعرابيٍّ وأعطاه ثمنه
فركبه عمر وبعد مسيره لاحظ فيه عيباً ، وقال للرجل :
خذ فرسك فإنه معطوب!
فقال الرجل : لا أخذه وقد بعته لكَ سليمًا
فقال عمر : اجعل بيني وبينكَ حكمًا
فقال الرجل يحكمُ بيننا شُريح بن الحارث الكندي
فقال عمر : رضيتُ به
ولما سمع شريح من الأعرابي ومن عمر وحان وقت الحكم ، قال
هل أخذتَ منه الفرس سليمًا يا أمير المؤمنين؟
فقال عمر : نعم
فقال شريح : احتفظْ بما اشتريتَ أو رُدَّ كما أخذتَ
فنظر عمر إلى شريح معجبًا وقال :
وهل القضاء إلا هذا ، قول فصل وحكم عدل
سِر إلى الكوفة فقد وليتكَ قضاءها!

الدَّرْسُ الرَّابِعُ:

تختلفُ أحكام الرِّجال لأن عقولهم بالأساس تختلف
ومن هنا جاءت المذاهب الفقهية!
فكل فقيه يُعمل عقله في النَّصِ ويستنبط منه ما لا يستنبطه غيره

وكل يُصيب ويخطئ ولا عصمة إلا للأنبياء
وحتى الأنبياء إذا ما حكموا بالاجتهاد أصابوا وأخطأوا
ولكنهم إذا ما حكموا بالوحي أصابوا لا شكّ
وهذا مبحث طويل وقد سبق الكلام فيه
فهذان نبيان كريمان يُعملان عقليهما في مسألتين
فيقضي داود عليه السلام بالولد للكبرى
ويقضي به سليمان عليه السلام للصغرى
ويقضي داود أمراً في الحرث ويرى سليمان غيره
هذا وهم أنبياء
لهذا لا تتعصبوا للمذاهب وأقوال الرجال واجتهاداتهم إن اختلاف الفقهاء رحمة
ولو أراد الله أن يحمل الناس على عمل واحدٍ لقضى في الأمر وفعل
فللذكر مثل حظ الأنثيين في الميراث بلا مجال للاجتهاد
والسارقُ تُقطع يده والاجتهاد في الحيثيات لا في أصل الحكم
وهناك أشياء سكت الله عنها رحمة غير نسيان
علينا أن نكون أرحب صدراً في التعامل مع المذاهب الفقهية الأخرى
ولو نظرنا إلى أدب العلماء مع بعضهم لأرحنا واسترحنا
فهذا أحمد بن حنبل تلميذ الشافعي يُجلّه ويقدّره
ولكنه يخالفه في مسائل
وهذا الشافعي يرى غير ما يرى أحمد ويوقره
فلا تتعصبوا!

للحصول على نسخة كاملة

من الكتاب

اكتب في خيار البحث على فيسبوك

مكتبة الرمحي أحمد

وتابع الصفحة

سنطرح رابط كامل قريبا

نوفر لك رابط تحميل مباشر

كتب جديدة

نرجوا دعم الصفحة

لنستمر معكم وفي خدمتكم

ولا يحبطنَّ أحد من نسب مهما كان وضيعًا
فكلُّ إنسان يموت وحده ، ويُدفنُ وحده ، ويُحاسب وحده
فما انتفعَ ابن نوح عليه السّلام من نسبه وهو ابن نبيٍّ
وما تضررَ إبراهيمُ عليه السّلام من نسبه وهو ابن مشرك
وفي الحديث : «يا فاطمة بنت محمد اعملي فإني لا أغني عنكِ من الله شيئًا
ويا عباس عم محمد اعمل فإني لا أغني عنكَ من الله شيئًا
لا يأتيني الناس يوم القيامة بأعمالهم وتأتوني بقرابتكم!»

الدَّرْسُ الثَّاني:

من حقِّ الإنسان أن يفخر بآبائه
ولكن هناك فرق شاسع بين الفخر والكِبر
فإن كان نسبك رفيعًا
فلا تقترف عملًا يُسيء إلى نسبك
وإن كان نسبُكَ وضيعًا
فلا يجتمع عليكَ وضاعة النَّسبِ ووضاعة العمل
لا تُدخلْ عملًا حقيرًا على نسبٍ شريف
ولا يجتمع عليك وضيعين : وضاعةُ النَّسبِ ووضاعة العمل
فهذا سليمان بن داود عليهما السلام نبيّ من صلب نبي
يسأل ربه ﴿أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمتَ عليَّ﴾
يبتسمُ لنملة ، ويسألُ عن هدهد غاب وقد ملك الأرض من شرقها إلى مغربها

فما غره نسب وما أفسده ملك
ولقد كان في قصصهم عبرة لا تسلية وترويحًا عن النفس فقط
وهذا يوسف عليه السلام أرفع البشر نسبًا
يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم
نبيٌّ ابن نبيٍّ ابن نبيٍّ ابن نبيٍّ
ينبري للمجاعة ويطعم المساكين ويُسأل: لمَ تصوم وأنتَ على خزائن الأرض
فيقول: كي لا أنسى الجياع!

الدّرْسُ الثّالث:

الله أعدلُ من أن يُدخل أبًا النار بسوءِ صنيع ابنٍ له
أو أن يُدخل ابنًا النّار بسوء صنيع أبيه
ولكن ما ورد في الحديث خير منه سبحانه وتعالى
فقد علم في أصلاب أي الجبابرة تنقل صاحبنا
علينا أن نتأدب مع الله ونحن نقرأ الآيات والقصص
إنّه اللهُ العادل الذي يجب أن لا يساورنا شكٌّ في عدله
والرّحيم الذي يجب أن لا يساورنا شك برحمته ولو انتقم!
وإن كنا قد أُمرنا أن نحسنَ الظنَّ بالنّاس
فما بالنا بالظن بالله؟!
إياكَ أن تقيس أفعال الناس على الله، أو أفعال الله على الناس
إنّه الربُّ الذي لا يظلم قيد أنملة
وليس البشري الذي تحركه سورة الغضب فيأخذ الصالح بالطالح

وإنه سبحانه ليعفو عن المسيء تكرمًا
فيدخل بغيًا النارَ بسقيا كلبٍ عطش
ويتجاوز عمن لم يفعل خيرًا قط إلا أنه كان يتجاوز عن الناس
وإنه سبحانه ليكرم الولد بصلاح أبيه
وما أرسل نبياً وعبداً صالحًا ليقيما جدار يتيمين
إلا لأن أباهما كان صالحًا
ولكنه أجلّ من أن يأخذ المصلح بالمسيء لأن بينهما نسب وقرابة

الدَّرْسُ الرَّابِع:

تواضعوا!
إنَّ الجنة منزل كل هيّنٍ ليِّنٍ سهلٍ قريب
والنَّارُ منزل كل عُتلٍ مُتكبر
وقد بلغَ من تواضعه ﷺ
أنه نهى الصحابة أن يقفوا له إجلالاً إذا دخل عليهم
وقد دخل عليهم مرةً فوقفوا ، فغضب
وكان إذا غضبَ عُرف ذلك في وجهه
فلم يكن يسب ولا يشتم ولا يفحش
فلما رأى حسان ذلك عليه أراد أن يُلطف الموقف فقال :
وقوفي للعزيز عليّ فرضٌ
وتركُ الفرضِ ما هو مستقيمُ
عجبتُ لمن له عقلٌ وفهم
يرى هذا الجَمال ولا يقومُ

فابتسم ﷺ وقد كان بطيء الغضبِ سريع الرضا!
وكان يحضره الأعرابي فيرتعد منه
فيُهدئ من روعه ويقول له هوّن عليكَ إنما أنا ابن امرأة في مكة كانت تأكل القديد!
ويجلس في مجلسه فتأتي الجارية بنت سبع سنين
تأخذه من يده فيمشي معها ولا يدري إلى أين
ثم تسأله أن يشفع لها عند أسيادها
لأنهم أرسلوها في بعض حاجتهم فتأخرت عليهم ، فيمضي ويشفع!
وكان لأنس رضي الله عنه أخ اسمه عبد الله
وكان ﷺ يلاعبه وكناه أبا عميرًا
وكان لأبي عمير عصفور صغير اسمه النغير يلاعبه
فيسأله النبي ﷺ بعد فترة : يا أبا عمير ما فعل النُغير؟
فيبكي أبو عمير لأن النغير مات
فيعتنقه بأبي هو و أمي
وهذا كان دأب صحابته فقد رباهم على التواضع ولين الجانب
أبو بكر ينظف بيت عجوز وهو الخليفة
ويمشي في الطريق فيشده الصبية من ثوبه قائلين : يا أبتاه يا أبتاه
حتى قوي البأس والشكيمة عمر كان في الحق هكذا
ولكنه في الرَّعية له قلب أم رؤوم
يصحبُ زوجته لتولِّد امرأة أعرابيٌ ليس له إلا الله
ويحملُ الدَّقيق على ظهره ويطبخُ لأيتام المرأة بيديه
يأتيه رسول كسرى ويسأل عن قصره ، فلا يجد قصرًا ولا حاشية

هازم الإمبراطوريات مستلقٍ تحت شجرة ينامُ ملء جفونه عن شواردها

وحفيده عمر ابن عبد العزيز يمشي في المسجد وهو مظلم

فيطأ قدم رجل لم ينتبه له

فيقول الرجل بغضب أأعمى أنت؟!

فيقول عمر لا

ويغضب للخليفة من معه

فيقول لهم : دعوه ، رجل سألنا فأجبناه!

وينطفئ السراج يومًا فيقوم ليضع له زيتًا

فيقولون له يا أمير المؤمنين لو فعلها أحد غيرك؟

فيقول : قمتُ وأنا عمر ابن عبد العزيز وعدتُ وأنا عمر ابن عبد العزيز

ولقد كان في قصصهم عبرة!

الرَّضيع

روى البخاريُّ في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال :
كانت امرأةٌ ترضع ابنًا لها من بني إسرائيل
فمرَّ بها رجل راكب ذو شارة
فقالت : اللهم اجعل ابني مثله!
فترك ثديها وأقبل على الراكب وقال : اللهم لا تجعلني مثله!
ثم أقبل على ثديها يمصه
قال أبو هريرة : كأني أنظر إلى النبي ﷺ يمص إصبعه!
ثم مُرَّ بأَمَةٍ فقالتْ : اللهم لا تجعل ابني مثلها
فترك ثديها ، فقال : اللهم اجعلني مثلها
فقالت : ولمَ ذاك؟
فقال : الرّاكب جبّار من الجبابرة
وهذه الأمة يقولون سرقتِ زنيتِ ولم تفعل!

الدَّرْسُ الأوّل:

هذا درسٌ تأخر موضعه في الكتاب
ولكن كما قال الأوائل : أن تأتي متأخراً خير من أن لا تأتي أبدًا
ثم إن بعض الأشياء نافع متى أتى
والمطرُ أنفع للأرض إن تأخر عنها من هطوله تباعًا لأيام
القصة أسلوب محبب إلى النفوس سواءً كان وعظاً أم تسلية
فهو قريب إلى القلوب ، آخّاذ بالمسامع ، شيّق وماتع

وما قصّ علينا القرآن فقد وقع لا محالة ، وإن كان بخلاف العادة
فإن إبراهيم عليه السلام أُلقي في النار ولم يحترق يقينًا
وموسى عليه السلام شقّ البحر بعصاه حقًا
ويونس عليه السلام مكث في بطن الحوت صدقًا
وسليمان عليه السلام كلّم الطير وحكم الجن واقعًا
ونوح عليه السلام صنع السفينة وسارت به في موج كالجبال لا شك عندنا
وإسماعيل عليه السلام فُدي من الذبح بكبش لا جدال معنا
وما صحّ من قصص النبي ﷺ له صِدق قصص القرآن
وما جاء من قصص القرآن والسنة من غريب فما قُصّ علينا إلا لغرابته
وإنّا نُصدق هذه القصة يقينًا
لأننا نؤمن يقينًا كذلك بصدق راويها وصدق من رووا عنه
ونؤمن بغريبها لأننا نؤمن من قبل أن كلّ شيء بيد الله سبحانه
فعلينا أن نتأدب مع الله ورسوله ونحن نسمع ما يخبرانا به
فالقصص القرآني والنبوي ليست ألف ليلةٍ وليلة تُروى للمتعة فقط
وليست قصة أبي زيد الهلالي تُستحضر فيها الشجاعة والفروسية
وليست قصة جلجامش يطوف الأرض بحثًا عن نبتة الخلود في خرافة ممتعة
وليست الشاهنامة ولا الإلياذة ولا كتاب الموتى عند الفراعنة
إنها على متعتها للعظة والاعتبار أولاً «فاقصص القصص لعلهم يتفكرون»!
النماذج البشرية التي عرضها القصص القرآني والقصص النبوي

انما هي نماذج مكررة تتغير أسماؤها في كل عصر ليس الا

حتى

من

لأشاح بنظره عنه!
ولو رأى أبا بكر رضي الله عنه يسير في طرقات المدينة
والأولاد يشدونه من ثوبه يقولون له : يا أبتاه يا أبتاه
لاستخف به
ولو رأى المرأة التي كانت تقمُّ المسجد في عهد رسول الله ﷺ
ما كلّف نفسه أن ينظر إليها
ولو رأى البراء بن مالك رضي الله عنه
أشعث أغبر ذي طمرين مدفوع بالأبواب لا يُأبه له
لما أبه له أيضًا
المظاهر خدّاعة والناس بقلوبهم لا بثيابهم
ولستُ ضد الأناقة في اللباس والهيئة
على العكس تمامًا ، إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده
ولكن المظاهر ليست كل شيء
هذا فارس صنديد يُشار إليه بالبنان
تتمنى المرأة أن يكون ابنها مثله
خُدعت بالمظاهر شأننا جميعًا ، إذا رأينا القوة والمال في يد الناس
ولكن الله أنطق الصبيّ ليرفض دعاء أمه
فما فائدة المال والجمال إذا كان أحدنا جبارًا
وهذه أمة سوداء تُتهم زورًا بالسرقة والزنا
فتدعو الأم أن لا يكون ابنها مثلها
فينطقه ربه اللهم اجعلني مثلها
ذلك أنه خير لك أن تكون مظلومًا ولا تكون ظالمًا
وإنه لا يضرك إن كنت مجهولاً في الأرض معروفًا في السماء

الدّرْسُ الثّالث:

البيوت أسرار والناس صناديق مغلقة!
صور أعياد الميلاد في مواقع التواصل
لا تعني بالضرورة أن الزواج سعيد
وصور الطعام الشهي في الانستغرام
لا تعني بالضرورة أن الناس يملكون كل ما يشتهون
أحيانًا من قلة السعادة يريد الناس إخبارنا أنهم سعداء!
اصطحب رجل زوجته إلى حديقة الحيوانات
فمرَّ بالقرب من قفص القرود
فشاهدا قرداً يلاعب أنثاه
فقالت الزوجة يا لها من قصة حب رائعة
وعندما مرا بجوار قفص الأسود
رأيا الأسد يجلس صامتًا بينما تلهو اللبؤة بعيدًا عنه
فقالت الزوجة : يا لها من قصة حب مأساوية
ألقى الزوج عصا صغيرة تجاه اللبؤة
فهاج الأسد وزأر وأقبل مسرعًا يحمي أنثاه
وعندما عاد إلى قفص القرود ألقى عصا صغيرة على الأنثى
فظلّ القرد يلهو ويلعب كأن شيئاً لم يحدث
فإياك أن لا ترى إلا ما ترى!

الدَّرْسُ الرَّابِع:

أحيانًا يطلب الناس ما فيه مضرتهم
ولا يعلمون أن منع الله عطاء!
إن من النَّاسِ من لا يصلحه إلا الفقر
ومن النَّاسِ من لا يصلحه إلا الغنى
هناك مرضى لو كانوا أصحاء لتجبروا
وهناك فقراء لو كانوا أغنياء لتكبروا
وإن غنياً شاكراً لو كان فقيراً لكفرَ
وصحيحاً عابداً لو كان مريضاً لفجرَ
وتذكر دوماً قول عمر ﵁
لو كُشفت لنا حُجب الغيب ما اختار أحدنا لنفسه إلا ما اختاره الله له
حضر أحد الفقراء إلى أحد الحكماء يشكو إليه
وكان كل يوم يُذكره أنه لا يعرف ظروف الناس
ولما ضاق به ذرعاً أراد أن يعطيه درسًا عمليًا
جمع رجال القرية وطلب من كل واحد أن يكتب مشكلته
فكتب الجميع مشاكلهم دون ذكر أسمائهم
ووضع الحكيم الأوراق في صندوق
وقال لصاحبنا : هذه حياة الناس بين يديك فاختر واحدة لك
وبدأ الرجل يفتح ورقة ويلقيها لأنها لم تعجبه
ثم فتح الثانية والثالثة والرابعة إلى أن أتى على الأوراق كلها
عندها قال للحكيم : لا أريد إلا حياتي!
إن الغنى في الرضا
والله ، إنَّ مال الدنيا كله دون رضا فقر
وفقر الدنيا كله مع الرضا غنى!

رؤيا

روى البخاري من حديث سَمُرة بن جندب ﵁ قال :
كان رسول الله ﷺ يُكثر أن يقول لأصحابه
هل رأى أحدٌ منكم من رُؤيا؟
فمن رأى رؤيا يَقصُّها على النبي ﷺ
وإنه قال ذات غداة :
أتاني الليلةَ آتيان ، وإنهما ابتعثاني
وإنهما قالا لي انطلق ، وإني انطلقتُ معهما
فأتينا على رجلٍ مضطجع ، وإذا آخرُ قائم عليه بصخرة
وإذا هو يهوي بالصخرةِ لرأسه فيَثْلغ بها رأسَهُ
فيتدَهدَ الحجرُ ها هنا ، فيتبعُ الحجرَ فيأخُذُه ، فلا يَرجعُ إليه
حتى يصحَّ رأسُه كما كان ، ثم يعودُ عليه
فيفعل به مثلَ ما فَعَلَ به المرّةَ الأولى
فقلتُ لهما : سبحان الله ما هذانِ؟!
فقالا لي انطلق انطلق
فانطلقنا ، فأتينا على رجل مستَلْقٍ لقَفاهُ
وإذا آخرُ قائمٌ عليه بكَلُّوبٍ من حديد
وإذا هو يأتي أحدَ شِقّي وجهه
فيُشرشِر شِدْقه إلى قَفاه ومِنْخَره إلى قفاه ، وعينه إلى قفاه
ثم يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول
فما يَفرُغ من ذلك الجانب حتى يصحَّ ذلك الجانب كما كان
ثم يعودُ عليه فيفعل مثلَ ما فعل المرّة الأولى

فقلت : سبحانَ الله ما هذان؟

فقالا لي : انطلق انطلق

فانطلقنا ، فأتينا على مثل التنُّور فإذا فيه رجالٌ ونساءٌ عراة

وإذا هم يأتيهم لَهَبٌ من أسفلَ منهم

فإذا أتاهم ذلك اللهب ضَوْضَوْا / أحدثوا ضوضاء وصرخوا

قلتُ لهما ما هؤلاء؟

فقالا لي : انطلق انطلق

فانطلقنا ، فأتينا على نهر أحمر مثل الدَّم

وإذا في النهر رجلٌ سابحٌ يَسبَح

وإذا على شَط النهر رجلٌ قد جَمَعَ عندَه حجارةً كثيرةً

وإذا ذلك السابحُ يسبحُ ما يسبحَ ، ثم يأتي ذلك الذي قد جمعَ عندَه الحجارةَ

ثم يأتي السابح فيفغَر له فاهُ فيلقمُهُ حجراً

فينطلقُ يسبَح ، ثم يرجعُ إليه

وكلما رَجَعَ إليه فغَرَ له فاهُ وألقمه حجراً

فقلت لهما : ما هذان؟

فقالا لي : انطلق انطلق

فانطلقنا ، فأتينا على رجل كريهِ المرآةِ «المنظر»

كأكرهِ ما أنتَ راءٍ رجلا مرآةً ، فإذا عندَهُ نار يحُشُّها ويسعى حولها

فقلت لهما : ما هذا؟

فقالا لي : انطلق انطلق

فانطلقنا ، فأتينا على روضةٍ معْتمة (أي شديدة الخضرة) فيها من كل لون الربيع

وإذا بينَ ظهري الروضة رجلٌ طويلٌ ، لا أكادُ أرى رأسَه طولاً في السماء

وإذا حَولَ الرجل من أكثرِ ولدانٍ رأيتهم قط

فقلت لهما : ما هؤلاء؟

فقالا لي : انطلق انطلق

فانطلقنا فانتهينا إلى روضةٍ عظيمة ، لم أرَ روضةً قط أعظمَ منها ولا أحسن

فقالا لي : ارْقَ فيها

فارتقينا فيها ، فانتهينا إلى مدينة مبنيّة بلبنِ ذهبٍ ولبنِ فضةٍ

فأتينا بابَ المدينةِ فاستفتحنا ففتحَ لنا

فدخلناها ، فتلقانا فيها رجالٌ شطرٌ من خَلْقِهم كأحسنِ ما أنتَ راءٍ

وشطرٌ كأقبحِ ما أنت راءٍ

فقالا لهم (أي الملكين) : اذهبوا فقَعوا في ذلك النهر

وإذا نهرٌ معترِض يجري كأنَّ ماءه المحضُ من البياض

فذهَبوا فوقعوا فيه ، ثمَّ رجعوا إلينا قد ذَهبَ ذلك السوءُ عنهم

فصاروا في أحسَنِ صورة

فقالا لي : هذه جنة عدن وذاك منزلك!

فقلت لهما : بارك الله فيكما ذراني أدخُله

قالا : أما الآن فلا ، وإنك داخِله

فقلتُ لهما : فإني قد رأيتُ منذ الليلةِ عَجبا ، فما هذا الذي رأيت؟!

قالا : أما إنا سنُخبرُك

أما الرجلُ الأولُ الذي أتيتَ عليه يُثلَغ رأسه بالحجر

فإنه الرجلُ يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة!

وأما الرجلُ الذي أتيتَ عليه ، يُشرشَرُ شِدقُهُ إلى قفاه ، ومنخَرُه إلى قفاه ، وعينه إلى قفاه

فإنه الرجلُ يغدو من بيته فيكذب الكِذبَةَ تبلغُ الآفاق

وأما الرجالُ والنساءُ العراةُ الذين في مثل بناءِ التنور

فإنهم الزُّناة والزواني!

وأما الرجل الذي أتيتَ عليه يَسبح في النهر ويُلقم الحجارة

فإنه آكِلُ الرِّبا

وأما الرجلُ الكريه المرآةِ ، الذي عند النار يحشُّها ويسعى حولها

فإنه مالكٌ خازن جهنم

وأما الرجلُ الطويلُ الذي في الروضة فإنه إبراهيم عليه السلام

وأما الولدانُ الذين حَوله فكلٌّ مولودٍ مات على الفطرة .

فقال بعضُ الصحابة : يا رسول الله ، وأولاد المشركين؟

فقال رسول الله ﷺ : وأولاد المشركين!

وأما القوم الذين كانوا شَطرٌ منهم حسناً وشطرٌ قبيحا

فإنهم قوم خلطوا عملاً صالحا وآخرَ سيئًا ، تجاوز الله عنهم

الدَّرْسُ الأوَّل:

رؤيا الأنبياء وحيٌ

هذه حقيقة ومعتقد يجب أن نتشبثَ به ونحن نستخلص العبر من الحديث

وهذا محطّ إجماع عند الأمة ولا خلاف فيه فيما أعلم

وأي رأيٍّ مخالف يَرده القرآن

فإن إبراهيم عليه السلام قال لابنه ﴿يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك﴾

فقال إسماعيل عليه السلام : ﴿يا أبتِ افعل ما تؤمر﴾!

نصٌ محكم صريح وحاسم يسقط معه كل تكلف!

أما رؤيا النَّاس فعلى ثلاثة وجوه

الرؤيا الحسنة وهي من الله تحملُ بشرى للمؤمن أو تُنبئ بخبر مستقبلي للإنسان

كرؤيا العزيز التي أوّلها يوسف عليه السلام بالقحط!

ورؤيا سيئة من الشيطان يريد أن يُحزن بها المؤمن

وحديث النفس وهي أمور تهمُّ الإنسان ويحدث بها نفسه فيراها في نومه!

والنوع الأول فقط هو الذي يخضع للتأويل والتفسير لمن أوتي قدرة

فتأويل الأحلام فتوى وقد نُهينا عن الفتوى بما لا نعلم

الدَّرسُ الثّاني:

يقودنا الحديث عن التأويل إلى طرح السؤال التالي

هل تأويل الأحلام علم يلقيه الله في قلب إنسانٍ ما

أم أنه بالتعلم ولا يختلف عن العلوم الأخرى كالرياضيات والنحو والفيزياء

والذي خلصتُ إليه بعد قراءات طويلة في الأمر

أنه بين هذا وذاك!

وأغلبه إلهام من الله يحبو به بعض الناس

والنوع الأول ينطبق عليه تعليم الله تعالى ليوسف عليه السلام هذا العلم
كما في القرآن : ﴿ويعلمه من تأويل الأحاديث﴾
أما بعضه فله قواعد وأسس يجب أن ينتبه إليها الناس
وهو أن الرؤيا تُعبَّر باعتبار الرائي وإن كانتْ واحدة!
فقد جاء رجل لابن سيرين وأخبره أنه رأى أنه يُؤذِّنُ
فقال له : أنتَ سوف تحج إلى بيت الله الحرام
وجاءه آخر وأخبره أنه يُؤذِّنُ
فقال له : أنت ستسرق وتُسجن!
فلما استغرب طلابه قال لهم موضحًا :
الأول رأيتُ فيه علامات الصلاح فأخذته على قول الله تعالى :
«وأذِّن في الناس بالحج»!
والثَّاني رأيتُ فيه علامات الفجور فأخذته على قول الله تعالى
«وأذَّن مؤذن أيتها العيرُ إنكم لسارقون»!
أيضاً هناك أمور لا يراها الجميع
فمثلًا رؤيا العزيز بالقحط ، هذه رؤيا الملوك والحكام ولا يراها العوام
وقد رأى عبد الله بن الزبير رؤيا فأرسل رجلاً إلى سعيد بن المُسيِّب
ليعبرها له على أنها رؤيا الرجل لا رؤيا عبد الله
فقال له سعيد بن المسيب : مثلك لا يرى هذا
أخبركَ لمن الرؤيا أم تخبرني؟
فقال الرجل : أخبرني أنتَ
فقال سعيد : الرؤيا لابن الزبير!
وكان عبد الله قد رأى أنه يُقاتل عبد الملك بن مروان فيصرعه

ويثبت في جسمه أربعة أوتاد
فأولها سعيد أن عبد الملك سيقتل ابن الزبير
وسيخلفه أربعة من أبنائه!
وهذا ما حدث فعلًا فقد قُتل ابن الزبير على يد الحجاج عامل عبد الملك
وخلفه أولاده سليمان وهشام والوليد ويزيد!
أيضاً تؤوّل الرؤيا بحسب الفصول وبحسب لغة العرب ومثلها الشائع
وقد تحدّثتُ عن هذا في كتاب حديث الصباح بالأمثلة
وما أريد أن أكرر ما قلتُ ولكن شيء استجد فذكرته!

الدَّرْسُ الثَّالث:

الحديث كما أجمع العلماء في شرحه عمّا يكون في البرزخ
والبرزخ هي الفترة بين موت الناس وبعثهم للحساب
وإن كان إنكار عذاب القبر ونعيمه ليس مُخرجًا من الملة
كما هو رأي جمهور الفقهاء
إلا أن فيه عشرات بل مئات النصوص التي لا سبيل لردها
ما أدين لله به أن القبر أوّل منازل الآخرة
وأنه إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنان
وما ردّ نعيم القبر وعذابه إلا من أعمل عقله خارج النصوص
فإنه لما رأى العظام البالية سأل أين النعيم والعذاب
والحقيقة إن هؤلاء جهلوا أنّ بين الجسد والروح علاقة
تزيد وتنقص بحسب المرحلة التي فيها الإنسان

فنحن نمر بأطوار مختلفة تختلفُ فيها علاقة الروح بالجسد
وقد مرّ البشر بمراحل وتبقى لهم مراحل
ويمكن تلخيص مراحل النمو البشري بما يلي :
أولاً : مرحلة العدم ، وكانت قبل خلق آدم
حيث لم يكن للبشر وجود إلا في علم الله
ثانيًا مرحلة الذّر
حيث خلق الله أرواح بني آدم جميعًا دفعة واحدة
وأشهدهم على ربوبيته لهم فشهدوا بالوحدانية له سبحانه
وهذا مصداق قوله جلّ في علاه :
﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألستُ بربكم قالوا بلى شهدنا . .»
ثم إذا شاء أن يخلق إنسانًا أرسل روحه مع الملك لينفخها فيه
ثالثاً : مرحلة الوجود الفعلي على ظهر الأرض
وهي ممتدة من نفخ الروح إلى نزعها
رابعًا : مرحلة البرزخ
وهي ممتدة من موت كل إنسان إلى بعثه
خامسًا مرحلة الخلود الأبدي
تبدأ من فراغ الله من حساب العباد ولا تنتهي
فإما إلى نار وإما إلى جنة
ولا شك أن علاقة الروح بالجسد مختلفة اختلافاً كثيرًا من مرحلة إلى أخرى
في مرحلة العدم لا علاقة إذ لا روح ولا جسد
وفي مرحلة الذّر روح بلا جسد

وفي مرحلة الوجود الفعلي يكون النعيم والعذاب للجسد والروح تَبَعٌ له

فلو ضربنا إنساناً ضربًا مبرحًا فإنما تُعذَّبُ جسده

ولكن لعلاقة الرّوح بالجسد فإن هذه الروح تشقى

أما في القبر فالنعيم والعذاب على الروح والجسد له تَبَعٌ

أما في مرحلة الخلود فالنعيم والعذاب على الجسد والروح سواءً بسواء

الدَّرْسُ الرّابع:

من عدل الله تعالى أن الجزاء من جنس العمل!

وانظرْ لأصحاب العذاب في البرزخ

فإنَّ كل واحد منهم إنما عُذب بمثل ما صنع

فمن أعطي القرآن ورفضَه ونام عن الصلاة المكتوبة ضُرب رأسه

لأن الرأس هو موضع السجود

وهذا الرأس الذي أبى أن يسجد لله بالوقت الذي أمر ثُلغ

وإني أرى أن استحقاق العذاب يكون باجتماع الأمرين معًا

ردّ القرآن والنوم عن الصلاة المكتوبة

وردّ القرآن هو رد العمل به ورفضه بالقلب وليس بالتلاوة

فلا يجرؤ أحد أن يقول أن من آمن بالله ورسوله والبعث والحساب

وقام بأركان الإسلام دون أن يقرأ القرآن سيُعذّب

وردُّ القرآن على قدر الإنسان ودوره في الحياة

فالحاكم يردُّ القرآن برفضِ تحكيم شرع الله

والناس ردهم للقرآن هو رفضُ أحكامه في حياتهم اليومية
كردِّ الرجلِ لآيات المواريث وظلم من اشتركوا معه بالوراثة
وكردِّ المرأة للحجاب
أما النوم عن الصلاة وحده وإن كان ليس بالأمر الهيِّن
فإن في السنّة ما يجعلني أقول أنه لا يجرُّ مثل هذا
ففي الحديث «من نام عن صلاةٍ أو نسيها فليؤدها متى ذكرها فلا
كفارة لها إلا هذا»!
وحديث الصحابيِّ الذي شكته زوجته للنبيِّ ﷺ
أنه ينام عن صلاة الفجر
فقال له الصحابي إنه من قوم يغلبهم النوم
فقال له الصادق المصدوق : فإذا استيقظت فصلِّ
ولم أذكر هذا للتشجيع على النوم عن الصلاة معاذ الله
ولكن من باب عدم كتم العلم ليس إلا!
وأما الرَّجلُ الذي كان يكذب الكذبة حتى تبلغ الآفاق
فكان عقابه أن يُشقَّ شدقه وهو موضع الكذب
وأما الزناة فحشروا عراة وجمعوا فوق التنور
تصيب منهم النار مكان العورة وهي موضع الزنا
وأما آكل الربا فألقمه حجراً في نهر الدم
لأن الفم هو موضع أكل الربا

الدَّرْسُ الخامس:

إياك أن تشكَّ برحمة الله!
وقبل الرحمة تذكر أن الله عادل
وفي الحديث تتجلى رحمة الله وعدله
فأما العدل فإنَّ الله يقتصُّ للعباد من العباد
فإن كنتَ قد أشفقت على الكاذب
فتذكر ما فعل الكذب في الحياة الدنيا
كم سمعة شُوهت بالكذب
وكم حقًا أُكل بالكذب
وكم فتنة حصلت بالكذب
وكم بيتٍ هُدم بالكذب
وكم دم أُريق بالكذب
أيسرك أن يمر هذا دون حساب ولا عقاب؟
وإن كنتَ أشفقت على الزناة
فتذكر ما فعل الزناة في الحياة الدنيا
كم ولدٍ أُلحق بغير أبيه
وكم عرضٍ هُتك
وكم شرفٍ استبيح
أيسرك أن يمر هذا دون حساب ولا عقاب؟
وإن كنت أشفقت على آكل الربا
فتذكر ما فعله الربا في المجتمعات
كم فقيرٍ دفع أضعاف دينه

كم أرضٍ نُزعت من صاحبها لدفعه دينه وعجزه عن سداد مال الربا
كم مشروعٍ أُغلق بسبب الربا الفاحش
وكم فرصٍ للعمل سُدت بوجه الشباب لأن رأس المال جبان
يقرر الربح المضمون الحرام على الحلال الذي فيه مخاطرة
أسرك أن يمرّ هذا دون عقاب؟
ثم في حديث العذاب والعدل تأتي الرحمة
فهذا إبراهيم عليه السلام يرعى الأطفال الذين ماتوا ومعهم أطفال المشركين
لرحمته لم يأخذ ولدًا بشرك أبيه
تمامًا كما من رحمته أنه لن يعذب من لم تصله رسالة
﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولًا﴾
وانظر للذين خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا تعرف الرحمة
ألم يتجاوز الله عنهم
وبمفهوم المخالفة فإن الذين عُذبوا لم يكن لهم عمل صالح
وإنما كانت حياتهم الدنيا ظلمًا بظلم، وفجورًا بفجور.

الدَّرْسُ السَّادس:
علينا أن نعرف لماذا أنزل الله تعالى القرآن
هذا القرآن لم يُنزل ليُقرأ على الأموات ولكن ليتحاكم به الأحياء!
﴿لينذر من كان حيًا﴾
إن هذا القرآن دستور حياة متكامل
لا يتم الإسلام إلا بالعمل بمقتضاه
ليس من الإسلام في شيء أن نصلي ونصوم ونحج ونزكي

ثم نستورد شرائعنا من الشرق والغرب ، أو نكتب أخرى بأيدينا
إن الله حين شرع الحدود فلنعمل بها ، أعجبتنا أم لم تعجبنا
وعندما وضع المواريث فلنطبقها ، أعجبنا أم لم يعجبنا
وعندما أحل البيع وحرم الربا فلنلتزم
وعندما نظّم الزواج فلنطيع
وعندما وضع حقوق الجار فلننفذ
وعندما وضع حقوق الأقارب فلنصل الأرحام
إن قبول القرآن لا يعني أبدًا قبول تلاوته فقط
وإنما قبول تحكيمه والتزام أوامره ونواهيه
الشخص الذي يقول لنصلِ ونصوم ونحج ونزكي
ونتعامل بالنظام الرأسمالي
فهذا لم يفهم الإسلام بعد
والذي يريد نظام عقوبات غير ما أقره الإسلام
فإنه يتهم الله بسوء التشريع!
والذي يريد نظامًا اقتصاديًا غير ما أقره الإسلام
فإنه يقول من حيث لا يدري أن البشر أعرف من الله بالتشريع!

الدَّرْسُ السّابع:

الكذب قبل أن يكون حرامًا فإنه يخدش المروءة!
وقد كان العرب في جاهليتهم أهل مروءة
فهذا أبو جهل ، يقترحون عليه اقتحام بيت النبي ﷺ
فيقول : أتريدون أن تقول العرب أني روَّعتُ بنات محمد

وعندما صفع أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها
قال : اكتموها عني لا تعرف بها العرب
وهذا أبو سفيان يوم كان على الشرك يسأله قيصر عن النبيّ ﷺ
فيحدثه عن صدقه وأمانته ولا يكذب
إنّ من الكمال أن لا نفعل الخطأ لأنه حرام
وأن نفعل الصواب لأنه حلال
وإن كان هذا أمراً حسـنًا
ولكن جربوا أن تفعلوا الحلال لأنه يزيد المروءة
وأن لا تفعلوا الحرام لأنه يقدح فيها
إن أكبر إساءة في الحياة هي أن يُسيء الإنسان إلى نفسه
وما أحلاها من مقولة
«إن الرجل ليصدق ويتحرى الصدق حتى يُكتب عند الله صديقًا»

الدَّرْسُ الثّامن:

إياك وأعراض الناس!
إنّ الله قوة من لا قوة له ، وسلاح من لا سلاح له
من هتك عرضًا سيأتيه من يهتك عرضه
هذه الدنيا دين وسداد
فلا تجنِ على عرضكِ بانتهاك أعراض الناس
وتذكر أنه ما ارتفع يوسف عليه السلام إلا بالعفة
وما أتاه المُلك منقادًا إلا لأنه رفض الرذيلة
ولقد كان في قصصهم عبرة!

الدَّرْسُ التّاسع:

نأتي للرجل قبيح المنظر الذي هو مالك عليه السلام خازن النّار
إن الله لم يخلق قبيحًا عن عجزٍ منه أن يخلق جميلًا
ولكنه سبحانه لا يفعل هذا إلا لحكمة
وحكمته تعالى في خلق مالكٍ على هذه الصورة
هي زيادة العذاب على أهل النار
فكما يأنس الإنسان بالوجه الحسن والخِلقة الجميلة
فإنه يستوحشُ بالوجه القبيح
وقد خلق الله سبحانه مالكاً على هذه الهيئة
ليؤدي الدور الذي خُلق لأجله
فهو خازن النار وخلقه بمنظر حسن غير مناسب لوظيفته
وبمفهوم المخالفة فإن رضوان خازن الجنة
غاية في الحُسن والجمال وذلك لزيادة نعيم أهل الجنة
وأما في الدنيا فالجمال والقبح أرزاق من عند الله
قسمها الله تعالى بين عباده بما شاء لغاية يعلمها سبحانه
فعلينا أن نتأدب مع الله
فإن من عاب الصنعة إنما عاب الصانع
وحاشا ربنا أن يُتهم ويُرمى بالعجز والتقصير
لننظر إلى الأمر أنه من الأرزاق التي يتفاوت فيها الناس
من الناس الغنيُّ والفقير
صاحب العيال والعقيم
طويل الأجل وقصير العمر

السعيد والحزين والفرح والمغموم
وهكذا أيضًا منهم الجميل ومنهم القبيح
فمن وجد فيه الجمال فليشكر
ومن وجد فيه القبح فليصبر
فإنما الدنيا امتحان!

للحصول على نسخة كاملة

من الكتاب

اكتب في خيار البحث على فيسبوك

مكتبة الرمحي أحمد

وتابع الصفحة

سنطرح رابط كامل قريبا

نوفر لك رابط تحميل مباشر

كتب جديدة

نرجوا دعم الصفحة

لنستمر معكم وفي خدمتكم

فيوم الهجرة استأجر له دليلًا يرشده إلى طريق المدينة
ولم يقل أنا نبيّ سأصل على أية حال
وكان في المعارك يلبس درعًا
ولم يقل أنا نبيّ وسيحميني الله على أية حال
وكان إذا أراد أن يغزو ورّى
أي سلك طريقاً غير الذي يريد ليفاجئ العدو
ولم يقل أنا نبي وسينصرني الله على أية حال
وهذا عمر بن الخطاب يرى أعرابيًا له بعير أجرب
يرفع يديه إلى السماء ويدعو أن يشفي الله بعيره
فقال له : أيّد دعاءك بشيءٍ من القطران!
أي خذ بالعلاج والأسباب ولا تترك الدعاء
وعندما أراد دخول الشّام ، وبلغه أنّ الطاعون قد دبّ فيها ، قرر أن يرجع
فقال له أبو عبيدة : أفرار من قدر الله يا أمير المؤمنين؟
فقال له عمر : أفرّ من قدر الله إلى قدر الله
لو أن رجلاً هبط وادياً له عدوتان ، واحدة جدبة والأخرى خصبة
أليسَ إن رعى في الجدبةِ رعى بقدر الله ، وإن رعى في الخصبة رعى بقدر الله؟!
ثم لما جاءه من يخبره أن رسول الله ﷺ قال :
«إذا سمعتم بالطاعون بأرضٍ فلا تقدموا عليه
وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه»!
فسجد عمر شكرًا وقال : الحمد لله الذي جعل الحق على قلب عمر

وصاحبنا في الحديث أساء التوكل على الله وأهمل
ما كان عليه أن ينام وراحلته طليقة
ولو أنه ربطها ونام لأفاق ووجدها
فخذْ بالأسبابِ ما استطعتَ إلى ذلك سبيلًا
ولكن لا تجعلْ يقينك على الأسباب
السيوف لا تحقق النصر ولكن ترك السّلاح في المعارك بلاهة
والعمل لا يجلب الرزق ولكن تركه حمق
والدواء لا يشفي ولكنه سبب أُمرنا به
الناصر هو الله ، والرازق هو الله ، والشافي هو الله
ولكنها دار أسباب فلا تزهد فيها

الدَّرْسُ الثَّالث:

الخطأ مردود!
فلا تقف للناس على الحرف واللفظة
الفرح الغامر يأخذ بالعقول ، والحزن الشديد يسلب الألباب
وهذا صاحبنا قال : اللهم أنت عبدي وأنا ربك!
وهذه لفظة لو عناها فعلاً لكانت كفرًا بواحًا
ولكن انظر للرحمة المهداة يُبرر حالته النفسية ويقول :
أخطأ من شدة الفرح!
فلا تُكفّر بلفظةٍ دون أن تراجع صاحبها فيها
فإنه قد يكون جاهلًا ، وقد يكون حزينًا وقد يكون فرحًا
وأنا لا أبرر للكلام السّيء حال الحزن أو الفرح

ولكنني أقول أننا بشر وقد لا نملك زمام قلوبنا وألسنتنا أحيانًا
فإذا كان النبي ﷺ أحرص الناس على العقيدة
قد راعى حالة الرجل النفسية
فما بالنا نحن الذين دونه
وفي هذا درس آخر لنا وهو
لا تعطِ وعدًا في فرح شديد
في الفرح قد نعد بما لا نستطيع
وفي الحزن قد نهدد بما لا نقدر
دع غمرة الفرح تمضي وسورة الغضب تزول
ثم انظر في أمرك بعدها ولا تكن ممن تحركهم ردود الأفعال!

الدَّرْسُ الرَّابع:

نقل الكفر ليس كفرًا!
علينا أن نُميِّز إن كان القائل يتبنى المقولة أم ينقلها فقط
لا تخلط بين المُعتقِد بالكلام وبين ناقله
فها هو النبي ينقل إلينا لفظة لا يعتقدُ بها وحاشاه أن يعتقد
وها هو القرآن ينقل إلينا كفر الأمم السابقة :
ألم يقل ربنا : ﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء﴾!
وألم يقل أيضًا ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة﴾!
وعلينا أن نحسن الظنّ بالمسلمين ، ونحمل كلامهم على الخير
إن كان يحتمل خيرًا فالكلام حمّال أوجه وله أكثر من معنى

وقد قال أحد الصالحين :

لو رأيت أحد إخواني على جبل يقول : أنا ربكم الأعلى

لقلت يتلو الآية!

ولو رأيت لحيته تقطر خمرًا

لقلتُ : لعلها سُكبت عليه!

النبلاء يتحزَّبون للأخلاق والمبادئ، لا للرجال والأرحام والقرابات
حبك لابنتك لا يعني أن تقفَ معها في باطلٍ ضدَّ زوجها
وحبك لابنك لا يعني أن تقبلَ أن يظلمَ زوجتَه
حبك لصديقك في العمل لا يعني أن تتسترَ على تقبله للرشوة
الحبّ الحقيقي أن نمنع الذين نحبهم عن الظلم
السكوت والتستر والرضا هو مشاركة معهم فيه
وقد قال رسول الله ﷺ: انصرْ أخاك ظالمًا أو مظلومًا
قالوا: يا رسول الله ننصره مظلومًا، فكيف ننصره ظالمًا
قال: تأخذ على يده، فذلك نصره!

الدَّرْسُ الرَّابِع:

إياك أن تحلف بالله كاذبًا
لا يكن الجاهلي أورع دينًا منكَ!
وإن الله لا يرضى أن يُظلم الكافر بيمين كاذبة
فكيف يرضى أن يُظلم بها مسلم!
أبطال قصتنا جميعهم قاتلهم وقتيلهم وشهودهم وأولياء الدم كانوا مشركين
ولكن الله لم يرضَ أن يظلم المشركُ المشركَ باسمه!
فما مضى عام إلا ومات كل من حلف باسمه كاذبًا
وحتى إن لم يقتص الله في الدنيا ما انتهى الأمر
وما أُغلق ملفُّ القضية
هناك آخرة، وهناك محكمة، وهناك كتاب لا يُغادر صغيرة ولا

كبيرة إلا أحصاها
وهناك قاضٍ هو جبار السماوات والأرض
تنطق في حضرته الجوارح وتشهد الأيدي والأرجل
ضع هذا نصب عينيك
إن النجاة في الدنيا ليست إلا نجاة مؤقتة
والعاقل من صدق في محكمة الدنيا لينجو من محكمة الآخرة

الدَّرْسُ الخامس:

الجاهلية هي لفظ أطلقه الإسلام على حياة العرب قبله
وهي جاهلية دينية فقط حيث كان القوم يعبدون الأصنام
وصحيح أنهم كانوا يرتكبون الفواحش والرزايا
ولكن القوم كانوا في كثير شؤونهم على قدرٍ كبيرٍ من الأخلاق
ويشهد لهم بهذا النبي ﷺ يوم قال:
«إنما بُعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق»!
وهذا اعتراف منه ﷺ أنهم كانوا يتمتعون بأخلاقٍ عالية
هذا هو عدل الإسلام، يقرّ المخالف على صوابه
ويأخذ منه موقفًا على خطئه
إذا أبغضتَ إنسانًا لا تنسَ فضله وأخلاقه
وإذا أحببتَ إنسانًا لا تنس عيوبه وأخطاءه
نحن أمة تحب بعدل وتبغض بعدل!

الدَرْسُ السَادس:

يقودنا الحديث عن أخلاق العرب في جاهليتهم لذكر بعض قصصهم
وبما أنّ هذه هي القصة الأخيرة في الكتاب
ستكون هذه القصص مسك الختام

القصة الأولى :

قيل لقيس بن سعد : هل رأيتَ قَطّ أكرم منك؟
قال : نعم
نزلنا بالبادية على امرأة فجاء زوجها
فقالت له إنه نزل بنا ضيفان
فجاءنا بناقة فنحرها ، وقال : شأنكم
فلما كان من الغد جاء بأخرى فنحرها ، وقال شأنكم
فقلنا : ما أكلنا من التي نحرت البارحة إلا القليل
فقال إني لا أطعم ضيفاني البائت
فبقينا عنده أياماً ، والسماء تمطر ، وهو يفعل كذلك
فلما أردنا الرحيل وضعنا مئة دينار في بيته
وقلنا للمرأة : اعتذري لنا إليه ، ومضينا
فلما ارتفع النهار ، إذا برجلٍ يصيحُ خلفنا :
قفوا أيها الركب اللئام ، أعطيتمونا ثمن قِرانا
ثم إنه لحق بنا وقال : خذوا دنانيركم وإلا طعنتكم برمحي هذا
فأخذناها وانصرفنا!

القصّة الثانية :

سمع أحد الأعراب في الجاهلية ضجةً وجلبةً خارج خيمته
فخرج فزعاً ينظرُ ما الأمر
فوجد جماعة من قومه قد حملوا عصيّهم
فقال لهم : ما الأمر؟
فقالوا : كنا نلاحق سرب جراد وقد فرّ منا وحطّ رحاله في فيءِ خيمتك ونحن نريده
فدخل خيمته مسرعاً وخرج شاهراً سيفه وقال لهم
جراد احتمى بي كيف أسلمه لكم؟!
ووقف يحرس سرب الجراد حتى تحرّك الظلُّ وحميَ الرمل وطار الجراد
عندها التفت إليهم وقال : الآنَ أنتم وما تطلبون
ثم دخل خيمته!
ومن يومها إذا أرادت العرب أن تمدح أحداً بالحميّة قالت :
فلان أحمى من حامي الجراد!

القصّة الثّالثة :

يقال لصعصعة جدّ الفرزدق الشاعر مُحيي الموؤودات
وذلك أنه مرّ على رجلٍ من قومه وهو يحفر بئرًا ، وامرأته تبكي
فقال لها : ما يبكيكِ؟
قالت : يريد أن يئد ابنتي هذه
فقال له : ما حملك على هذا؟
قال : الفقر

قال : إني أشتريتها منك بناقتين فلا تئدها

قال : قد فعلت

فأعطاه الناقتين على أن يربيها ولا يئدها

ثم انصرف يقول : إن هذه لمكرمة ما سبقني إليها أحدٌ من العرب

وأقسم أن لا يسمع بموؤودة إلا فداها

فجاء الإسلام وكان قد فدى ثلثمائة موؤودة

القصّة الرابعة :

كان النعمان بن المنذر ملك العرب الشهير قد جعل لنفسه يومين

يومَ بُؤسٍ ، من صادفه فيه قتله وأرداه

ويوم نعيمٍ ، من لَقِيَه فيه أحسن إليه وأغناه

فحدث أنَّ رجلًا من طيء أخرجته الحاجة يوم بؤس النعمان

فبينما هو يسير إذ لقيه النعمان فعلم أنه قاتله

فقال له حيا الله الملك ، إنَّ لي صبيةً صغارًا وأهلًا جياعًا

وقد أرقتُ ماء وجهي في طلب الطعام لهم

ولن يضر الملك قتلي أول النهار أو آخره

فإن أذن لي الملك أن أوصل إليهم هذا ثم أرجع إليه ليقتلني!

فقال الملك : لا آذن لك حتى يضمنك رجل معنا ، فإن لم ترجع قتلناه

وكان شريك بن عدي نديم النعمان معه فرقّ لحال الطائي

وقال : أصلح الله الملك ، فإنَّ عليَّ ضمانه

فذهب الطائي مسرعاً إلى أهله

فلما انقضى أغلب النهار قال النعمان لشريك :

إن صدر النهار قد ولىّ ولم يرجع صاحبك
فقال شريك : ليس للملك عليٍّ سبيل حتى تغربَ الشمس
فلمّا كان المساء قال النعمان لشريك : قد جاءَ وقتك قم تأهب للقتل
فقال شريك : هذا شخصٌ قد لاح مقبلاً وأرجو أن يكونَ الطائي
فإن لم يكن فأمرُ الملك نافذ
فبينما هم كذلك وإذ بالطائي قد اشتدَّ عدوُه في سيرهِ مسرعاً حتى وصل
فقال للنعمان أيُها الملك مُرْ بأمرك!
فأطرقَ النعمان ساعة ثم رفع رأسه وقال :
والله ما رأيتُ أعجبَ منكما
أما أنتَ أيها الطائي فما تركتَ لأحدٍ في الوفاءِ مقاماً
وأمَّا أنتَ يا شُرِيك فما تركتَ لأحدٍ في النجدة مقامًا
والله لا أكون ألأمَ الثلاثة
وإنّي قد رفعتُ يومَ بُؤسي عن الناس ونقضتُ عادتي

القصّة الخامسة :
ذكر ابن كثير من البداية والنهاية قال :
قيل لحاتم الطائي هل في العرب أجود منك ؟
فقال كلُّ العرب أجود مني!
إلا أني نزلتُ على غلامٍ يتيم ذات ليلة
وكانت له مئة من الغنمٍ ، فذبَحَ لي شاة منها
فلما قرّبها إليّ قلت ما أطيب هذا الدماغ !

فذهب الغلام فلم يزل يأتيني منه حتى قلتُ اكتفيتُ
فلما أصبحتُ فإذا هو قد ذبح المئة شاة وما بقي له شيء؟
فقيل له فما صنعتَ به ؟
قال أعطيته مئة ناقة من خيار إبلي
قالوا : إذاً أنت أكرم منه
قال : لا ، هو أكرم مني ، أنا أعطيتُ بعض ما عندي
وهو أعطى كل ما عنده!

الفهرس

١ . صَدقة 7

٢ . جُريج العابد 12

٣ . آسيا بنتُ مُزاحم 17

٤ . دَينٌ وسَداد 22

٥ السّحابة 27

٦ . مُغيث وبَريرة 32

٧ . جرّة ذَهب 37

٨ . ماشطة ابنة فرعون 42

٩ . الأبرص والأقرع والأعمى 48

١٠ . الخمر 55

١١ . رِجلان من خَشب 60

١٢ . سَارة والفرعون 66

١٣ . حِوار بين آدم وموسى عليهما السّلام 72

١٤ . الذي قتل مئة نفس 79

١٥ . رِفاق الغار 87

١٦ . قضاء سليمان عليه السّلام 99

١٧ . المفاخرة بالأنساب 108

١٨ . الرّضيع 114

١٩ . رؤيا 120

٢٠ . الذي أضاع ناقته! 136

٢١ . أصحاب الأخدود 143

٢٢ المرأة التي وعظتْ عالماً 157

٢٣ ناقة صالح عليه السّلام 166

٢٤ هاجر وإسماعيل عليه السّلام 175

٢٥ . موسى عليه السّلام والخِضر 204

٢٦ . رجلٌ مسرف على نفسه 222

٢٧ يونس عليه السّلام 232

٢٨ . يوشع بن نون عليه السّلام 243

٢٩ . زينب وأبو العاص بن الرّبيع 250

٣٠ المتألّي على الله 267

٣١ . أوّل قسامة في الجاهلية 275

A D H A M   S H A R K A W I

مَعَ النَّبِيِّ ﷺ

مكتبة الرمحي أحمد

الحكايةُ أدبٌ جميل فكيف إذا كانتْ في حضرة نبيّ ؟!
والإصغاءُ لهـا ماتعٌ فكيف إذا كـان راويها سيدُ الأولين والآخرين ؟!

هنا حكايا لا تشبه الحكايا
لأنّ راويها لا يشبه الرّواة !
هو الذي ما ضلّ وما غوى
وما نطقَ يوماً عن هوى
" علمه شديدُ القوى "
فجاءنا بحديثٍ " إنْ هو إلا وحيٌ يوحى " !





6Y4